بحوث ووثائق

ندوة الحوار الإسلامي المسيحي

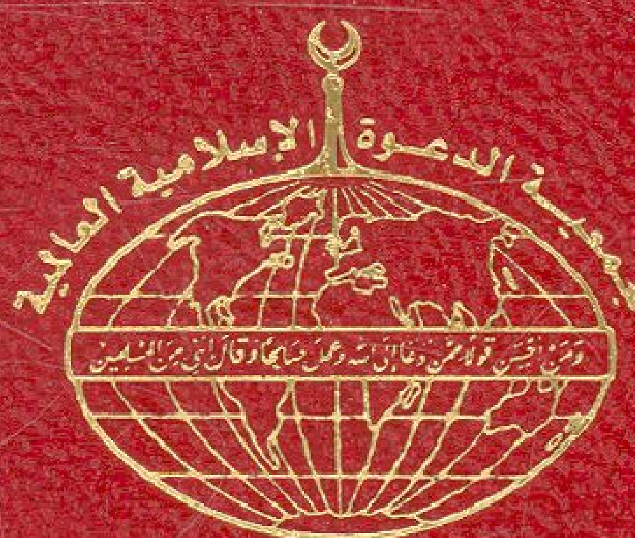
طرابلس

2 - 6 صفر 1396 هـ

1- 5 فبراير (النوار) 1976 م



إعداد ونشر



جمعية الدعوة الإسلامية العالمية

بحوث ووثائق

ندوة الحوار الإسلامي المسيحي

بحوث ووثـائق

نـــدوة
الحـوار الإسـلامي المسيـحي

طرابلس

2 ــ 6 صفر 1396هــ 1 ــ 5

النوّار/ فبراير 1976 مسيحي





إعداد وتنفيذ
مكتب الإعلام والبحوث والنشر
في جمعية الدعوة الإسلامية العالمية



الأخ المفكر العقيد معمر القذافي قائد ثورة الفاتح من سبتمبر العظيمة
في مداخلته في النقاش يوم 3 صفر الموافق 2 النوّار/ فبراير (شباط) 1976 مسيحي

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

لم تكن الثورة التي شهدتها ليبيا في الفاتح من (سبتمبر) 1969 مسيحي، مجرد تغيير سياسي أزال نظاماً ملكياً ليستبدله بآخر جماهيري، بل تعدت ذلك إلى عملية تحريك عنيفة للواقع الثقافي والاجتماعي في ليبيا ومحيطها العربي والإسلامي من أجل إبراز أهم مرتكزات الهوية العربية الإسلامية، وتأكيد الخصوصية العقدية، وتحرير الدِّين مما علق به على مدى أربعة عشر قرناً مما ليس من أصوله، وهو ما حتم عليها أن تخوض حرباً ثقافية هدفها وضع خطوط واضحة بين ما هو ديني فيقدس، وما هو تراث فيحترم في إطار معطيات الواقع ومستجدات العصر، ولم يكن ذلك بالأمر الميسور، فقد كانت أولى تداعياته أن اتهمت الثورة الليبية بالمروق الثقافي الإسلامي من قبل دعاة الجمود الفكري والتعصب المذهبي الذين استخدموا ثراءهم لشراء الذمم واستنطقوا البعض للقدح بالاتجاه التجديدي للثورة الليبية، ووصل الأمر بهم إلى دبلجة التكفير ضد قائدها . . . . . .

ورغم كل ذلك فقد استطاعت الثورة أن تهز الواقع الثقافي للأمة لتسقط عنه الكثير من الأفكار المتحجرة والمفاهيم الخاطئة والتصورات البالية التي شوشت على حقيقة الإسلام، وساهمت في تغييب جوهره بمظاهر فيها الكثير من الضبابية وسوء الفهم . . . لقد استغرق تحقيق ذلك الهدف ـ أو لنكن

موضوعيين لنقل تحقيق الجزء الأكبر منه ـ بضع سنوات نظمت خلالها عشرات الندوات الفكرية واللقاءات الثقافية على كل المستويات وبمشاركة مختلف الشرائح، كان معمر القذافي محاضراً في جلّها ومحاوراً ومستمعاً في بعضها، كما شهدت ذات الفترة ظهور عدد من الهيئات الثقافية والفكرية التي اضطلعت بحمل تلك الرسالة التجديدية، لعل من أبرزها جمعية الدعوة الإسلامية العالمية التي حملت ولا زالت مسؤولية الدعوة للإسلام ديناً وحضارة بالحكمة والموعظة الحسنة.

غير أن المسؤولية الثقافية والحضارية للثورة الليبية لم تقنعها بالوقوف عند النجاح في مهمتها المتمثلة في تصحيح صورة الإسلام بل حتمت عليها أن تمد جسور التعارف مع الديانات والثقافات الأخرى التي تمثل جزءاً من إرثنا وحضارتنا الإنسانية، وأن ترمم ما تصدع منها بفعل بعض الممارسات المشينة للاستعمار الأوروبي لديار المسلمين التي نبرئ منها المسيحية تماماً كما نبرئ الإسلام اليوم من كل مظاهر الإرهاب . . . . .

وكان طبيعياً وفق معطيات تاريخية وجغرافية أن تكون المسيحية أول مُخاطب تتوجه إليه الثورة الليبية بالنداء من أجل حوار جاد وهادف بين الثقافات يرسخ قيم العدل والحق والسلام، ويطوي صفحة الماضي من أجل مستقبل مشرق للإنسانية في كنف ما تقره الأديان والشرائع من نبذ للظلم والطغيان والفساد في الأرض، وكانت محصلة ذلك النداء حدثاً متميزاً في مسيرة الحوار الإسلامي المسيحي تمثل في ذلك المؤتمر الكبير الذي دعا إليه الأخ العقيد **معمر القذافي** واحتضنته مدينة طرابلس في الفترة من 1 إلى 5 من شهر النوّار/ فبراير عام 1976 مسيحي . . . .

حضر المؤتمر ما يزيد على مائتي مشارك من العلماء والمفكرين، مسلمين ومسيحيين، من مختلف قارات العالم، تباحثوا في عدد من القضايا الثقافية والاجتماعية والسياسية ذات التأثير في مسيرة المجتمع الإنساني،

وتوصلوا إلى صياغة جملة من الأفكار التي كانت أرضية تم البناء عليها لإقامة كمٍّ من الندوات واللقاءات الحوارية التي شهدتها السنوات اللاحقة.

لقد تمثلت أهمية ذلك المؤتمر في كونه أوسع لقاء إسلامي مسيحي خلال العقود الثلاثة الأخيرة من الألفية المنصرمة، وأنه أتى في وقت انحسرت فيه الدعوة للحوار، وتقلصت فيه مساحات التفاهم بسبب ما شهدته منطقة الشرق الأوسط من أحداث خلال تلك الفترة، ثم لكونه مرجعاً لا غنى عنه ومحطة لا مناص من الوقوف عندها لكل متتبع لمسيرة الحوار الإسلامي المسيحي بأمانة علمية ودراسة موضوعية.

ونظراً لتلك الأهمية فإن جمعية الدعوة الإسلامية العالمية قد رأت في ذلك المؤتمر ـ كما رأى غيرها ـ حجر الزاوية في البناء الحواري الذي نسعى جميعاً لشد بنيانه وتعزيز دعائمه لذلك يسرها أن تعيد طباعة أعمال ذلك المؤتمر تعميماً للفائدة ونشراً لثقافة الحوار، وإثراء لمسيرة التعارف الإنساني.

الافتتاحية

لقد كانت ندوة الحوار الإسلامي المسيحي التي انعقدت في طرابلس بالجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى ما بين 2 صفر 1396هـ و6 منه، والموافقة لفترة ما بين 1 النوّار/ فبراير (شباط) 1976 مسيحي و5 منه حدثاً من الأحداث التاريخية التي ستبقى علامة بارزة في تاريخ العلاقات الإنسانية. فبعد قرون من التوجس وسوء الظن، ومن الحروب والخصومات، يلتقي حشد ضخم من مفكري أكبر دينين في العالم في حوار فكري، أشرفت على ترتيبه الجماهيرية والفاتيكان، يحدوهما إلى ذلك رغبة صادقة في فتح صفحة جديدة من العلاقات بين أبناء الدينين تقوم على الصفاء والاحترام المتبادل والرغبة المشتركة في التأكيد للعالم بأن الدين وحده هو القادر على إعادة الطمأنينة إلى البشرية التي أرّقتها وأقلقتها المطامع الجشعة والمظالم الإنسانية وأساليب الاستغلال والاستبداد والاستعمار. وكان من الضروري ومن أجل تحقيق هذه القيم أن تتم مكاشفات صريحة تتلمس الأرضية المشتركة التي يجب أن يتم التعاون من خلالها، وتحدد أسباب ومظاهر الخلاف في الماضي، بهدف تصحيح الأحكام الخاطئة. وقد اختيرت الموضوعات التي عولجت في الندوة اختياراً دقيقاً لكي تحقق هذه الأغراض. وقد اتسمت المناقشات بروح الصدق والصراحة التي تقبلها الجانبان الإسلامي والمسيحي برحابة صدر. واختتمت

الندوة بمقررات إيجابية تؤكد الروح التي أملت على الجانبين ضرورة قيام الندوة وضرورة إنجاحها. وتشكلت بعد ذلك، وبناء على هذه المقررات، لجنة متابعة مشتركة، هدفها وضع توصيات الندوة موضع التنفيذ. وقد باشرت اللجنة عملها وقامت بعدد من المبادرات التنفيذية في هذا السبيل.

وإننا، في الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى، وبمناسبة مرور خمس سنوات على انعقاد هذه الندوة، وحفاوة بمقدم القرن الخامس عشر من وفاة الرسول ﷺ، ليسرنا أن نقدم إلى الجماهير الإسلامية والجماهير المسيحية في العالم، وثائق وبحوث هذه الندوة باللغات العالمية الثلاث: العربية والفرنسية والإنكليزية، تحية منا إلى جميع من اتصلوا بهذه الندوة، سواء بالمشاركة أم بالتتبع والاهتمام، مؤكدين حرصنا على الالتزام بتوصياتها ومقرراتها، ومعلنين توجهنا الدائم إلى توطيد العلاقات الإنسانية القائمة على احترام الإنسان، واحترام القيم النبيلة التي نادت بها الأديان، آملين أن تكون مبادرتنا إلى نشر وثائق وبحوث ندوة الحوار الإسلامي المسيحي خطوة على طريق التعاون الصادق، والله سبحانه، من وراء القصد.

أحمد الشحاتي

أمين مكتب الاتصال الخارجي بمؤتمر الشعب العام

المقدمة

لقد عقدت بمدينة طرابلس في الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى ما بين 2 ـ 6 صفر 1396، الموافقة للفترة ما بين 1 ـ 5 النوّار/ فبراير (شباط) 1976 مسيحي ندوة الحوار الإسلامي المسيحي. وكانت هذه الندوة من حيث المستوى والدلالات والآثار والأصداء من أهم الأحداث العالمية.

وقد جاءت هذه الندوة ثمرة طيبة لمجموعة من المبادرات الإيجابية على الصعيد العالمي بدأها الأخ المفكر العقيد معمر القذافي قائد ثورة الفاتح من سبتمبر العظيمة بالندوة التي عقدها في باريس مع كبار المفكرين الفرنسيين عام 1973 مسيحي، ثم تلتها الاتصالات التي أجراها وفد الأمانة العامة برئاسة الأخ أحمد الشحاتي أمين الشؤون الخارجية عام 1975 مسيحي ومن بينها زيارته للفاتيكان. إذ تبلورت خلال هذه الزيارة عصارة كل هذه التحركات، وبرزت فكرة عقد ندوة حوار إسلامي مسيحي بين الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى والفاتيكان، هدفها بلوغ مرحلة من التعاون المشترك لخدمة الإنسانية ولخدمة القيم الروحية والخلقية، ومن أجل إزالة العقد والمشكلات المترسبة من الفترات التاريخية السابقة. وقد جرى لقاء آخر بين الفاتيكان وأمانة الشؤون الخارجية تم فيه اتخاذ قرار بضرورة الخروج بصيغة عملية تجسد

المعاني التي تستهدفها هذه اللقاءات. وهذه الصيغة هي إقامة ندوة لحوار إسلامي مسيحي، وقد شكلت لها لجنة تحضيرية مشتركة مهمتها وضع جميع الترتيبات التي يحتاجها عقد هذه الندوة. وعقدت هذه اللجنة اجتماعات عديدة وضعت خلالها جميع تفاصيل هذا اللقاء التاريخي، وتم الاتفاق خلال ذلك، على الموضوعات التي ستناقش خلال الندوة التي سيتناول كلاً منها باحثان أحدهما مسلم والآخر مسيحي كل من وجهة نظر دينه. وكانت الموضوعات هي التالية:

1 ـ هل يمكن للدين أن يكون إيديولوجية للحياة.

2 ـ العدل الاجتماعي ثمرة الإيمان بالله.

3 ـ الأسس المشتركة بين الديانتين في المعتقدات، ومواطن الالتقاء في ميادين الحياة.

4 ـ كيف نعمل على إزالة الأحكام المسبقة الخاطئة وضعف الثقة التي لا تزال تفرق بيننا.

وفي الموعد المحدد انعقدت الندوة وحضرها ما يقارب خمسمائة شخصية فكرية ودينية من المسيحيين والمسلمين من جميع المذاهب، وقد وفدوا من أكثر من سبعين دولة، وكان منهم ثلاثون مشاركاً في المناقشات، أما الآخرون فقد كانوا مراقبين، ولكنهم منحوا حق المداخلة والتعليق مما أثرى الأفكار التي طرحت في الندوة، كما تمت تغطية الندوة إعلامياً بشكل جيد.

وقد أسهم الأخ المفكر العقيد معمر القذافي قائد ثورة الفاتح من سبتمبر العظيمة بمناقشات الندوة، إذ شارك في جلسة يوم 2 النوّار/ فبراير 1976 مسيحي في النقاش، وأثار قضايا في غاية الأهمية وطرح كثيراً من الآراء الإيجابية التي كانت كلها مثار اهتمام الصحافة العالمية لفترة طويلة. وقد شكلت لجنة صياغة مشتركة مكونة من ثمانية أشخاص من الجانبين أعدت مشروع البيان الختامي المشتمل على المقررات والتوصيات التي تتكون من 24 بنداً والتي قرئت في الجلسة الختامية وتم إقرارها باتفاق الجميع.

وبعد انتهاء الندوة أكد الجانبان على اغتباطهما بالطابع الإيجابي لنتائج هذا الحوار التاريخي المعبر عنها في البيان النهائي المشترك، أما في ما يتعلق بالبندين 20 و21 من البيان المشترك فإن البعثة المسيحية ستنقل مضمونهما إلى سلطات الكرسي الرسولي المؤهلة وحدها في بت مسائل من هذا النوع.

وكان من علائم نجاح هذه الندوة وضع مقرراتها موضع التنفيذ، فقد قام الأخ أحمد الشحاتي أمين الشؤون الخارجية بزيارة للفاتيكان يوم 18 مارس (آذار) 1976 وتم الاتفاق على بروتوكول سمي بروتوكول روما، ويقضي بضرورة تنفيذ مقررات طرابلس، وذلك بإيجاد لجنة متابعة مشتركة. وقد تم تشكيل هذه اللجنة التي وضعت خطة عملها من خلال نظام أساسي ونظام داخلي ينظمان شؤونها، واتخذت لها مقراً، وسمَّت من بين أعضائها رئيساً وآخر مقرراً، وبادرت إلى القيام بعدد من النشاطات العملية.

وقد لقيت ندوة طرابلس من اهتمام المفكرين والإعلاميين صدى كبيراً على الصعيد العالمي، وقد نتج عن ذلك كثير من المقالات والتعليقات والندوات التي إن دلت على شيء فإنما تدل على ما أثارته هذه الندوة من اهتمام وما حققته من نتائج إيجابية.

ولقد تم الحرص في هذا الكتاب على تقديم صورة موضوعية عن الندوة في جميع مراحل فعالياتها وآثارها، فهو يشتمل على جميع الكلمات التي ألقيت والبحوث التي نوقشت وعلى البيان الختامي، كما يشتمل على أسماء جميع من اتصلوا بهذه الندوة بسبب، سواء من حيث الحضور كمشاركين أو مراقبين، أو من حيث المساهمة في أعمال اللجان، قبل وخلال وبعد الندوة، هذا بالإضافة إلى كثير مما اتصل بالندوة من نشاطات وندوات وتعليقات، الأمر الذي يضع القارئ في جو هذا الحدث الإنساني العظيم والذي أحسن التعبير عنه الأب بييرو روسانو خلال إحدى جلسات الندوة بقوله: «لقد دخلت طرابلس التاريخ».

وإننا نأمل أن يتحقق ما رجوناه لهذا الكتاب من تقديم صورة صادقة لهذه الندوة العظيمة لدى أكبر عدد من الناس، وهذا ما حدا بنا إلى طباعته باللغات الثلاث: العربية والفرنسية والإنكليزية، ولعل إصداره كان واحدة من الإيجابيات الكثيرة لهذه الندوة.

إن البادرة التي تمت في طرابلس من خلال ندوة الحوار الإسلامي المسيحي كسرت جدار التهيب والحذر الذي كان يغلف العلاقات بين المسلمين والمسيحيين عبر قرون طويلة وأتاحت الفرصة لتأكيد الثقة بجدوى الحوار الموضوعي الذي يمكنه أن يكوّن قناعات مشتركة تقوم على الرغبة الصادقة في فهم كل طرف لمشاعر وتطلعات الطرف الآخر، وعلى الحرص على فتح صفحة جديدة من العلاقات أساسها الاحترام المتبادل، والتطلع إلى آفاق مستقبلية تحمل بشائر الخير للإنسانية.

إن ندوة الحوار الإسلامي المسيحي هي خطوة البداية، ولا بد أن تعقبها خطوات وخطوات.

* * *

أسمَاء أعضَاء اللّجَان المُختلفَة التي أسهَمَتْ في نشَاط الندوَة إعداداً وَتنفيذاً ومُتَابعَة

أولاً ـ اللجنة التحضيرية المشتركة:

أ ـ عن الجانب الإسلامي:

1 ـ الأخ أحمد الشحاتي.

2 ـ الأخ إبراهيم أبجاد.

3 ـ الأخ إبراهيم الغويل.

4 ـ الأخ احميده الزليطني.

5 ـ الأخ حامد الحضيري.

ب ـ عن الجانب المسيحي:

1 ـ الأب بييرو روسانو.

2 ـ الأب فرنسوا أبو مخ.

ثانياً ـ مقررا ندوة الحوار:

أ ـ عن الجانب الإسلامي:

1 ـ الأخ إبراهيم الغويل.

ب ـ عن الجانب المسيحي:

1 ـ الأب بييرو روسانو.

ثالثاً ـ لجنة الصياغة:

أ ـ عن الجانب الإسلامي :

1 ـ الأخ الدكتور صبحي الصالح .

2 ـ الأخ الدكتور عمر التومي الشيباني .

3 ـ الأخ محمد العيشوبي .

4 ـ الأخ الدكتور عبد الرحمن عطبة .

ب ـ عن الجانب المسيحي :

1 ـ الأب موريس بورمانس .

2 ـ الأب فرنسوا أبو مخ .

3 ـ الأب جاك لنفري .

4 ـ الأب آري روست كروليوس .

رابعاً ـ اللجنة المشتركة الدائمة لمتابعة أعمال الندوة:

أ ـ عن الجانب الإسلامي :

1 ـ الأخ جبريل شلوف .

2 ـ الأخ خليفة التليسي .

3 ـ الأخ مفتاح ماضي.

ب ـ عن الجانب المسيحي :

1 ـ الأب فرنسوا أبو مخ .

2 ـ الأب فيدريكو بيروني .

3 ـ الأب آري روست كروليوس .

خامساً ـ مسؤول الإعلام:

الأخ وفيق الطيبي .

الأعضاء المشاركون في الندوة

أ ـ عن الجانب الإسلامي:

1 ـ الدكتور محمد أحمد الشريف	:	وزير التربية والتعليم. ـ الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى.
2 ـ الأخ أحمد الشحاتي	:	أمين الشؤون الخارجية في الاتحاد الاشتراكي العربي. ـ الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى.
3 ـ الأخ إبراهيم الغويل	:	الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى.
4 ـ الدكتور عمر التومي الشيباني	:	الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى.
5 ـ الدكتور عز الدين إبراهيم	:	الإمارات العربية المتحدة.
6 ـ الدكتور صبحي الصالح	:	لبنان.
7 ـ الأخ بابكر كرار	:	السودان.
8 ـ الدكتور إسماعيل الفاروقي	:	الولايات المتحدة الأمريكية.
9 ـ الدكتور يوسف علي إبراج	:	كينيا.
10 ـ الأخ محمد العيشوبي	:	الجزائر.
11 ـ الدكتور بشير التركي	:	تونس.
12 ـ الدكتور أحمد صدقي الدجاني	:	فلسطين.
13 ـ الدكتور خورشيد أحمد	:	باكستان.
14 ـ الدكتور مصطفى محمود	:	مصر.
15 ـ الأخ صبغة الله المجددي	:	أفغانستان.

16 ـ الدكتور عبد الرحمن عطبة : سورية.

ب ـ عن الجانب المسيحي:

1 ـ الكاردينال سيرجيو بينيودولي : رئيس السكرتارية العامة لغير المسيحيين في الفاتيكان.

2 ـ الأب بييرو روسانو : نائب رئيس لجنة العلاقات الإسلامية المسيحية في الفاتيكان.

3 ـ الأب فرنسوا أبو مخ : سكرتير لجنة العلاقات الإسلامية المسيحية في الفاتيكان.

4 ـ الأب جاكوب لانفري : المستشار في الجزائر.

5 ـ الأب أرنولف كامبس : المستشار في هولندا.

6 ـ الدكتور أنطوني شوليكال : من الهند.

7 ـ الأب جوزيف كوك : المستشار في تونس.

8 ـ الأب موريس بورمانس : المستشار في روما.

9 ـ الأب آري روست كروليوس : المستشار في روما.

10 ـ الأب غوميس نوغاليس : المستشار في مدريد.

11 ـ الأب جورج قنواتي : المستشار في مصر.

12 ـ الأب لوك سنكار : المستشار في مالي.

13 ـ الأب فرنسوا ديون : المستشار في السنغال.

14 ـ الأب أنطوني سانوسي : المستشار في نيجيريا.

* * *

أسماء بلدان المدعوين للمشاركة في الندوة

1 ـ الأردن.
2 ـ الاتحاد السوفييتي.
3 ـ أثيوبيا.
4 ـ إسبانيا.
5 ـ الأرجنتين.
6 ـ أفغانستان.
7 ـ الإمارات العربية المتحدة.
8 ـ ألمانيا الغربية.
9 ـ أورغواي.
10 ـ أوستراليا.
11 ـ أوغندا.
12 ـ إيران.
13 ـ إيطاليا.
14 ـ باكستان.
15 ـ البحرين.
16 ـ البرازيل.
17 ـ البرتغال.
18 ـ بريطانيا.
19 ـ بلجيكا.
20 ـ تركيا.
21 ـ تشاد.
22 ـ تشيكوسلوفاكيا.
23 ـ توغو.
24 ـ تونس.
25 ـ الجزائر.
26 ـ جزر الباربادوس.
27 ـ جنوب أفريقيا.
28 ـ الدانمارك.
29 ـ رومانيا.
30 ـ زائير.
31 ـ زنجبار (تانزانيا).
32 ـ السلفادور.
33 ـ السنغال.
34 ـ السودان.
35 ـ سورية.
36 ـ السويد.

37 ـ سويسرا.
38 ـ سيريلانكا.
39 ـ الصومال.
40 ـ العراق.
41 ـ غينيا.
42 ـ الفاتيكان.
43 ـ فرنسا.
44 ـ فلسطين.
45 ـ فنزويلا.
46 ـ قبرص.
47 ـ قطر.
48 ـ كندا.
49 ـ كوريا الجنوبية.
50 ـ كوستاريكا.
51 ـ كونغو كينشاسا.
52 ـ الكويت.
53 ـ كينيا.
54 ـ لبنان.
55 ـ ليبيا.
56 ـ مالطا.
57 ـ مالي.
58 ـ ماليزيا.
59 ـ مصر.
60 ـ المغرب.
61 ـ المكسيك.
62 ـ موريتانيا.
63 ـ النمسا.
64 ـ النيجر.
65 ـ نيجيريا.
66 ـ الهند.
67 ـ هولندا.
68 ـ الولايات المتحدة الأمريكية.
69 ـ اليابان.
70 ـ اليمن.
71 ـ يوغوسلافيا.
72 ـ اليونان.

أسماء المدعوين لحضور الندوة

الأردن:

1 ـ بشارة سليم خضر.

2 ـ مجيد سلطان الكاظمي.

3 ـ عودة بطرس عودة.

الاتحاد السوفييتي:

1 ـ عبد اللّه عبد الغني جان.

2 ـ أسرار تل مولانكول.

3 ـ آدم علي أكبروف.

4 ـ القسيس مكاري سفستيان.

أثيوبيا:

1 ـ حاج بشير داود.

2 ـ ميميد كيداني.

3 ـ اياسي بد مريم.

أسبانيا:

1 ـ أوسيبيو جيل.

2 ـ الدكتور سلفادور غومس نوغاليس.

3 ـ روميرو زاكوني.

4 ـ أوميغو فاليرو.

5 ـ جيمونيز راميز.

الأرجنتين:

1 ـ هوراسيو كالديرون.

2 ـ الراهب إسماعيل كلس.

3 ـ سامي علي القادري.

4 ـ إبراهيم حسين هاجر.

5 ـ لوسيه اليون هيراندز.

6 ـ جونزالز. ج. البرتو.

7 ـ لاروزا هوراسيو جوزي.

8 ـ فنسنت سولانو ليما.

9 ـ فانس فرناندز مالو.

10 ـ بونفنتور غوستو فاي.

أفغانستان:

1 ـ فيضان الحق فيضان.

2 ـ صبغة الله المجددي.

الإمارات العربية المتحدة:

1 ـ الشيخ أحمد عبد العزيز المبارك.

2 ـ الدكتور عز الدين إبراهيم.

3 ـ يوسف عبد اللّه المبارك.

4 ـ عبد الوهاب الأزرق.

5 ـ لطفية عواد.

6 ـ جمال بدوي.

7 ـ سعد غزال.

8 ـ سعد المهير.

9 ـ عبد العزيز المبروك.

ألمانيا الغربية:

1 ـ هونز فيشر بارنيكول.

2 ـ الدكتور هاليخت بنثن ديفلر.

3 ـ شنيدر فريس.

4 ـ أحمد عبد اللّه.

5 ـ محمد التومي.

6 ـ الراعي هانز جورج اسمرسن.

7 ـ الدكتور ريتشارد زافيد.

8 ـ ديتليف زيكارت.

9 ـ عبد اللّه ويزر.

10 ـ جوزيف زفت.

11 ـ محمد رسول.

12 ـ سكول لاتور بيتر رومان.

13 ـ الدكتورة سيغفيد هانكه.

14 ـ ونزورا ورنر.

15 ـ كروس بيتر.

16 ـ فريك بالدون.

17 ـ إيرهارد كارل زوجر.

18 ـ فون دنفر عبد اللّه.

19 ـ ستامر جوزيف.

20 ـ زنتلين ديتلر.

الأورغواي:

1 ـ تالفيرا تورز.

أوستراليا:

1 ـ جان خوري سمعان.

2 ـ فاينسول فراش.

أوغندا:

1 ـ وانساوا بيير سابستيان.

2 ـ السيد ذو الفقار.

3 ـ السيد سكويما.

إيران:

1 ـ الدكتور حسين نصر.

إيطاليا:

1 ـ الدكتور محمد علي صبري.

2 ـ الدكتور رزّيتانو.

3 ـ الدكتور فيناتو يوزا كارلو.

4 ـ ميريلا بيانكو.

5 ـ بابا ميشيل.

6 ـ بيانكا ماريا سكارشيا.

7 ـ فينشنسو ستريكا.

8 ـ دي بورتوليس.

9 ـ جوبو ميشيل.

10 ـ لوشيتا فرنسيسكا.

11 ـ لوشيتا جيفليانو.

12 ـ سوفينتيني ناتالي.

13 ـ ليفي فرجيلو.

14 ـ جيوفاني أومان.

15 ـ فوغارتي أنتونينو.

16 ـ سفرازا أنجيلو.

17 ـ برتي أليساندرو.

18 ـ بييرو روسانو.

19 ـ جيانكارلو فينازّو.

20 ـ ستراكا سلفانو.

21 ـ لاورا فيشيا فاغلييري.

22 ـ لاورا فيشيا سكافالي.

23 ـ فيشيو دومينو.

24 ـ كابوفيتو جيوسبي.

25 ـ أوغسطينو بابا.

26 ـ بوويريو ليبوريو.

27 ـ بوروسو أنورينو.

28 ـ أنطونيوزي داريو.

29 ـ أنطونيو ألووي آبل.

30 ـ بيليو ساباستيانو.

31 ـ فيديريكو بيروني.

32 ـ مابينو لاليو.

33 ـ فينيكيو دومينيكو.

34 ـ ماركو بوليتي.

35 ـ دومينيكو ساسوي.

36 ـ فريديريكو مانديللو.

37 ـ فابريشيو دي سانتي.

38 ـ السيد كاجيانيش.

39 ـ أنتونيزيو آلوك.

باكستان:

1 ـ خليل أحمد الحامدي.

2 ـ محمد آتور رحيم.

3 ـ طلال أسد.

4 ـ الدكتور إقبال أونوس.

5 ـ الدكتور عمر خان.

6 ـ الدكتور ميشيل دي سويا.

البحرين:

1 ـ إبراهيم العريض.

البرازيل:

1 ـ سامي عازر.

البرتغال:

1 ـ الدكتور سليمان فالي محمد.

2 ـ جوزي سووا مونتيرو.

3 ـ أغريتا فاو.

4 ـ سين موريس.

5 ـ بارا هونا دافونسيلا.

6 ـ بوسيفيكو آرتور.

7 ـ السيد أميرو.

بريطانيا:

1 ـ وليم مونتغمري وات.
2 ـ حامد معروف.
3 ـ ألكسندر أليستان كيي.
4 ـ باتريشيا موريس.
5 ـ الدكتور عبد الحي شعبان.
6 ـ إبراهيم أحمد بواني.
7 ـ عائشة بواني.
8 ـ أنتوني ناتنج.
9 ـ أدموند هايدن أوشيدان.
10 ـ ج. ر. بورتر.
11 ـ جون هيل.
12 ـ السيد متولي ألدرس.
13 ـ آدم سيدريك فيفيان أنتوني.
14 ـ آدم إدريس.
15 ـ فيتزجيرالد ميشيل.
16 ـ بجونيه تروفير.
17 ـ عريفي علي زياد.
18 ـ نيل جيرارد.
19 ـ هيبليث ويت بيتر.
20 ـ الدكتور خورشيد أحمد.

بلجيكا:

1 ـ جان دلفوس.
2 ـ مارسيل بيرارد.

3 ـ ميشيل موليتور.

4 ـ جيرارد فورتيز.

5 ـ بيير دلاّوس.

تركيا:

1 ـ لطفي دوغان.

2 ـ الدكتور علي أرسلان.

3 ـ الدكتور محمد خطيب أوغلو.

4 ـ الدكتور صلاح تورك.

5 ـ الدكتور يوسف ضياء.

6 ـ عثمان سرّاج.

7 ـ مصطفى رونيون.

8 ـ هداي بايك.

9 ـ عبد القادر أوسكان.

10 ـ دار يندلوغلو.

11 ـ أرول علي سلار.

12 ـ بيليت أوكان.

13 ـ نوري داي تاهيم.

14 ـ أكونيرال إيرال.

15 ـ تيباس أوجوز.

تشاد:

1 ـ قلماي يوسف.

1 ـ الدكتور فرانتسك كوماسك.

توجو:

1 ـ بللي أمفوتي.

تونس:

1 ـ محمود الباجي.
2 ـ عثمان الكعاك.
3 ـ أحمد الشرفي.
4 ـ الدكتور بشير التركي.
5 ـ هشام جعيط.
6 ـ محمد بن عرفة.

الجزائر:

1 ـ الطاهر زيتوني.
2 ـ محمود سوتري.
3 ـ علي عبد الكريم عمار صالح.
4 ـ علي عبد القادر مادية.
5 ـ محمد العيشوبي.
6 ـ محمود هشوتي.

جزر الباربادوس:

1 ـ ساسي غرانزي.

جنوب أفريقيا:

1 ـ سليمان أبو بكر.

الدانمارك:

1 ـ جان زكريا ياسين.

2 ـ سويند هولم نييلسن.

3 ـ كارين هولم نييلسن.

رومانيا:

1 ـ محمد يعقوب.

2 ـ يوسف درويش.

3 ـ سعدي مانات.

4 ـ عثمان نجاة.

5 ـ ستان ألكسندرو.

6 ـ أنتيم نيكا.

7 ـ ستامر جوزيف.

زائير:

1 ـ حساني سابيتي مافوتانينجي.

2 ـ كيبيتي زالاماهيكيبا.

3 ـ تشيبانغو سيسكو.

زنجبار:

1 ـ محمد عبد المطلب هاشم.

سلفادور:

1 ـ جيولير موماتشون دي باز.

السنغال:

1 ـ ديون فرنسيس زافين.

2 ـ أبو بكر ديوب أوبيي.

3 ـ سي الشيخ تدياني.

السودان:

1 ـ الدكتور عثمان شاهين.

2 ـ الشيخ عوض اللّه صالح محمد.

3 ـ الدكتور حسين محمد الفاتح قريب الله.

4 ـ الدكتور أحمد الأزرق.

5 ـ الدكتور أحمد عبد السلام هيبة.

6 ـ الأب راضي إلياس.

7 ـ بابكر كرّار.

8 ـ إبراهيم عبد القيوم.

9 ـ أحمد عباس البدوي.

10 ـ كريستوفر. م. هون.

سورية:

1 ـ صلاح الدين الشاش.

2 ـ الشيخ حسين خطاب.

3 ـ قاسم هبة.

4 ـ الشيخ عبد الرزاق الحلبي.

5 ـ توفيق الطيب.

6 ـ الدكتور عبد الرحمن عطبة.

7 ـ محمد فائز القصري.

8 ـ خير اللّه صبحي الجعفري.

9 ـ حسن عبيد.

10 ـ فتحي الصبح.

11 ـ بديعة الجزائري.

12 ـ الشيخ صادق حبنكة الميداني.

13 ـ إلياس زحلاوي.

14 ـ جلال حسام الدين محمد.

السويد:

1 ـ جان هيربي.

سويسرا:

1 ـ لانز رينهار.

2 ـ برونر جوزيف.

3 ـ مارتن بير.

4 ـ دوبوا جاك.

5 ـ فوشر نيللي.

6 ـ فوش جورج.

7 ـ كامبرل والتر.

8 ـ برونو هولتز.

9 ـ فلوري سلبرت.

10 ـ ميشيل بانارل.

سيريلانكا:

1 ـ فاروق عبد اللّه.

الصومال:

1 ـ آدم شيخ عبد اللّه.

2 ـ محمد حاج يوسف أحمد.

3 ـ علي أحمد حسن.

4 ـ حسن عبد اللّه فارح.

العراق:

1 ـ اللواء محمود شيث خطاب.

2 ـ عبد الرزاق شبيب.

3 ـ الدكتور جواد علي.

4 ـ السيدة جواد علي.

5 ـ الدكتور أحمد الكبيسي.

6 ـ المطران سويريوس جميل حنا.

7 ـ الصادق الشافعي.

8 ـ المطران عمانويل جرجس دلي.

9 ـ عمر بطّاوي.

10 ـ عمانويل جورج.

11 ـ جمال البرزنجي.

غينيا:

1 ـ الحاج موسى داكييت.

2 ـ محمد بوليا دومبويا.

3 ـ عمر دياباتي.

4 ـ ستوكلي كارمايكل.

الفاتيكان:

1 ـ نيافة الكاردينال سيرجيو بينيودولي.

2 ـ المونسنيور بييرو روسّانو.

3 ـ الأب فرنسوا أبو مخ.

4 ـ الأب جاكوب لانفري.

5 ـ الأب أرنولف كامبس.

6 ـ الدكتور أنطوني شوليكال.

7 ـ الأب جوزيف كوك.

8 ـ الأب موريس بورمانس.

9 ـ الأب آري روست كروليوس.

10 ـ الأب غومس نوغلاس دو غاليس.

11 ـ الأب جورج قنواتي.

12 ـ الأب لوك سنكار.

13 ـ الأب فرنسوا ديون.

14 ـ الأب أنطوني سانوسي.

15 ـ الأب فيديريكو بيروني.

16 ـ الأب توماس دونلان.

17 ـ الأب دومينيكو كاليوراس.

18 ـ الأب أشيلي دي سوزا.

19 ـ الأب زاخارياس ريميرو.

20 ـ الأب جوزيف خوري.

21 ـ الأب ج. ر. بورتللي.

22 ـ الأب جيوفاني كاغانيللي.

23 ـ كارلوس إيجو فالجو.

24 ـ كياكومو بودريتي.

25 ـ ألفسي سلفان.

26 ـ جوزيف فاندريس.

27 ـ أوبرت سوريا.

28 ـ فيريليو لفت.

29 ـ سلفانو ستراكا.

30 ـ أنتونيو فوكاردي.

31 ـ جوزيف فيتز جيرالد.

32 ـ الأب فيتز جيرالد ميشيل.

فرنسا:

1 ـ مكسيم رودونسون.

2 ـ حمزة أبو بكر.

3 ـ لويس تيرنوار.

4 ـ أليزابيت تيرنوار.

5 ـ جورج مونتارون.

6 ـ بيير لولونج.

7 ـ جان بول شارنييه.

8 ـ أندريه ماندوز.

9 ـ جيلوت جوزيف.

10 ـ كوك جوزيف.

11 ـ أريك رولو.

12 ـ السيد هوفمان.

13 ـ أندريه فيمو.

14 ـ ستولوجان ساندا.

15 ـ زيونتشيك ترين.

16 ـ حبيب دو لونكل ميشيل.

17 ـ روك جان كور روجيه.

18 ـ أدوار طربيه.

19 ـ السيد أندرونيكوف.

20 ـ السيد شابانيس.

21 ـ بشير البكري.

22 ـ فاندريس جوزيف.

23 ـ بيرليه هيبوديت.

24 ـ موريس بورمانس.

25 ـ سلفان جورج.

26 ـ جاك لنفري.

27 ـ بواسوند دي شافينيي روبير.

28 ـ كارجيان كالوس.

29 ـ شوڤالييه دوافارد.

30 ـ كراسات ج. روي.

31 ـ بابولو جان بير.

فلسطين:

1 ـ الدكتور أحمد صدقي الدجاني.

2 ـ نايف حواتمة.

3 ـ الدكتور كامل محمود خلّة.

4 ـ الدكتور أحمد عدوان.

5 ـ الدكتور أمين توفيق الطيبي.

فنزويلا:

1 ـ رافائيل كالديرا.

2 ـ جوزيه لازو.

3 ـ جوزيه فيشنتي رينال.

قبرص:

1 ـ ياسميد ستيللاكيس.

2 ـ بيتساس كريستاس.

قطر:

1 ـ الدكتور إبراهيم كاظم.

كندا:

1 ـ الدكتور هنري حبيب.

كوريا الجنوبية:

1 ـ هيونيت كو يون.

2 ـ الحاج صبري سو.

3 ـ جون كيل سو.

كوستاريكا:

1 ـ واتسون لوكوود.

كونغو كينشاسا:

1 ـ الشيخ عمران جمعة.

2 ـ الشيخ حسن ثابت.

الكويت:

1 ـ جاسم القطامي.

2 ـ الدكتور محمد غانم الرميحي.

3 ـ محمد مساعد الصالح.

4 ـ عبد اللّه خلف.

5 ـ الدكتور محمد المهيني.

6 ـ سعاد عبد اللّه.

7 ـ هداية سلطان السلم.

8 ـ عبد المحسن عبد العزيز.

9 ـ عبد اللّه علي شعيتو.

كينيا:

1 ـ الدكتور يوسف علي إيراج.

2 ـ محمد أحمد صابر.

لبنان:

1 ـ عزت سليم حرب.

2 ـ شفيق الوزان.

3 ـ الدكتور حسن صعب.

4 ـ الدكتور عمر فروخ.

5 ـ الدكتور صبحي الصالح.

6 ـ المطران غريغوار حداد.

7 ـ وفيق الطيبي.

8 ـ ليلى الطيبي.

9 ـ المطران اثناسيوس افرام برصوم.

10 ـ الدكتور يواكيم مبارك.

11 ـ الأب أغناطيوس سركيس.

12 ـ سامي القادري.

13 ـ محمد هشام القطّان.

14 ـ جان درويش.

15 ـ ضيف أبو الريش.

16 ـ سامي محمد حاجي.

17 ـ غسان ملقي.

ليبيا:

1 ـ الدكتور محمد أحمد الشريف.

2 ـ أحمد الشحاتي.

3 ـ إبراهيم الغويل.

4 ـ الدكتور عمر التومي الشيباني.

5 ـ الدكتور محمد دغيم.

6 ـ احميده الزليطني.

7 ـ حامد الحضيري.

8 ـ الدكتور ياسين عريبي.

9 ـ رجب ساسي.

10 ـ عمر شنشن.

11 ـ الصيد نوحة.

12 ـ الدكتور عبد المولى المصراتي.

13 ـ جبريل شلوف.

14 ـ عبد اللطيف كيخيا.

15 ـ الدكتور عبد الرحمن الميلادي.

16 ـ محمد التومي.

17 ـ علي مفتاح الشويطر.

مالطا:

1 ـ الأب مينتوف.

2 ـ البروفسور موريس أمينيان.

3 ـ فكتور كريتش.

4 ـ جوزيف أبويللوني.

5 ـ بلاركو جون.

6 ـ ديميش جوزيه.

7 ـ كورديانا جوزيف.

8 ـ كريش كارمل.

9 ـ موسكات فريدريك.

10 ـ مامز إيفان.

11 ـ برنكات ليو.

12 ـ بروتيجيب نويل.

13 ـ كارمينو فيللا.

مالي:

1 ـ أحمد البكاي كونته

2 ـ سنغار أوغستو.

3 ـ سنغار لوك.

ماليزيا:

1 ـ قمر الدين محمد.

2 ـ أمير حمزة.

3 ـ خير الدين الحاج محمد.

4 ـ ينكما إبراهيم.

مصر:

1 ـ الدكتور محمد خلف اللّه أحمد.

2 ـ الدكتور أحمد عزة عبد الكريم.

3 ـ الدكتور محمد صفي أبو العز.

4 ـ الدكتور إبراهيم محمد الخولي.

5 ـ عبد الصبور شاهين.

6 ـ الدكتور مصطفى الشكعة.

7 ـ الدكتور مصطفى محمود.

8 ـ حسن عوض نفوسة.

9 ـ الأب جورج شحادة قنواتي.

10 ـ الدكتور رمسيس بهنام.

11 ـ الدكتور دنيس جونسون دافير.

12 ـ طولي أدرسون.

13 ـ أغناطيوس غطاس سركيس.

14 ـ السيد متولي الدرش.

15 ـ الدكتور بركات عبد الفتاح دويدار.

المغرب:

1 ـ السملالي أوراغ حسن.

2 ـ الدكتور محمد أسد.

المكسيك:

1 ـ سليم عبود.

2 ـ رايماند أنيسك.

موريتانيا:

1 ـ الشيخ عبد اللّه بن بويا.

2 ـ الشيخ محمد سالم عبد الودود.

3 ـ الشيخ محمد أبو مدين.

4 ـ روبرت سفجي.

5 ـ حمود بن سعيد.

النمسا:

1 ـ فون فاين.

2 ـ إسماعيل باليك.

3 ـ الدكتور ويللي لورنز.

النيجر:

1 ـ بيريير هيبوليت.

2 ـ بو بكر بيللو.

نيجيريا:

1 ـ عبده أولتا فندي.

2 ـ يحيى رفاعي.

3 ـ أنتوني بانفزي.

4 ـ أكيلي. د. أكيلي.

5 ـ عبد السلام أولاتوند.

6 ـ الدكتور أنطوني سانوسي.

الهند:

1 ـ الدكتور وحيد الدين خان.

2 ـ أ. ك. زين الدين.

3 ـ الدكتور بوتاني.

4 ـ الدكتور أنطوني شوليكال.

هولندا:

1 ـ آري روست كروليوس.

الولايات المتحدة الأمريكية:

1 ـ الدكتور أكبر محمد.

2 ـ الدكتور إسماعيل الفاروقي.

3 ـ الدكتور محمد عبد الرؤوف.

4 ـ ستوكلي كارمايكل.

5 ـ جوزيف بارودي.

6 ـ مظفر الدين حامد.

7 ـ كريستوفر كينيث فاندربول.

8 ـ الدكتور نعيم أكبر.

9 ـ محمد طاهر.

10 ـ لورنا هاهن.

11 ـ الدكتور حامد الكور.

12 ـ باتريس إبراهيم.

13 ـ الدكتور محسن مهدي.

14 ـ الدكتور فوزي النجار.

15 ـ إقبال يونس.

16 ـ جمال البرزنجي.

17 ـ بابكر أحمد الحسن.

18 ـ الدكتور رشاد خليفة.

19 ـ جون. م. ستون.

20 ـ ليونارد سويدلر.

21 ـ مجيد سليمان الكاظمي.

22 ـ ميشيل ساعة.

23 ـ نوفيتني جون ألف.

24 ـ مسعود مسعودي.

25 ـ دونالد توماس.

اليابان:

1 ـ الدكتور عمر خان يوسف.

2 ـ عبد الكريم سايتو.

3 ـ الدكتور كوجيرو ناكامورا.

4 ـ خالد فتاكي.

5 ـ يوشيكا أوتاكا.

6 ـ شوقي فتاكي.

7 ـ ماموي أوكيدا.

8 ـ ماسووو تاكيجاوا.

9 ـ أوتاكو ياماجوسي يوشيكو.

10 ـ أوسامو ياماني.

اليمن:

1 ـ الشيخ أحمد محمد زبارة.

2 ـ الشيخ محمد إسماعيل العمراني.

3 ـ أحمد عبد الرحمن المعلمي.

4 ـ عبد الرزاق فرفور.

يوغوسلافيا:

1 ـ أحمد يوسف سباهيتش.

2 ـ الحاج نعيم عبديتش.

3 ـ الدكتور حسين جوزر.

4 ـ الدكتور أحمد إسماعيلوفيتش.

5 ـ حسين عبديتش.

اليونان:

1 ـ نيكولاس نيسيوتيس.

2 ـ جورج روبيتيس.

3 ـ آغا أمين مصطفى.

4 ـ آغا حسين مصطفى.

5 ـ صبيحة آغا حسين.

6 ـ عبد اللّه محمود إمام توفيق.

7 ـ كالوفيراس دومينيكو.

8 ـ الدكتور أنكلوزاريس.

كلمات الافتتاح

1 ـ الدكتور محمد أحمد الشريف: رئيس الوفد الإسلامي.

2 ـ نيافة الكاردينال سيرجيو بينيودولي: رئيس الوفد المسيحي.

كلمة الأخ الدكتور محمد أحمد الشريف

رئيس الوفد الإسلامي في جلسة الافتتاح

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على جميع الأنبياء والمرسلين.

أيها المؤتمر الكريم،

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

يسعدني أن أرحب بكم في الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى أرض ثورة الفاتح من سبتمبر التي انطلقت لتعيد للإسلام مجده، ولتعمل من أجل تحرير الإنسانية من كل ألوان الظلم والاستعباد، لقد أكدت هذه الثورة في منطلقاتها الأساسية على القيم الروحية الخالدة التي تحفظ كرامة الإنسان حيثما كان وتحترم حقه في الحرية والعدل والسلام.

إنني أحيي جميع المشاركين في هذا المؤتمر وكل أولئك الذين يتابعون هذا اللقاء الإنساني الرفيع سائلاً المولى العلي القدير أن يكلل أعمالنا جميعاً بالنجاح ويجعلها خالصة لوجهه الكريم.

أيها الأخوة:

إننا نجتمع هنا ونفوسنا يملأها الإيمان بالله الواحد الأحد. كلنا شوق

وأمل في أن يكون حوارنا مسلمين ومسيحيين من أجل خير المؤمنين، وخير الإنسانية التي تعيش في هذا العصر تجارب عصيبة لا عاصم لها فيها إلا الإيمان والعمل الصالح.

إن الحوار بين المسلمين وغيرهم من العالمين قديم قدم الدعوة الإسلامية وقد وضع له القرآن الكريم قواعد وآداباً فقال تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: 125].

وتكتسب هذه المجادلة أهمية خاصة مع أهل الكتاب ﴿۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: 46]. ثم نجد الاهتمام الأكبر لمحاورة فريق من أهل الكتاب هم المسيحيون الذين يقول عنهم القرآن: ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [المائدة: 82 و83] وفي آيات كثيرة يصور الإسلام في كتابه المسيحية أرفع تصوير ويعطي عيسى عليه السلام مكانة سامية حين يصفه بأنه كلمة الله وأمه صِدِّيقة.

وقد كان الرسول عليه السلام يحاور المسيحيين ويجادلهم مباشرة أو عن طريق الكتب التي بعث بها إلى ملوكهم ورهبانهم. وكذلك فعل صحابته وخلفاؤه من بعده وكانت ثمرة ذلك الحوار تعرُّفاً واضحاً من الطرفين على تعاليم كل من الدينين، وأدى ذلك إلى إقامة علاقات من التفاهم والتعاون من أجل العدل والخير ... وكان الجميع يعيشون تعاليم الآية الكريمة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: 13].

ثم جاءت ظروف انقطع فيها الحوار فانقطعت المعرفة وذهب الخير

والعدل . . . وفي السنوات القليلة الماضية تجددت الرغبة في الحوار من جديد بعد أن تحررت أجزاء كثيرة من أرض الإسلام وأصبح بالإمكان قيام حوار يصلح من أمرنا ويعيد للحق نصابه وللمعرفة قدرها، لقد تم أكثر من حوار بين المسلمين والمسيحيين في هذه الأعوام الماضية وكان طبيعياً أن تقتصر بعض اللقاءات التي تمت على الجزئيات أو على وسائل التعرف على الدين الآخر أو الإعلان عن النوايا الطيبة وواجه الاتفاق المرغوب فيها، وبالرغم من أن حوارنا هذا لن يكون إلا مرحلة من مراحل الحوار بين الفريقين إلا أنه لا بد له من أن يكون حواراً يضع العلامات الكبرى على طريق التعاون بين المسلمين والمسيحيين.

فنحن نعيش في عالم صغير تواجه فيه الإنسانية مشكلات روحية ومادية كبرى تحتاج إلى معالجات وحلول. ولما كان أتباع المسيحية والإسلام يشكلون عدداً كبيراً بين سكان هذه الأرض فإن وضع حد لكل ما يفرقهم ثم جمعهم على كلمة سواء سوف يؤدي إلى تكثيف جهودهم من أجل الخير والسلام للعالمين.

إن لقاءنا هذا هو لقاء الصراحة والحق والعمل الإيجابي الجاد، ولذلك ترانا نؤكد على منطلقات هامة لا بد من أخذها في الاعتبار. حقاً إننا لا نستطيع أن نلغي التاريخ أو نعيد تفسير أحداثه وفقاً لظروف زماننا، ولكننا نستطيع أن نستخلص منه العبر لنتمكن من أن نصنع تاريخ عصرنا.

إن في عالمنا مشكلات كبرى تواجهنا وتواجه أجيالنا القادمة. وقد ظهر في القرنين الماضيين العديد من النظريات والإيديولوجيات وادعى كل منها أن عنده الحلول النهائية لمعضلات الإنسان، ولكنها جميعاً انتهت إلى تخبط اجتماعي وأخلاقي خطير، ومن ثم دعت الحاجة إلى التساؤل عما إذا كان بالإمكان أن يكون الدين إيديولوجية للحياة، ويشكل هذا السؤال الموضوع الأول لحوارنا ثم يتناول الحوار بعد ذلك موضوعات ثلاثة تتصل بالعدل الاجتماعي، وبالأسس المشتركة بين الدينين، وبالأحكام المسبقة عند الفريقين

ووسائل معالجتها. ونعتقد أن هذا الأسلوب في العمل سوف يؤدي إلى نتائج إيجابية هامة تتمخض عن الحوار دون أن تكون معدة سلفاً، من أجل الإعلان عن النوايا الحسنة من الجانبين.

إننا في حوار جاد مما ينبغي معه أن تقوم أعمالنا على الثقة والصراحة، ولذلك لا بد لنا أن نؤكد هنا إيمان المسلمين بحقيقة رسالة عيسى عليه السلام وأنها جزء من إيمان المسلم لا تكمل عقيدته بدونها. وقد جاء في بيان المجمع المسكوني الثاني بتاريخ 28/ 10/ 1965 ما يشير إلى تفهم المسيحيين لجوانب هامة من العقيدة الإسلامية. ويعتبر هذا موقفاً إيجابياً يؤدي بكل تأكيد إلى روح المعرفة والفهم التي انقطعت بين أتباع الدينين فترة من الوقت ويبقى تعرف المسيحيين على حقيقة نبوة محمد عليه السلام الذي بشر المسيح برسالته ضماناً فعالاً لانطلاق حقيقي في التعاون الإسلامي المسيحي يقطع كل طريق قد يأتي منها الظلم والفساد ويقتضي هذا أن تتضافر جهود العاملين من علماء المسلمين والمسيحيين من أجل تبليغ رسالة الله لبني البشر الذين لا زالوا محرومين منها؛ ولا يتحقق ذلك إلا بالامتناع عن فتنة أحد الفريقين لأتباع الفريق الآخر لأن ذلك يتنافى مع الإيمان بالقيم المشتركة للدينين ويؤدي مرة أخرى إلى التنازع الذي شتت الجهود في الماضي وأفضى إلى الظلم والجور.

ولما كان الأساس الذي ننطلق منه هو الثقة في أنفسنا وأعمالنا، فإننا لا بد أن نسجل هنا تعطش الأجيال الشابة للإيمان. ومثاله ما نراه من إقبال الشباب على الإسلام في الأمم المتقدمة والنامية على السواء لأنه دين الفطرة. ولذلك فإن الحوار بين المسيحيين والمسلمين لا يجري في فراغ ولا هو من أجل ترف عقلي وإنما يهدف إلى تأكيد الإيمان والعمل الصالح في نفوس المعاصرين لنا جميعاً، وحتى تتحقق كل النتائج المرجوة فإنني أؤكد هنا لإخواننا المسيحيين بأننا ننطلق معهم من الإيمان بالإله الواحد، فعقيدة التوحيد بكل ما فيها من صفاء وحق هي العاصم لنا في أمرنا والله في التصور الإسلامي واحد أحد ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، وهو الذي بعث الرسل جميعاً هداة خير

ورحمة للعالمين، فكان عيسى عليه السلام رسول محبة وخير، وكان محمد عليه السلام خاتماً للأنبياء والمرسلين.

إننا معشر المسلمين انطلاقاً من عقيدتنا الإسلامية وليس من اجتهادنا أو استجابة للظروف الاجتماعية أو من أغراض حسن الجوار، ننظر للمسيحيين بأنهم أهل كتاب وأنهم أقرب أهل الأديان إلى ديننا ويشهد التاريخ أن المجتمع الإسلامي في عصور ازدهاره قد فتح المجال أمام المسيحيين ليتبوأوا مراكز كبرى في الدولة الإسلامية.

من هذا كله ومن النوايا الطيبة التي لمسناها خلال الإعداد لهذه الندوة يتضح لنا أن حوارنا هذا تتوفر له كل فرص النجاح. والله دائماً هو الموفق إلى ما فيه الخير.

وخير ما أختم به كلمتي هذه قول الحق تبارك وتعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ﴾ [الشورى: 13].

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

كلمة نيافة الكاردينال سيرجيو بينيودولي

رئيس الوفد المسيحي في جلسة الافتتاح

أبدأ قبل كل شيء بالتعبير عن شكر أمانة السرّ لغير المسيحيين وجميع الأشخاص الأعزاء المرافقين لنا، كاثوليكيين كانوا أو غير كاثوليكيين، للحكومة الليبية الكريمة ورئيسها وشعبها العظيم على دعوتهم إلى هذه الندوة، وكرمهم الفائق، إذ أصروا، رغم ممانعتنا، على تحمل نفقات السفر والإقامة لكل الأعضاء والمراقبين.

لن أدخل في تفاصيل الحوار والمواضيع التي أعدّت، فسيقدّمها أشخاص أكفّاء ويدير مناقشاتها باسم أمانتنا **المونسنيور بييرو روسّانو** نائب رئيس لجنة العلاقات الإسلامية المسيحية، يساعده **الأرشمندريت فرنسوا أبو مخ** سكرتير اللجنة نفسها. وأكتفي الآن أن ألفت انتباهكم إلى قيمتين مشتركتين وجوهريتين تكوّنان موضوع لقائنا وتبرّران ندوتنا ذاتها إذ تضعانها ببساطة، لا على مستوى حديث كلامي بسيط مبنيّ على ما يسميه **لويس ماسينيون** «فضولاً فكرياً»، بل على مستوى لقاء حيّ بين أشخاص روحانيين يؤمنون بالله الواحد الرحمن الرحيم. وهنا أحبّ أن أذكر لكم صلاة نتلوها يوم الثامن من يناير وتستطيعون أنتم إخوتنا المسلمين أن تتلوها معنا نحن المسيحيين: «تطلّع اللّهم إلى جميع الذين يعبدونك أنت الإله الحقيقي، وينتظرون ديونتك في اليوم الأخير».

القيمة الأولى هي عبادة الله خالق الكون وربّه الذي أظهر إرادته للناس وعلّمهم طرق العدل والسلام ويقود كل واحد منهم نحو خلاصه الأبدي. إن هذا التوحيد النبوي المشترك بين ديانتينا والدين اليهودي، يقرّب بيننا ويوحّدنا في أخوّة ذات أهمية خاصّة. كما أن أسماء الله الحسنى التسعة والتسعين التي يكرّرها المسلم المتديّن على سبحته تطابق في جوهرها، أسماء إله الوحي والتقليد المسيحي. ونحن جميعاً مسلمين ومسيحيين نضع أنفسنا وحياتنا كلها تحت رعاية الإرادة الإلهية، ونسلّم الله ذواتنا. إن القرآن الكريم يتوجّه إلينا نحن أهل الكتاب بكلمات ترددونها لنا مرات كثيرة ونشكركم عليها: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ﴾ [المائدة: 48]. وأيضاً: ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ﴾ [المائدة: 82]. ويأمر القرآن الكريم: ﴿۞ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: 46].

والقيمة الثانية التي أريد أن أتوقّف أمامها وأتأمل فيها لحظة، هي الأخوّة التي تجمعنا، أنتم ونحن وكل الناس، وتفرض علينا واجباً ثقيلاً هو واجب المحبة والتعاون. فالوحي المسيحي (وخصوصاً الإنجيل المقدس) من جهة، يجعل من محبة القريب وصية تشبه وصية محبة الله (متى 22: 36 ـ 38)، (يوحنا 12: 34)، (يوحنا 4: 21، متى 22: 40) ونقول: وصية مشابهة لأن الوصية العظمى هي محبة الله.

والقرآن الكريم والتقليد الإسلامي من جهة أخرى، يعلّمان أن المسلم المؤمن هو الذي ينصرف إلى الأعمال الحسنة ولا يكتفي بالتعبّد وحفظ الطقوس: ﴿۞ لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ

بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَـٰهَدُواْ وَٱلصَّـٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: 177] ويبدو لنا أننا قد عبّرنا بأمانة عن القيم العميقة لديانتينا باختيار مواضيع هذه الندوة.

وأنهي كلمتي هذه باعتبار أخير: إن القيمتين السابقتين النابعتين من علاقتنا كبشر مع الله ومع الناس، ليستا وقفاً علينا نحن المسيحيين والمسلمين فحسب، بل يتوجّب على أتباع الديانات الأخرى أن يدرسوهما درساً عميقاً وحيّاً. وكذلك حوارنا المسيحي الإسلامي لا يعني إطلاقاً التقليل من أهمية حوارنا مع كل الديانات الأخرى. وأعتقد أن الإسلام يتبنى الموقف نفسه حتى تجاه الديانات التي لا تنتمي إلى التوحيد. وبعد هذا كله يبدو من حقّي أن أقول أن الحوار الإسلامي المسيحي يتمتّع بميزات خاصة: فالقرآن الكريم نفسه يؤكد أن المسيحيين هم أقربهم مودة للذين آمنوا (سورة 5: 85). ولقد كتب الأستاذ علي مراد في كتابه الأخير «شارل دي فوكو في نظر الإسلام» (طبعة شاليه 1975): يجب عليهم أن يعرفوا كمسلمين، وإن كانوا قليلي الاطلاع على المسائل القرآنية، أن الكلمة الفصل في علاقات المسلمين مع المسيحيين الحقيقيين هي الصداقة (ص68). فنحن نفتتح هذا الحوار بروح الأخوّة، لا لنتجابه، ولا لندين بعضنا بعضاً، ولا لنقلّل من إيمان كل واحد منا، بل بروح الاحترام والمحبة الكاملة بعضنا نحو بعض. وأزيد فأقول: في الإرادة المخلصة الصادقة في أن نكون بعضنا لبعض ـ وأمام العالم الذي لا يشاطرنا إيماننا التوحيدي ـ شهود الله، نعمل على تتميم إرادته، وشهود أخوّة حقيقية شاملة وطواعيّة صادقة للخدمة. إنني أعتقد أن واجبنا نحو الأجيال الجديدة يفرض علينا بذل جهودنا الفعّالة لتحقيق العدل ومنع الظلم: ﴿تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [آل عمران: 110] والسلام عليكم.

عناوين البحوث وأسماء الباحثين

البحث الأول: هل يمكن للدين أن يكون إيديولوجية للحياة؟

1 ـ الباحث الإسلامي: الدكتور عبد الرحمن عطبة.

2 ـ الباحث المسيحي: **الدكتور أنطوني شوليكال.**

البحث الثاني: العدل الاجتماعي ثمرة الإيمان بالله

1 ـ الباحث الإسلامي: **الأخ إبراهيم الغويل.**

2 ـ الباحث المسيحي: **الأب الدكتور أرنولف كامبس.**

البحث الثالث: الأسس المشتركة بين الديانتين في المعتقدات ومواطن اللقاء في ميادين الحياة.

1 ـ الباحث الإسلامي: **الدكتور إسماعيل الفاروقي.**

2 ـ الباحث المسيحي: **الأب موريس بورمانس.**

البحث الرابع: كيف نعمل على إزالة الأحكام المسبقة الخاطئة وضعف الثقة التي لا تزال تفرق بيننا.

1 ـ الباحث الإسلامي: **الأخ محمد العيشوبي.**

2 ـ الباحث المسيحي: **الأب جاكوب لانفري.**

كَلمَة الأخ المفكِّر العَقيد مُعَمَّر القَذَّافي قائِد ثورة الفَاتح مِن سبتمبر العظيمة في مُداخَلته في النقَاش يوم 3 صفر الموافق 2 النوَّار/ فبراير (شباط) 1976 مسيحي

شارك الأخ المفكر العقيد معمر القذافي قائد ثورة الفاتح من سبتمبر العظيمة في الحوار الذي جرى في الجلسة المسائية لندوة الحوار الإسلامي المسيحي. . .

وقد قدم رئيس الندوة الأخ العقيد لإبداء ملاحظات حول هذا الحوار فاستهل حديثه بكلمة رحب فيها بالأخوة الحاضرين من مسلمين ومسيحيين. . وقال (نحن سعداء في الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى بوجودكم وممنونون جداً بهذا اللقاء وتلبيتكم لهذه الدعوة. . وإن هذا اللقاء يشرف الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى التي تعتبر أن حضور هذه الندوة هو تطوع من أجل الخير وليس من أجل مصلحة وطنية للجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى. . .

نرجو أن تطول إقامتكم ونعتبر الدعوة مفتوحة لكم جميعاً في أي وقت من الأوقات للإقامة ولزيارة الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى. . .

وقد طرح الأخ العقيد بعد ذلك سؤالاً حول ما إذا كانت دولة الفاتيكان مقامة على أساس ديني أم أساس وضعي، وطالب الأخ العقيد أن تكون الإجابة على هذا السؤال من أحد أعضاء الفاتيكان. .

وقد رد الدكتور /روسانو/ وهو أحد أعضاء الوفد المسيحي على سؤال الأخ العقيد حيث أعطى لمحة تاريخية عن مدينة الفاتيكان ونسب تسميتها إلى أحد التلال السبع التي تقع فوقها روما وسرد المتحدث التطور الذي حدث للفاتيكان عبر العصور إلى أن وصل إلى أن الفاتيكان ليس دولة بمعنى الكلمة ولكن هناك مقر للبابا الذي تُعتبر له حقوق دولية. . . وقال أن مقر البابا هو الذي نعتبره الدولة بصورة آلية بوصفه جهازاً له كيانه القانوني. . .

وأوضح المتحدث بأن البابا بالرغم من وجوده في الفاتيكان وباعتبار وصفه رئيساً لدولة مدينة الفاتيكان فإن وجوده لا يتعلق ولا يرتبط بجوهر الكنيسة. .

وبعد ذلك أعاد رئيس الندوة الحديث إلى الأخ العقيد معمر القذافي الذي عقب على شرح الدكتور/ روسانو. . فقال «إنه أوضح لنا حقيقة كبيرة وهي أنه ما دام الفاتيكان ليس دولة بمعنى الكلمة المتعارف عليها فمعنى هذا أنه لا يوجد في العالم المسيحي دولة على أساس الدين المسيحي». .

نستطيع أن نقول أنه لا توجد حتى الآن دولة أو جماعة إنسانية منظمة نفسها على أساس الشريعة المسيحية مثلما كنا نعتقد أن الفاتيكان هو كذلك. .

أما وقد تبين لنا أنه ليس كذلك فإن بقية الدول المسيحية معروف نظامها الوضعي الذي تقوم عليه بالتفصيل. .

إن الأمر في هذا الجانب يختلف إذ أن هناك عدداً من الدول نظامها قائم على الشريعة الإسلامية ومنها الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى. .

وهناك عدد من الدول الإسلامية قائمة على هذا الأساس أقصد في العصر الحديث وفي هذه الفترة.

أما في التاريخ فهناك على الجانب الإسلامي أقيمت إمبراطوريات وحضارات عالمية عظيمة على أساس الشريعة الإسلامية. . هذه الحقيقة التي

يمكن أن تكون نتيجة تساعدنا على الإجابة التي نبحث عنها في ندوة اليوم أي أن الجواب موجود تاريخياً ومدنياً. .

لنفرض أننا توصلنا إلى الإجابة بنعم أو لا حول السؤال المطروح والتي هي في حد ذاتها الإجابة التي توصلت إليها الآن. . من يستطيع أن يجاوب إذا توصلنا إلى الإجابة بنعم أو لا وما هي الفائدة. .

هل في استطاعة المتحاورين من الجانبين عمل أي شيء بعد ذلك. . إذا توصلنا إلى أن الدين يمكن أن يكون دولة أو لا يمكن أي هل يمكن للدين أن يكون إيديولوجية للحياة. .

وقد رد على هذا السؤال الدكتور يوسف إيراج من الجانب الإسلامي الذي قال: إذا تمت الإجابة على هذا السؤال فإننا سوف نضع أساساً للحياة التي يمكن أن توفر للأجيال القادمة اتجاهاً صحيحاً. . وأضاف أن الإسلام هو دين وإن الإيديولوجية القائمة على أساس من التعقل لا تتعلق بهذا الاتجاه الروحي. .

وقال إن الإسلام كان واضحاً منذ البداية في هذا الموضوع. .

وعن نفس السؤال أجاب الدكتور /روسانو/ من الجانب المسيحي/ الذي تحدث في هذا الموضوع من وجهة النظر الكاثوليكية. . وقال: مما لا شك فيه أننا نستطيع أن نقول أن الدين ينبغي أن يزيل بعض الإيديولوجيات التي تدمر العالم اليوم. . «وطلب المتحدث أن تدان الإيديولوجيات المدمرة من الدين المسيحي والإسلامي كما أوضح أن الدين ينبغي أن يُحَرَّر من الجدلية التي تقود الإنسان نحو البؤس.

وأجاب عن هذا السؤال من الجانب الإسلامي الدكتور عزّ الدين إبراهيم الذي قال: إن مهمة المتحاورين في هذا المكان أن يشيروا إلى الحقائق البيِّنة وأن يقترحوا الحلول العملية. .

وأضاف: أمّا من وجهة النظر الإسلامية فإن السؤال قد أجيب عليه بنعم

على نحو ما، لأن الجانب الإسلامي رفض أن يعتبر الإسلام إيديولوجية؟..

ولاحظ الأخ العقيد معمر القذافي أن هناك مشكلة أخرى وهي الكم.. وقال: نريد أن نسأل هل الدين واحد أم أنها أديان تختلف؟... فإذا كان الدين واحداً فإن السؤال في محله أما إذا كانت الأديان شتى فإن السؤال يحتاج إلى ضبط..

وتساءل الأخ العقيد عن نظرة الحاضرين إلى الدين، هل ينظرون إليه على أنه دين واحد أم عدة أديان..

وقد رد على هذا السؤال من الجانب الإسلامي الدكتور «إسماعيل الفاروقي» الذي قال: إن الدين واحد في الأصل لأن الله واحد. وإذا كان الدين منبعه الله والله واحد لا يمكن إلا أن يكون الدين واحداً وقد أعطى المتحدث شرحاً مسهباً عن هذا الموضوع. وعلق الأخ العقيد معمر القذافي على الآراء التي طرحت، فقال: إنَّ معنى هذا أن هناك أدياناً مختلفة منها: الإسلام وديانات أهل الكتاب والإلحاد. وقال العقيد القذافي: إن الملحدين يجب إسقاطهم من النقاش لأنهم ليسوا داخل دائرة الدين.. ونحن نتكلم عن الدين..

وقال بقي طرفان وهما المسلمون وأهل الكتاب إذن حتى من وجهة نظر المسيحيين يرون أن هناك الكنيسة وهناك أديان أخرى وهناك الملحدون..

وأضاف: يبقى دائماً طرفان: الكنيسة وغيرها، أو الإسلام وأهل الكتاب وهما بمعنى واحد..

وقال: إن المشكلة لا زالت قائمة وكان بودي أن تكون البداية هي الحوار بين المسجد والكنيسة حتى نصل في النهاية إلى هل هذا دين واحد أم أنهما دينان..

وإذا توصلنا إلى أنهما دين واحد فيجب أن نُكيِّف حياتنا باعتبارنا أهل دين واحد وتزول كل المشاكل المترتبة على عدم اتفاقنا في الماضي على أساس أننا أهل دين واحد.

واستطرد الأخ العقيد يقول: وإذا كنا دينين فإن الحوار يتشعب إلى: هل أحدهما خطأ والآخر صحيح؟ وهل نستطيع أن نسير جنباً إلى جنب بالمسجد والكنيسة على أنهما دينان..

وقال الأخ قائد الثورة: عندما نصفي الجو الخاص بالعالم الذي يتعايش فيه الدينان الإسلامي والمسيحي نستطيع بعد ذلك أن نتحاور حول قيام الدولة على أساس الدين أو فصلها عنه، وبعد ذلك يصبح الحوار مختلفاً نوعاً ما..

وتساءل الأخ العقيد: هل الدينان الإسلامي والمسيحي يمكن أن تقام عليهما دولة.. وأضاف: الأجدر بنا أن نتحاور أولاً فيما يخص المشكلات والعلاقات بين الدينين وعندما نصل إلى قناعة مشتركة وأرضية مشتركة نستطيع أن نخطو خطوة أخرى وهي: هل في الإمكان تطبيق الدين على الدولة أم لا.

وعقَّب على ذلك الأستاذ صبحي الصالح الذي أعطى بدوره تصوراً كاملاً عن الدين الواحد الذي أنزله الله وحياً من عنده لعباده.. وقال: إن الدين في جوهره واحد ولكن أشكاله وصوره تعددت بتعدد الثقافات والحضارات والأوساط والأعراف..

ثم تحدث بعد ذلك الأخ إبراهيم الغويل الذي عقب بدوره على السؤال الذي طرحه الأخ العقيد عن وجود دين واحد أو عدة أديان..

وبعد ذلك تحدث الأب الدكتور غومس نوغاليس حول هذا الموضوع فأوضح أن جميع المؤمنين سواء كانوا مسيحيين أو مسلمين يعترفون بأن هناك ديناً واحداً يجب اتباعه. وأضاف: إنني كأستاذ للفلسفة في أسبانيا وجدت في الثقافة والحضارة الإسلامية ثروة كبيرة ترد على الكثير من التساؤلات المشتركة بين المسلمين والمسيحيين في كثير من المجالات رغم وجود بعض الاختلاف في وجهات النظر..

كما تحدث في الندوة الكاردينال سيرجيو بينيودولي فأكد أن الجميع يؤمنون بوجود الله الواحد الرحيم. وقال: لقد اجتمعنا هنا لبحث القيم الإنسانية

من خلال إيماننا بالتوحيد لحسم الأزمة التي تجتاح العصر الحديث. . هذه الأزمة التي تعود إلى الابتعاد عن الإيمان وعن الله. . جميع الإيديولوجيات تبعد عن الحياة المتكاملة. إن ما نقوم به إنما هو خطوة جيدة. . لقد تحدثنا الآن بنفس اللغة، فنحن نتداول بلغة مشتركة واستخدمنا نفس التعبيرات والمصطلحات والتقينا حتى في اللاهوت بين المسلمين والمسيحيين. إننا متفقون حول الجوهر وهذه خطوة أولى. .

وأعرب الكاردينال بينيودولي للأخ العقيد عن شكره وجميع المسيحيين وفي مقدمتهم البابا بولس السادس على دعوة الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى لعقد هذه الندوة. .

ثم تحدث الأخ العقيد معمر القذافي قائد الثورة فقال: أرى من الضروري المرور على بعض النقاط التي وردت خلال المناقشات وسأتكلم بصراحة عن موضوع الدين وإن لم تكن من وجهة نظر المسلمين فهي من وجهة نظري الخاصة. . وقد أختلف مع كثيرين وألتقي مع كثيرين. . هناك قرآن وهناك مسلمون. . والقرآن شيء والمسلمون شيء آخر. . واعتقادات المسلمين وخاصة في العصر الحديث ليست متطابقة تماماً. . مع ما جاء في القرآن. .

والسبب هو أن الفقه الإسلامي فيه شروح واجتهادات مختلفة بين الفقهاء وهذه الخلافات ليست في القرآن نفسه حتى ولو كان الفقهاء قد انطلقوا في شروحهم واجتهاداتهم من القرآن. . إن ثقافة جماهير المسلمين هي ما أخذوه وفهموه من الفقه وليس من القرآن. . المسلم المعاصر لا يستقي ثقافته الدينية من القرآن مباشرة. . وهذا السبب هو الذي أوجد فجوة بين المسلم وبين القرآن نفسه وكتابات الفقهاء واجتهاداتهم بألوان مختلفة نتيجة ظروف كثيرة مروا بها. . فإن مر الفقيه بمرحلة تعصب أو مرحلة تسامح وأحياناً بظروف نفسية سيئة فإن كتاباته واجتهاداته تكون متأثرة بحالة التعصب أو التسامح أو النفسية السيئة التي مر بها. . وعلى العموم فالفقه الإسلامي فيه الغث وفيه السمين إلا أن القرآن هو المرجع الصحيح فقط. .

أما عن الجانب المسيحي فنحن لا نشك بما أنزله الله سبحانه وتعالى على عيسى بن مريم. . كما لا نشك إطلاقاً بما قاله عيسى نفسه ولكن كما في الجانب الإسلامي حيث توجد أحاديث نبوية صحيحة وأخرى غير صحيحة كذلك يوجد في الجانب المسيحي ما كتب بعد ذلك على لسان المسيح أو بعده، بعضه صحيح وبعضه الآخر مشكوك فيه. .

الأناجيل والنبوات والرسائل والأسفار التي تكون الكتاب المقدس بعضها صحيح وبعضها الآخر غير صحيح تماماً كما هو في الجانب الإسلامي لأنها كتبت بعد عيسى عليه السلام. . ونسخ الكتاب المقدس التي بين أيدينا الآن مختلفة بعض الشيء فلو كانت صحيحة لكانت متطابقة. إلا أن وجود اختلاف بين إنجيل وآخر دليل على أن هناك شيئاً من الخلاف في النقل عن عيسى. .

إن المصدر الصحيح في الجانب الإسلامي هو القرآن. . وأؤكد أن كثيراً من المسلمين لا تطابق اعتقاداتهم القرآن، فمنهم من يعتقد أن الحرب بين المسلمين والمسيحيين أو بين المسلمين واليهود هي جهاد مقدس وهذا ليس صحيحاً فالقرآن يقول الجهاد بين المؤمنين والكفار. .

أما بين مؤمن وآخر فليس هناك شيء اسمه جهاد. . إن الخطأ. . هنا في اعتقاد المسلمين وليس في القرآن. . والقرآن لا يوجد فيه إطلاقاً شيء اسمه الجهاد ضد أهل الكتاب. . وإنما القرآن يدعو إلى محاورة أهل الكتاب باعتبارهم وإيانا مؤمنين بالله ويجب محاورتهم بالحسنى. . ﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾. . و﴿تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ﴾. . إن القرآن يدعو المؤمنين به إلى استمرار الجدل والحوار مع أهل الكتاب الآخرين. . والمقصود هنا النصارى واليهود. . كما أنه يقول إن النصارى هم أقرب إليكم من اليهود. . وهذه آية واضحة ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقۡرَبَهُم مَّوَدَّةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ﴾. . وأوضح الأخ العقيد الأسباب التي أدت باليهود إلى معاداة الإسلام، فقال: عندما نزل الوحي على سيدنا محمد اغتاظ اليهود من وجود دين آخر إلى جانب دينهم بعد أن كانوا يطمعون في أن يتحول العرب في

الجزيرة العربية إلى اليهودية. إلا أن العرب اعتنقوا الإسلام بظهور الدين الإسلامي وهكذا وبدوافع بشرية اغتاظ اليهود من الإسلام ووقفوا موقفاً عدائياً منه.. وهكذا عكس المسيحيين الذين لم يكونوا في ذلك الوقت مجاورين مباشرة للعرب.

أما اليهود فقد كانوا قبائل مجاورة للقبائل العربية وتطمع أن تكون هي صاحبة الرسالة وعلى العرب أن يبقوا هكذا أو يتحولوا إلى اليهودية.. إلا أنه بعد نزول القرآن على العرب اغتاظ اليهود، لهذا تطرفوا في عدائهم للإسلام بعكس المسيحيين. وقد ورد هذا في القرآن الذي قال بأن اليهود شديدو العداوة للمسلمين ولكن النصارى هم أقرب إليكم بالنسبة لأهل الكتاب فما دام المرجع الصحيح هو القرآن فإن الحقيقة التي نؤكدها هنا هي مفهوم الجهاد الخاطئ عند معظم المسلمين الذين يقولون بالجهاد ضد أهل الكتاب بينما القرآن الكريم وهو المرجع الصحيح يقول الجهاد بين المؤمنين والكفار.. وهذه هي أول نقطة يجب أن يتنبه لها المسلمون والمسيحيون..

ثم انتقل الأخ العقيد إلى الحديث عن نقطة ثانية وهي إقرار الإسلام بوجود الديانتين المسيحية واليهودية إلى جانب الإسلام ولكن بشرط واحد فقط وهو أن يقيموا التوراة والإنجيل ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾..

وقال الأخ العقيد: إن الإسلام يشترط على المسيحيين أن يرجعوا للإنجيل الحقيقي.. وعلى اليهود أن يرجعوا للتوراة الحقيقية لأن الإسلام يحرص على إزالة المشاكل التي بين المؤمنين جميعاً..

وأضاف لو أن المسلمين عرفوا القرآن حق المعرفة.. والمسيحيين عرفوا الإنجيل حق المعرفة.. واليهود عرفوا التوراة حق المعرفة لما وجدوا خلافاً جوهرياً بينها يستدعي الحرب ولوجدوا أنفسهم كلهم أهل كتاب ومؤمنين بإله واحد يعبدونه..

وأضاف ولكن المشكلة أنه حتى هذا اليوم لم يرجع المسلم للقرآن. . . ولم يرجع المسيحيون للإنجيل. . ولم يرجع اليهود للتوراة. . وهذا الذي سبب المشاكل بين المؤمنين. .

وأكد الأخ قائد الثورة أن الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى تتبنى هذا العمل وهو دعوة المسلمين للرجوع إلى القرآن مباشرة فلا داعي لوجود الفقيه بين المسلم والقرآن. . ولا داعي لوجود واسطة بين القرآن والمسلم. . مثلما لا داعي لوجود واسطة بين الله والإنسان. .

وأضاف كذلك نحن ندعو باستمرار إخواننا المسيحيين أن يعودوا إلى الإنجيل الصحيح. .

كما ندعو اليهود إلى العودة إلى التوراة الصحيحة. .

وقال. . وبهذه الدعوة فإن الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى تتزعم كافة المؤمنين مسلمين ومسيحيين ويهود من «أجل مصلحة المؤمنين ومن أجل مصلحة البشرية. . . والله. . وهذا هو الذي يعطي الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى الحق لتتكلم عن المؤمنين جميعاً. . أو تتكلم باسمهم. . أو تتكلم إليهم. . لأنها لا تتكلم من جانبها بل تدعو كل أهل الكتاب إلى العودة إلى كتابهم فقط. . الكتاب الصحيح لأننا مؤمنون بأن العودة لهذه الكتب ستحل المشاكل تلقائياً. . .

المشكلة هي وجود رأي عند المسيحيين وعند اليهود بِعَدَمِ الاعتراف بنبوة محمد عليه أزكى الصلاة وأفضل السلام وهذا خطأ كبير ليس في حق الذين آمنوا بمحمد ولكن خطأ في حق الله سبحانه وتعالى لأن نبوة محمد إرادة الله والتشكيك فيها أو نفيها. . هو نفي أو تشكيك لإرادة الله. . أو معارضة لإرادته سبحانه وتعالى الذي أراد أن يكون محمد نبياً. . ليس العرب هم الذين اتخذوا محمداً نبياً لأن العرب حاربوه في البداية وجادلوه وأنكروا عليه النبوة. .

إن نكران هذه النبوة خطأ في حق الله سبحانه وتعالى من جانب

المسيحيين أو اليهود أو من جانب العالم كله وخاصة أهل الكتاب. . ويبدو أنه عندما نزل القرآن على سيدنا محمد ﷺ بعدما بُعث نبيًّا كانت هناك الحساسيات التي كانت موجودة بين العرب واليهود كما ذكرت فشطبوا كل الآيات التي وردت في التوراة والتي تبين أن النبي اسمه محمد أو أحمد. . وأنه سيوحى إليه وأنه من العرب. . وسيكون خاتم النبيين. . فاليهود نتيجة الحساسية التي كانت بينهم في ذلك الوقت وبين العرب في هذه الناحية وأيضاً هي نفس الحساسية الموجودة حتى الآن.

إن الكتابات المشطوبة من التوراة أخذت طريقها للأناجيل الأربعة في المسيحية. والله سبحانه وتعالى تحدث. . في ذات الوقت عن هذا الموضوع. . وهناك آيات كثيرة بيَّنت أن الكتاب المقدس الآن تجري عليه تشطيبات ويكتب كتابة جديدة حتى ينكروا نبوة محمد. . هذه الآيات البينات في القرآن الموجودة حتى هذه الساعة تبين أنه في تلك الأيام بدأ اليهود السابقون بشطب بعض الآيات في الكتاب المقدس وتحريفها ويقولون هذا من عند الله. .

إن الله بيَّن هذا الموضوع في حينه لسيدنا محمد ﷺ، وهذا طبعاً لا يجوز بعد هذا الإدراك. . نقول لأهل الكتاب هل يستمر نكرانكم نبوة محمد؟ وطبعاً هذا خطأ في حق الله سبحانه وتعالى وجهل كبير من قبل الناكرين لنبوة محمد ﷺ. .

وتحدث عن الجانب الإسلامي في هذا الموضوع فقال: ليس هناك مشكلة. . المسلم ما لم يؤمن بسيدنا عيسى وموسى إلى آخر قائمة الأنبياء فهو يعتبر غير مؤمن. . المسلم هو الذي لا يفرق بين نبي وآخر من سيدنا إبراهيم إلى سيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين. .

الإنجيل حدثت فيه تحريفات تزيد عن المائتين وموجود مع الحاضرين نسخٌ منها. . وقام الإسرائيليون بهذا التحريف الآن وهو موجود عند الدكتور مصطفى محمود.

هذه التحريفات للأسف انتقلت إلى الأناجيل الأربعة عند المسيحيين، وإن أول من بدأ التحريف هم اليهود نتيجة مجاورة القبائل اليهودية للقبائل العربية واعتبار أن اليهود يملكون وحدهم أسرار الدين. . فلما جاء الإسلام أحرجهم وبطبيعة النفس البشرية تكوَّن عندهم عداء ضد هذا الدين. . ووصل إلى معارك بين المسلمين واليهود وقتال أدى إلى شطب كل ما ذكر فيه إسلام ونبوة سيدنا محمد ﷺ من التوراة.

وأضاف: إن هذا الملتقى يمكن أن يدين في توصياته هذه التصرفات التي تسيء إلى أنبياء الله.

وقال الأخ القائد العقيد معمر القذافي: إن مفاهيم بعض المسلمين عن المسيحية واليهودية خطأ فبعض المسلمين يعتبرون النصارى واليهود كفاراً. . وهذا خطأ وفقاً للقرآن. . وليس وفقاً لوجهة نظري فقط. .

وأشار إلى أن القرآن الصحيح لا يقر بالجهاد ضد أهل الكتاب، ولكن الجهاد ضد الكفار. . فالقرآن لا يفرق بين أي رسول ورسول. . المسلمون لا يفرقون وفقاً لهذا وإلا كانوا خارجين عن القرآن. . وأضاف أن هناك إنكاراً لنبوة محمد وهذا جهل وخطأ وذنب كبير ينبغي أن يزول الآن بعد أن وصلت البشرية إلى هذا المستوى وبعد أن استطعنا نحن المسلمين والمسيحيين أن نجلس جنباً إلى جنب ونتحاور. . كما ورد في القرآن والإنجيل بعد أن كنا في يوم ما نتقاتل بالسيف ولعل التحريفات التي ذكرتها في الكتاب المقدس هي التي أدت إلى هذا القتال بين المسلمين والمسيحيين أو بين المسلمين واليهود. .

وتحدث الأخ العقيد عن اجتماع الشباب الأوروبي والبلاد العربية الذي عقد منذ سنتين في طرابلس فقال: لقد عشت مع هذه الوفود يوماً أو يومين فوجدت أن أغلب الشباب المسيحي ملحد. . ولقد كنت بصدد كتابة رسالة للبابا بهذا الخصوص أقول له فيها: لاحظت من هذه اللقاءات أن الأغلبية من الشباب المسيحي تتجه نحو الإلحاد وهذه ظاهرة خطيرة لا بد أن ينبه إليها البابا

ويفهمها المهتمون بالدين عموماً وخاصة الدين المسيحي.. وهذه ظاهرة ملفتة للنظر. وأكَّدَ أن الإلحاد قليل جداً بين الشباب المسلم.. هناك ترك للعبادات ولكن ليس هناك إلحاد.. المسلم في الوقت الحاضر وخاصة الشاب غير منضبط في سلوكه إسلامياً وغير مكترث كثيراً بالعبادات ولكن قلبه يغمره الإيمان.. بينما على الجانب المسيحي هناك موجة من الإلحاد ينبغي أن نتعاون معاً لمعالجتها.. وهذا يدل على أن هناك شيئاً في الجانب المسيحي..

وقال: لقد ناقشت بعض الشباب ووجدت أن المشكلة هي اختلاف مصادر الدين المسيحي حسبما ذكر بعض الشباب الذين قالوا أنتم تقرأون كتاباً واحداً القرآن ولكننا نقرأ كتباً متعددة مكتوبة بأيدي بشر فيها اختلاف كما أن هناك تعدداً في الكنائس،... وأشار الأخ العقيد إلى أن هناك في بريطانيا مثلاً من يصلي في الكنيسة الإنجليزية فقط... ولا يصلي في الكنيسة الكاثوليكية.. هناك كنيسة اسمها الكنيسة الإنجليزية.. علاوة على الخلافات بين المحتجين (البروتستانت) والكاثوليك.. فالمسيحي لا يذهب إلى أي كنيسة مثل ما يذهب المسلم لأي مسجد في العالم..

وقال: لقد شاهدت بنفسي كنيسة إنجليزية وأخرى كاثوليكية لا يدخلها إلا أصحابها وهذه سببت مشاكل عند الشبان المسيحيين الذين يتساءلون أين الصحيح، هل هو إنجيل متى، أو مرقس أو إنجيل بولس أو يوحنا؛ هناك روايات كثيرة ما استطاعوا أن يحسموها.

وأشار الأخ العقيد إلى أنه ليس هناك ذكر للإسلام في هذه الكتب في الوقت الذي يدين فيه ربع سكان الأرض بالإسلام، وهو ما جعل الشباب المسيحي يجد نفسه محتاراً.. هل هذه الملايين التي تدين بالإسلام على خطأ.. وهل الناس التي تقاتل في سبيل هذا الدين كانت على خطأ أيضاً.. أم أن الديانة المسيحية هي الخاطئة.

... وخلص إلى القول أن هذه الأسئلة التي لم يجد الشباب المسيحي

لها جواباً جعلته يترك الدين ويقول أن الأديان كثيرة وأفضل شيء هو الابتعاد عن هذه المشاكل وألا يكون للإنسان دين. .

واستطرد الأخ العقيد يقول: فعلاً وجود هذه المشاكل جعلت الشباب يبتعد عن الدين حتى لا يكون طرفاً في هذه المشاكل التي بعضها لا حل لها وعلمها عند ربنا.

وقال: إن أول علاج لذلك هو أن نقلل من هذه المشاكل حول الدين. . لأن هناك وضوحاً في الكتب الأصلية لهذا الدين، القرآن فيه وضوح كامل. . الإنجيل الصحيح موجود يتحدث عنه القرآن والتوراة الصحيحة يتحدث عنها أيضاً. . إذاً القرآن يعتبر مصدراً حتى للتوراة أو الإنجيل بالإضافة إلى ضرورة البحث عن النسخة الأصلية للتوراة أو الإنجيل حتى تنتهي المشاكل فيما بيننا وبالتالي حتى لا نساهم في الإلحاد. . وابتعاد الناس عن الدين. .

ومن وجهة النظر الفلسفية والعملية في هذا الصدد فإن الدين ضرورة، بغض النظر عن الإيمان به أو عدمه. .

وأوضح الأخ العقيد يقول: إن البعض يرى ضرورة الدين على مستوى الفرد ولكن في الحقيقة فإن الدين ضرورة ملحة حتى من الناحية السياسية. عندما تريد أن تقيم دولة، أي دولة في العالم فعلى أي أساس تقول هذا حق أو باطل وتقتل هذا وتعفو عن ذاك، ليس هناك مرجع الآن إلا على أساس تصورات وضعية. . . كل دول العالم تضع دستوراً. . مجموعة من البشر يؤلفون مواد ويستفتون الناس عليها بنعم أو لا، وأحياناً يصوت عليها مجلس النواب فقط ويصبح هو مصدر الحقوق والواجبات. . وهذا المصدر يحتاج إلى مصدر حتى يتم الاقتناع به.

وقال إن الإنسان قد يعدم من أجل مخالفته مواد في هذا الدستور الوضعي وهو غير مقتنع بأنه أعدم على حق، والذي أعدمه قد لا يكون مقتنعاً بأنه أعدمه على حق، . . وعليه فإن القوانين والدساتير الوضعية التي تتوقف عليها حياة

البشر في حقوقهم وواجباتهم تحتاج إلى مبرر يضفي عليها الاحترام والقدسية وهذا المبرر غير موجود في العالم العلماني. . العالم الوضعي. .

واستطرد يقول: ومن هنا تأتي ضرورة الدين وضرورة أن يكون الدين مصدراً لهذه الأحكام بشكل أو بآخر. . وأعتقد أن الابتعاد عن الدين في التشريع هو اتجاه ديكتاتوري وهو اتجاه أوحت به النظم الديكتاتورية. . النظم التي تريد أن تصوغ شريعة للمجتمع من عندها تتفق والاتجاهات الدكتاتورية. . وفي هذه الحالة يصبح مزاج الدكتاتور هو مصدراً للتشريع وليس هناك شريعة متفق عليها من قبل، تكون مرجعاً للدكتاتور ولغيره. .

وأكَّد قائد الثورة: إن موجة الدكتاتورية التي مر بها العالم أبعدت البشرية عن المصدر الصحيح للتشريع والقواعد التي تحكم الحقوق والواجبات، الخير والشر، والحق والباطل التي تحدِّدها الشريعة.

إن الكتاب الأخضر أفرد جزءاً هاماً منه في الفصل الأول عن الشريعة في المجتمع. إن الشريعة هي المشكلة الأخرى المرادفة لمشكلة أداة الحكم التي لم تحل بعد في العصر الحديث رغم أنها حُلّت في فترات سابقة من التاريخ. .

أما أن تختص لجنة أو مجلس بوضع شريعة للمجتمع فذلك باطل وغير ديمقراطي.

وأكَّد الأخ القائد: إن الشريعة الحقيقية لأي مجتمع هي العرف أو الدين وأي محاولة أخرى لإيجاد شريعة مجتمع خارجة عن هذين المصدرين هي محاولة باطلة وغير منطقية لأن الدساتير ليست هي شريعة المجتمع لأنها تحتاج إلى مصدر تستند إليه حتى تجد مبررها. . . . وأوضح العقيد معمر القذافي أن مشكلة الحرية في العصر الحديث هي أن الدساتير صارت هي شريعة المجتمع. . . وأن تلك الدساتير لا تستند إلا على رؤية أدوات الحكم الدكتاتورية السائدة في العالم من الفرد إلى الحزب. . . والدليل على ذلك هو الاختلاف بين دستور وآخر. . وسبب الاختلاف هو اختلاف رؤية أدوات الحكم. . وهذا هو الذي قتل الحرية في نظم العالم المعاصر. .

إن الأسلوب الذي تتبعه أدوات الحكم ورغبتها في السيطرة على الشعوب هو الذي يفرض الدستور ويجبر الناس على إطاعته بقوة القوانين المنبثقة عن الدستور المنبثق من أنسجة ورؤية أدوات الحكم.. وأشار قائد الثورة إلى أن سنة أدوات الحكم الدكتاتورية هي التي حلت محل سنة الطبيعة، والقانون الوضعي حل محل القانون الطبيعي، ففقدت المقاييس الصحيحة..

وقال: إن الإنسان هو الإنسان في أي مكان، واحد في الخلق وواحد في الإحساس ولهذا جاء القانون الطبيعيُ ناموساً منطقياً للإنسان كواحد ثم جاءت الدساتير كقوانين وضعية لتنظر للإنسان على أنه متعدد.. وهذه النظرة ليس لها ما يبررها إلا مشيئة أدوات الحكم الفردي أو المجلس أو الطبقة أو الحزب المتحكم في الشعوب.. وهكذا نرى الدساتير تتغير بتغير أداة الحكم.. وهذا يدل على أن الدستور مزاج لأدوات الحكم وقائم على مصلحتها وليس بقانون طبيعي..

وأكد العقيد معمر القذافي: إن الخطر المحدق بالحرية كامن في فقدان الشريعة الحقيقية في المجتمع الإنساني واستبدالها بتشريعات سياسية وفق الأسلوب الذي ترغبه أداة الحكم في حكم الجماهير. والخلاصة أن أسلوب الحكم هو الذي يجب أن يتكيف وفقاً لشريعة المجتمع وليس العكس..

وأضاف: إنَّ شريعة المجتمع ليست محل صياغة وتأليف لأن الشريعة هي الفصل لمعرفة الحق والباطل والخطأ والصواب وحقوق الأفراد وواجباتهم..

وقال: إن الحرية مهددة ما لم يكن للمجتمع شريعة مقدسة ذات أحكام ثابتة غير قابلة للتبديل والتغيير بواسطة أي أداة من أدوات الحكم.. إن استفتاء الشعوب على الدساتير أحياناً ليس كافياً لأن الاستفتاء في ذاته تدجيل على الديمقراطية ولا يسمح إلا بكلمة واحدة وهي نعم أو لا فقط، كما أن الشعوب مرغمة على الاستفتاء بحكم القوانين الوضعية والاستفتاء على الدستور لا يعني

أنه شريعة المجتمع ولكن يعني أنه دستور فحسب موضوع للاستفتاء ليس إلاّ . .

وأضاف الأخ العقيد يقول: إن شريعة المجتمع تراث إنساني خالد ليس ملكاً للأحياء الآن فقط بل لكل الأجيال القادمة أيضاً، ومن هنا، من هذه الحقيقة تصبح كتابة الدستور والاستفتاء عليه لوناً من الهزل. . وأشار إلى أن موسوعات القوانين الوضعية الناشئة عن الدساتير الوضعية مليئة بالعقوبات المادية الموجهة ضد الإنسان. . أما العرف فهو خال تقريباً من تلك العقوبات لأن العرف يوجب عقوبات أدبية، غير مادية، لائقة بالإنسان. . والدين يحتوي العرف ويستوعبه بينما معظم العقوبات المادية في الدين مؤجلة وأكثر مواده مواعظ وإرشادات وإجابات على أسئلة وتلك أنسب شريعة لاحترام الإنسان. .

وقال: إن الدين لا يقر عقوبات آنية إلا في حالات قصوى ضرورية للمجتمع لأن الدين احتواء للعرف والعرف تعبير عن الحياة الطبيعية للشعوب. . إذن الدين المحتوي للعرف تأكيد للقانون الطبيعي بينما الشرائع اللادينية واللاعرفية هي ابتداع من إنسان ضد إنسان آخر وهي بالتالي باطلة لأنها فاقدة للمصدر الطبيعي الذي هو العرف والدين. . إذن واضح جداً ضرورة الدين للجماعات البشرية التي تنظم نفسها على شكل دولة أو مجتمع ليكون هو المصدر لمعرفة الحقوق والواجبات والباطل والخير والشر. .

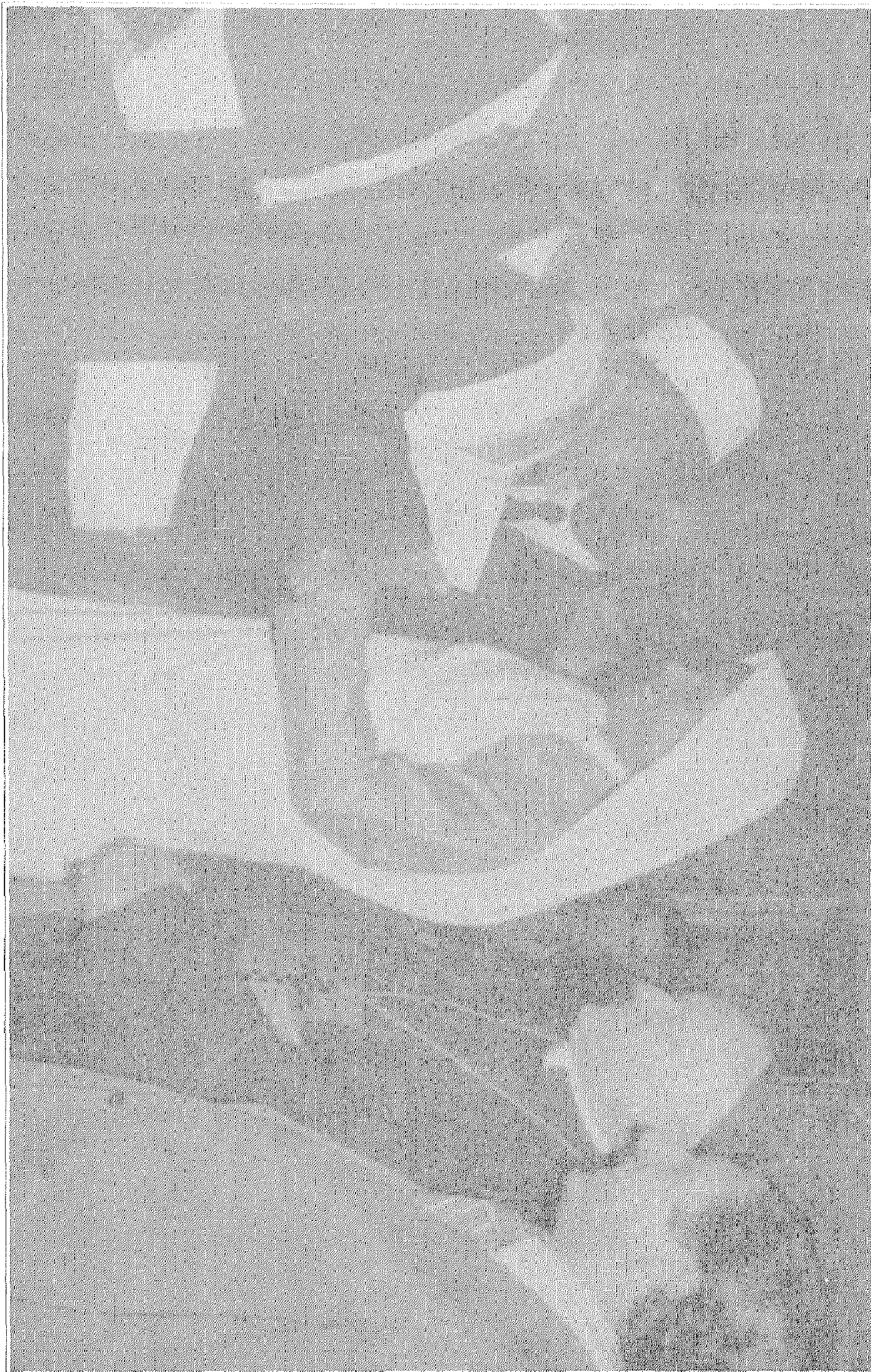
ومن هذه الناحية ومن وجهة النظر الدينية الصحيحة لا يوجد ما يسمى بالعلمانية وغير العلمانية لأن ذلك خطأ ومغالطة. .

في الدولة اللادينية أو المجتمع العلماني لا يوجد مصدر لمعرفة الحقوق والواجبات والحق والباطل والخير والشر إلا أمزجة الذين صنعوا الدستور أو القوانين الوضعية وهذه مسألة خطيرة جداً وأي إنسان حر لا يقبل أن يعيش في مجتمع ليس له مصدر مقدس وثابت للتشريع يقتنع به ويؤمن به جميع الأفراد. .

وأكد الأخ العقيد معمر القذافي قائد الثورة في ختام كلمته في ندوة

الحوار الإسلامي المسيحي أنه لو وجد هذا المصدر الثابت والمقدس للتشريع في أي مجتمع لانتهى حتى الصراع الداخلي في كل مجتمع. .

وأضاف: إن الصراع ينشأ بين الجماعات والأفراد نتيجة فقدان هذا الشيء المقدس الثابت ويصبح بعد ذلك الحق للفرد والجماعة ولكل منهم رؤية خاصة به. . وهكذا تنشأ الأحزاب ويبدأ الصراع على السلطة لتطبيق وجهة النظر هذه. .



تعليقات مَسؤولي الوفدَيْن الإسلامي والمسِيحي في جلسَة الختام، وبَعْد تلاوَة البيَان النهَائي

1 ـ مقرر الجانب الإسلامي الأخ إبراهيم الغويل:

ألقى الأخ إبراهيم الغويل كلمة باسم الوفد الإسلامي شكر فيها جميع الإخوة أعضاء الوفد المسيحي والمراقبين الذين أسهموا في هذا الحوار الإيجابي الفعال، وأعرب عن ارتياحه وسروره للنتائج الطيبة التي أسفرت عنها أعمال الندوة، وطالب بأن يكون هذا الحوار بين الجانبين لتحقيق إنسانية الإنسان على أرض الله.

2 ـ مقرر الجانب المسيحي المونسنيور بييرو روسانو:

ألقى المونسنيور بييرو روسانو كلمة، شكر في مستهلها الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى على الحفاوة البالغة وكرم الضيافة التي قدمتها للوفود المشاركة في الندوة وقال: «إننا نشعر بالارتياح لروح الود والأخوة التي سادت جلسات الندوة ـ لقد طرحت في الندوة العديد من القضايا الهامة التي نوقشت بكل تعمق من الجانبين، وإن التعاون المشترك بين الطرفين الإسلامي والمسيحي من شأنه أن يقودنا إلى حياة أفضل روحياً وخلقياً».

لقد كان الجميع يتمتعون بنقاء الفكر والانفتاح، وهذا ما دلت عليه كلمات أعضاء الوفود منذ البداية.

لقد علمت، وهذا يبعث على الارتياح الكبير، أن البيان الختامي للندوة ليس من وضع وفد واحد، لكنه ثمرة لقاء بين الجانبين المسيحي والإسلامي، وهذا دليل قاطع على أننا عرفنا كيف نتحدث بنفس اللغة، وأن قلوبنا قد تلاقت، ونحن نشكر الله على هذه الرحمة.

3 ـ رئيس الوفد الإسلامي الدكتور محمد أحمد الشريف:

أعرب الدكتور محمد أحمد الشريف عن شكره وتقديره للجهود المبذولة من قبل الأعضاء والمراقبين وعلى رأسهم الكاردينال سيرجيو بينيودولي، كما أشاد بروح الصراحة والوضوح التي اتسمت بها مناقشات الندوة.

4 ـ رئيس الوفد المسيحي الكاردينال سيرجيو بينيودولي:

أكد احترامه وتقديره للذين ساهموا بكتاباتهم أو بمناقشاتهم في جلسات الندوة وقال: «إنها وقفة تاريخية عظيمة، سوف تتلوها وقفات وحوارات مستمرة من أجل خير الإنسانية أجمع».

5 ـ الأخ أحمد الشحاتي نائب رئيس الوفد الإسلامي:

أثنى على النتائج الممتازة التي أسفر عنها الحوار وقال: «إن هذه النتائج سيترتب عليها صفحة جديدة في التاريخ الإنساني، ليست لمصلحة العالم الإسلامي والعالم المسيحي فحسب، بل لمصلحة البشرية في جميع أنحاء العالم». ثم توجه بالشكر إلى جميع الذين ساهموا في هذه الندوة.



بَعضُ التعليقات التي طُرِحَت
خلال الجلسَات أو خارجهَا أثناء انعقَاد الجلسات
سوَاء مِن المشاركين أو مِن المراقبين

لقد أثارت ندوة الحوار الإسلامي المسيحي موجات من الانفعالات الإيجابية، دفعت الكثيرين ممن حضروا الندوة إلى تسجيل انطباعاتهم عن البحوث وعن الجو العام للندوة، وبعض هذه التعليقات كان مطولاً.

ورغبة في وضع القارئ في جو الندوة فإننا نثبت بعض هذه التعليقات؛ أو مقتطفات من بعضها، لأن المجال لا يتسع لإثبات جميع ما سجل.

أولاً ـ بعض التعليقات على مناقشات البحوث:

1 ـ خلال مناقشة بحث «هل يمكن للدين أن يكون إيديولوجية للحياة» علّق المونسنيور بييرو روسانو مقرر الجانب المسيحي على البحث الإسلامي فقال: لقد تعرفت وتعلمت من خلال هذا البحث أن الإسلام هو دين متين ومرن في الوقت نفسه، وأنه يستطيع أن يطوِّع، وأن أساس المرونة والقدرة على التطويع هو الثقة بالعقل البشري الذي يتسم به الإسلام.

وأكد بوصفه مسيحياً كاثوليكياً اتفاقه وإيمانه الكامل بهذه الثقة بالعقل البشري.

2 ـ وخلال مناقشة بحث «العدل الاجتماعي ثمرة الإيمان بالله».

أ ـ تكلم الدكتور أنطوني شولبكال فقال: إن الكنيسة والفاتيكان

بالخصوص، مهتمة بهذه القضية، وهي لا تجد لنا حلاً جذرياً وأعرب عن إعجابه بالفكرة التي طرحها الباحث الإسلامي بشأن العدالة الاجتماعية، وهي أن الله قد جعل الأرض وما عليها أمانة للإنسان، وقال: إن علينا أن نسير سوياً نحو استكشافها، وتطرق إلى الواقع المتناقض الذي يعيشه المجتمع المعاصر والشرور التي تصيب الأفراد. وذكر في الختام أنه لا بد من بذل جهود عظيمة مشتركة من أجل تحقيق العدل الاجتماعي.

ب ــ **وتكلم الدكتور غومس نوغاليس فقال**: إننا حين نتحدث عن العدالة الاجتماعية وثمار الإيمان فيجب أن نقول: إن الدين يساعد على تحقيق العدالة الاجتماعية، ولكن يؤدي في الوقت نفسه إلى قيام بعض المظالم باسم الدين، وأشار إلى أن هناك مظالم ترتكب ضد الأقليات، مثل الطلبة والعمال الذين يدرسون ويعملون في الخارج، حيث أن الرأسماليين في البلدان الأكثر تقدماً ينتهزون هذه الفرصة لكي يستغلوا هؤلاء العمال ويحصلوا على أيد رخيصة، وفي ظروف اجتماعية أقل من التي يعيشون فيها أصلاً.

واقترح عقد مؤتمر دولي يدرس إمكانية إعطاء فرص عمل لجميع من يعيشون في ظروف اجتماعية غير إنسانية، وإجراء دراسة اجتماعية لهذه الأقليات حتى ولو كانت لا تنتمي إلى ديننا، لأن معنى ذلك إغفال تعاليم ديننا التي تأمر بأن نحترم جميع الناس وأن نعاملهم كعباد الله.

3 ــ وخلال مناقشة بحث «الأسس المشتركة بين الديانتين في المعتقدات، ومواطن الالتقاء في ميادين الحياة»:

أ ــ تكلم الدكتور عز الدين إبراهيم فأثنى على بيان المجمع المسكوني الثاني الذي وقعه البابا بولس السادس والذي عرَّف فيه لأول مرة منذ أربعة عشر قرناً كاملة العالم بحقيقة الإسلام في كثير من المفاهيم، ودعا المسيحيين إلى التعاون مع المسلمين للحفاظ على العدالة الاجتماعية والقيم الأخلاقية في كافة المجالات.

وقال الدكتور عز الدين إبراهيم: «إن هذا البيان قد عفى على آثار الماضي. . ، وعلى ذلك فإننا نتطلع إلى مستقبل أفضل من التعاون بين العالمين على أساس البيان البابوي».

ثم تقدم الدكتور عز الدين باقتراحين: أحدهما على مستوى الكرسي الرسولي ويتعلق بإصدار بيان يوضح وجهة نظر الكنيسة في شخص محمد ﷺ باعتباره نبياً ورسولاً، والثاني يتعلق باستضافة كليات اللاهوت المسيحية التي تدرس الدين الإسلامي أساتذة من العلماء والباحثين المسلمين الزائرين، لأنها تضمن تصحيح المعلومات، وقال: «إن المسلمين قد بدأوا ذلك منذ أمد طويل، واستدل على ذلك بالمستشرقين الذين يزورون الجامعات الإسلامية».

ب ـ وتكلم **الأسقف فرنسوا ديون** حول المبشرين فاعترف بوجود تجاوزات من قبل هؤلاء المبشرين المسيحيين موضحاً أنهم، حتى وإن كانوا يحملون رسالة، فإنهم بشر وليسوا بملائكة وقال: إن هذه التجاوزات ينبغي أن يندد بها المسيحيون والمسلمون في آن واحد، لأنها ليست ضرباً من ضروب الماضي والتاريخ فحسب، ولكنها تحدث في الحاضر أيضاً.

ج ـ وتكلم **الأخ أحمد الشحاتي** فقال: «في البداية أحب أن أحيي الأخوة الذين قدموا لنا بحوثاً قيمة استفدنا منها كثيراً. وفي الحقيقة، اللجنة التحضيرية التي أنا عضو فيها وضعت في اعتبارها أن هذا اللقاء هو لقاء تاريخي، إذ يأتي بعد حقب طويلة من الزمن، حيث كانت العداوات والحروب والعقد، والمشاكل لم يكن لها حل إلا القتال. ونحن، بعد أن وصل المجتمع الإنساني إلى درجة من الحضارة، أصبح من اللازم والضروري أن تحل مشاكلنا كمجتمع بشري بأسلوب حضاري بعيد عن الأسلوب الهمجي الذي اتبع في السنين الماضية، وكان أمام اللجنة أن أعطت الاهتمام في أن يركز الباحث على نقاط الالتقاء، أو على الأقل ترك نقاط الاختلاف. . . فالمعروف أن هناك نقاطاً للخلاف بين المسلمين فيما بينهم، وكذلك فيما بين المسيحيين أنفسهم أيضاً، وكان في اعتبارنا أن ندوة تدوم ثلاثة أيام أو أربعة لا يمكن لها التعرض لكل

شيء، أو أن تحل المشاكل التي ترسبت في الماضي، ولكن يكفي أن المسيحيين والمسلمين أخوة وأن القرآن يدعو إلى محاورة أهل الكتاب، والقرآن يقول لنا أن النصارى هم أقرب الناس إلينا، ولذلك كان هذا منطلقنا لعقد هذه الندوة.

وفي الحقيقة أرى من الصعب مراجعة التاريخ. يمكن أن نراجع التاريخ للعبرة، وليس لكي نلوم الآخرين، فنحن، الجالسين هنا، لسنا المسؤولين عن أخطاء الأجيال السابقة، ولكن علينا أن نعتبر بالتاريخ من أجل تأكيد وترسيخ الأخوة بيننا.

إننا نعرف أن الأسرة الإنسانية تتعرض لتهديدات قتل رهيبة مثلما حدث في الحربين العالميتين الأولى والثانية، فمن الممكن أيضاً أن تشن حرب عالمية أخرى تستعمل فيها القنابل الذرية والصاروخية لتدمر البشرية.

ولكن ما هو موقف المسلمين والمسيحيين من هذه الحروب التي تهدد العالم بالدمار.. ترى هل نقف متفرجين كي نترك للقوى الاستعمارية والقوى الشريرة في العالم أن تفجر الحروب وتقضي على الإنسانية؟ نحن هنا لا بد لنا أن نحرص كل الحرص على توثيق عرى الصداقة والمحبة بين العالمين الإسلامي والمسيحي لنكوّن بذلك قوة كبيرة، ويجب أن تكون هذه القوة فيها كل الخير للإنسانية عامة.

هذا هو منطلق الثورة في الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى.. فهذه الثورة تحب الخير للإنسان أينما كان في هذا العالم. ونحن نؤمن بالإنسانية والإخاء، وديننا دين أممي، وديننا دين أخوي، ومن هذا ننطلق.

وإذا بقيت هذه المشاكل فإننا لن نستطيع أن نصل إلى حلول لها، فبإمكاننا أن نصل إلى الاتفاق على عقد ندوات أخرى في أي بقعة من العالم. إن الحوار البناء والهادف والذي يدور بروح أخوية سوف يساعد في إيجاد الحلول المناسبة.

4 ـ وخلال مناقشة بحث «كيف نعمل على إزالة الأحكام المسبقة الخاطئة وضعف الثقة التي لا تزال تفرق بيننا».

أ ـ تكلم المطران غريغوار حداد، فدعا إلى الاعتراف بنبوة محمد ﷺ وقال: كلنا نريد نجاح هذه الندوة الأولى من نوعها وفي حجمها بين لقاءات المسلمين والمسيحيين في العالم، كلنا نريد أن تصبح هذه الندوة لا حدثاً تاريخياً فقط، كما هي فعلاً، بل أيضاً بدء تاريخ جديد في العلاقات بين المسلمين والمسيحيين قاطبة.

ثم قدم المطران حداد عدة مقترحات لتحقيق تعميم الحوار بين الديانتين لتنسيق نشاطاتهما ومواقفهما منها:

1 ـ تحاور ديني إسلامي مسيحي بالمعنى الحصري أو حول الوحي والهدى والإيمان والعقيدة.

2 ـ تحاور حضاري إسلامي مسيحي: أي حول الحضارة أو الحضارات التي انبثقت من الدينين أو تلقحت بهما.

3 ـ تحاور مجتمعي إسلامي مسيحي: أي حول القيم والمواقف والحلول الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي انبثقت أو تنسجم مع كل من الدينين.

ب ـ وتكلم نيافة الكاردينال سيرجيو بينيودولي فقال بأنه تَقَبَّل بصدر رحب الانتقادات والصور القاتمة التي عرضها الصديق العيشوبي الصادرة عن قلب مجروح، وأضاف: إن الفاتيكان قد باشر في تأسيس معهد للدراسات العربية والإسلامية لتعميق معرفته بحقائق الدين الإسلامي.

ثانياً ـ بعض التعليقات خارج نطاق الجلسات:

1 ـ باتريشيا موريس (مجلة الوطن العربي) ـ لندن:

جواباً على سؤال حول انطباعاتها عن ندوة الحوار قالت: حين نرى هذا

الحشد من الشخصيات الدولية التي حضرت من كل أرجاء العالم لتجتمع في مكان واحد بدعوة أكثر جمهوريات العالم حداثة وحين نجد أن هذا الحشد لا يناقش فقط أكثر الموضوعات حساسية، وإنما يحتفظ كذلك بالتسامح المستمر، وحين نرى أنه، بالرغم من تباين الآراء، يتم التوصل إلى إعلان موحد ذي قوة وهدف، وحين نرى الغرباء يصبحون أصدقاء، والظلام يصبح نوراً، ويتبدد الخوف. . . فحينذاك نجزم بأن الله كان معنا، وكانت يده تساعدنا.

2 ـ الدكتور صبحي الصالح: أستاذ جامعي: لبنان:

. . . لقد كان حوار طرابلس حواراً تاريخياً، ولسوف يسجل كثيرون أحداثاً ذات قيمة خاصة في حياة المعاصرين، ولسوف يقولون: حدث هذا قبل حوار طرابلس بأيام، أو بالأحرى بعد حوار طرابلس بأيام، ولسوف يذكر الناس دائماً أنه من الممكن أن يحيا أتباع المسيحية والإسلام في انسجام وتناغم ووئام.

3 ـ باولا بريانتي:

لقد أدركنا بعد مناقشات ندوة الحوار الإسلامي المسيحي في أيامها الخمسة بأن الحوار بين الطرفين الإسلامي المسيحي ليس ممكناً فقط بل ومرغوباً فيه. لقد استمعنا إلى كلمات ومناقشات شيقة جداً، ونحن الآن بانتظار الأعمال، لقد عرض الجانب الإسلامي أسئلة واضحة تهمنا جميعاً بوصفنا رجالاً معاصرين ومسؤولين في بعض الأحيان عن هذا الواقع المؤلم الذي نعيشه. هناك الفقر والجوع والاستغلال والاستعمار ليس المادي فقط بل الروحي أيضاً. لا يمكن أن يعتبر أي إنسان نفسه حراً إذا كان أخوه الإنسان محروماً من الحرية.

لذلك فنحن المسيحيين عموماً والكاثوليك خصوصاً، لنا ملء الحق بانتظار النتائج المحسوسة والعملية، خاصة وأن الكنيسة قبلت أن تأتي لتتناقش باحترام وحرية مع ممثلي دين آخر له انتشار واسع، أعني الإسلام.

نحن جد مسرورين لكون الكنيسة أرسلت ممثلين أكفياء إلى أرض الإسلام، هذا يشرفنا، ولكن يجب القول بأن الكنيسة عليها الواجب الإلهي باستنكار الشر حيث هو، هذا ليس عملاً سياسياً، بل هو أخلاقي وديني. لا يجب أن نترك المسلمين وحدهم في الدفاع عن العدل، القضية تتعلق اليوم بالفلسطينيين، ولكنها ربما تعلقت غداً بشعوب أخرى أو بطبقات أخرى من المجتمع. فعلى الكنيسة أن تكون حاضرة هناك لتطبق كلام يسوع: «سأكون دوماً حيث يكون الفقراء».

4 ـ أسعد المقدم: رئيس تحرير مجلة الأسبوع العربي ـ لبنان:

أجاب على سؤال حول انطباعاته فقال:

التجمع الضخم الذي التقى فيه هذا العدد الكبير من المفكرين المسلمين والمسيحيين كان بحد ذاته إنجازاً يهنَّأ عليه أصحاب الندوة في طرابلس. . . وباختصار إن آثار ندوة الحوار الإسلامي المسيحي ومدى أهميتها التاريخية والفكرية والإنسانية ستظهر أكثر وضوحاً في المستقبل.

في تاريخ الغد لا بد أن يكتب التاريخ في صفحاته أنه في الأول من النوّار/ شباط (فبراير) 1976 مسيحي كان مولد تاريخ جديد للعلاقات الإسلامية المسيحية. . . وأن تلك العلاقات تمت على مسرح التحرير في طرابلس بالذات.

5 ـ جميلة يوشيكا أوتاكا: نائبة في البرلمان الياباني ـ اليابان:

كم هو جميل ورائع أن تخطط الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى لمثل هذه الندوة، وفي هذا الوقت بالذات، خصوصاً وأن العالم اليوم يعيش أسوأ حالاته من حيث الحروب التي تجتاحه، سواء في آسيا أم في أفريقيا أم في أوروبا، ذلك أنها فرصة طيبة يتواجد فيها مجموعة كبيرة من مفكري العالم ستساعد بلا شك في إثراء مناقشات عدة قضايا يمكن أن تسهم في إيجاد حلول مفيدة من أجل خدمة الإنسانية.

إن معظم شعبنا في اليابان يدين بالبوذية، ويؤمن بالله، وبما أنني شخصياً أدرس الفلسفة الإسلامية، وأقرأ ترجمة معاني القرآن باللغة اليابانية فإنني أرى أن أي إنسان يؤمن بالله لا بد له وأن ينظر إلى خير الإنسانية، ولكي يعم الرخاء أرجاء العالم فإنني أقترح إقامة ندوة أخرى بين المسلمين والبوذيين أيضاً إذ أنه، ومن المناسب حقاً، أن تلتقي الإنسانية حول السلام والمحبة، فما دام الإنسان يحب الله، فلا بد لهذا الحب أن يضع أسساً متينة للسعادة الإنسانية.

6 ـ نيكولاس نيسيوتيس: أستاذ بكلية اللاهوت ـ أثينا:

أريد قبل كل شيء أن أعبر عن شكري للجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى لدعوتها الكلية اللاهوتية بجامعة أثينا لإرسال مراقب لحضور هذا الاجتماع الهام بين الكنيسة الكاثوليكية والإسلام، وأعتقد أن المراقبين الآخرين والصحفيين من مسلمين ومسيحيين الذين جاءوا من اليونان يشاركونني في التعبير عن أخلص الشكر على هذه الدعوة.

7 ـ الدكتور هاليخت بنثين ديفلر: سكرتير عام جريدة «العالم الثالث» بون ـ ألمانيا الاتحادية:

أعتبر هذا الحوار ناجحاً كخطوة أولى للتقارب بين الديانتين، وإرجاع الديانات إلى الإحساس بالحقائق التي يعيشها العالم الآن. وبهذا نجد أننا قادرون على حل المشاكل المعاصرة ومنها مشكلة الإلحاد التي طرحها العقيد.

... نحن نعيش في عالم متغير دائماً من الناحية الاقتصادية والاجتماعية، ولم تحل حتى الآن فكرة تحرير الإنسان، وهي المشكلة الأولى، والفكرة الإنسانية لكل من الدينين. وأنا، كشاب عمره 35 سنة، أقبل، بتحفظ، كنيسة تتحدث عن تحرير الإنسان من الشرور دون الخوض صراحة في مشاكل جبهات التحرير في جنوب أفريقيا وفلسطين ولا أقبل كنيسة تدعم الدكتاتورية حتى تتراجع وتقطع علاقاتها مع الاستعمار حتى اللحظة الأخيرة ليتم التحرير.

8 ـ القسيس ولتر جوزيف والأخ راينهرد لانز: سويسرا:

. . . يوجد هوة بين المسلمين والمسيحيين، وهوة أخرى بين الغرب والعرب، والعلاقة بين الطرفين لا يجوز أن تكون على النطاق الاقتصادي والتجاري والسياسي فحسب بل يجب أن تمتد إلى الدين. إنه من المهم جداً أن تكون العلاقات علاقات إنسانية وثقافية وحضارية، ويدخل الدين في نطاقها. والناس الذين يعيشون حول البحر الأبيض المتوسط ينتمون إلى حضارة واحدة، وهذا البحر بدلاً من أن يفصل بينهم يجب أن يقربهم من بعضهم البعض.

9 ـ نيافة الكاردينال سيرجيو بينيودولي:

أدلى بتصريح إلى وكالة الصحافة الفرنسية بمطار طرابلس قال فيه:

نحن قد التقينا بعد ثلاثة عشر قرناً من انعدام الثقة. ولقد تمكنا من شرح وجهة نظر الفاتيكان والكنيسة وتبرير بعض مظاهر سوء الفهم، ونبدأ عهداً من الصداقة وسنواصل ذلك.

لقد وجدت كل اهتمام من المسؤولين عن الندوة حيث أبدوا احتراماً شديداً للبابا بولس السادس، كما استقبلني الرئيس القذافي بطريقة ودية، علاوة على أنه قد عهد إلى الفاتيكان بتوجيه الدعوة إلى الكنائس المسيحية الأخرى، ولم يسمح ضيق الوقت لمجلس الكنائس العالمي بأن يبعث بممثليه إلى المؤتمر.

لقد وجدنا لدى الجانب الإسلامي هنا الاتجاهات الأكثر أصالة سواء لدى علمائه أو قضاته أو شيوخه.

10 ـ الأخ أحمد الشحاتي: ليبيا:

أتفق مع صديقي الكاردينال سيرجيو بينيودولي في ما ذهب إليه من أن المؤتمر يمثل خطوة كبيرة في سبيل تقارب العالمين الإسلامي والمسيحي، وإننا نتمسك بكل ما جاء في البيان العام والقرارات والتوصيات، وسوف نشكل لجنة

مشتركة قريباً لتقوم بمتابعة هذه التوصيات والقرارات وأرى بعد هذا المؤتمر العظيم الطريق مفتوحة للتعاون بين العالمين الإسلامي والمسيحي. إننا سوف نبدأ بحوار هادف وبناء بإخوتنا اليهود المعادين للصهيونية العالمية. وذلك انطلاقاً من نفس المنطلق الذي بدأنا به الحوار مع إخوتنا المسيحيين باعتبار أن اليهود من أهل الكتاب، ونحن نعترف بكل الكتب السماوية ـ وباعتبار أن الكتب السماوية تدين الصهيونية كحركة عنصرية عدوانية، مثلها مثل الحركة الفاشية ـ وبهذه المناسبة يسرني أن أثني على الجهود التي بذلها وفد الفاتيكان وعلى ما لاحظته من إخلاص منهم جميعاً، وعلى رأسهم الكاردينال سيرجيو بينيودولي والمونسنيور بييرو روسانو، والأب فرنسوا أبو مخ، كما أننا نوجه التحية إلى البابا بولس السادس على مواقفه الإيجابية، والشجاعة تجاه قضايا الحق والعدل.

بَعض التعليقات الصحفية والإعلاميَّة
قبل النـدوَة وخلالهَا وبَعْد انتهَائهَا

ندر أن حظيت ندوة فكرية بمثل ما حظيت به ندوة الحوار الإسلامي المسيحي بطرابلس من اهتمام الصحافة العالمية في جميع القارات. ولقد ظلت أصداء هذه الندوة تتردد في الصحف العالمية فترة طويلة، سواء من حيث التغطية الإخبارية أو من حيث التعليقات أو من حيث المقالات والأبحاث التي تقوّم الندوة وتستشرف تحديد الآثار المترتبة عليها.

ولما كان من الصعوبة بمكان حشد كل ما قيل حول الندوة في هذا الكتاب فإننا نكتفي بإيراد نماذج مما قيل حول الندوة بنصها الكامل إذا كان هذا النص قصيراً، أو بإيراد مقتطفات منه إذا كان النص طويلاً..

أولاً ــ بعض التعليقات الصحفية والإعلامية قبل انعقاد الندوة:

1 ــ مجلة «الحوار» العدد الخامس ــ 24 أي النار/ يناير (كانون الثاني) 1976 ــ ليبيا:

تصريح لنيافة الكاردينال سيرجيو بينيودولي: «إن هذا العمل الذي تبنته الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى ودولة الفاتيكان يهدف إلى خدمة البشرية في العالم أجمع، لأننا نعمل من أجل التقاء الديانات السماوية حتى يعم الاستقرار والأمن والسلام.

إن هذا التجمع الكبير بين المسلمين والمسيحيين الذي ستشهده طرابلس في المدة القريبة ستكون له نتائج إيجابية هامة.

2 ــ جريدة «مساجيرو» ــ العدد 19 ــ الصادر في 20 أي النار/ يناير (كانون الثاني) 1976 مسيحي ــ إيطاليا:

. . . ليبيا تمد يدها إلى الكرسي الرسولي، إذ أن الحوار العالمي (الحوار الإسلامي المسيحي) سيكون على أرض الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى بمدينة طرابلس من 1 إلى 5 النوَّار/ فبراير (شباط) 1976 مسيحي، هذا ما جاء في تصريح الأخ أحمد الشحاتي للصحفيين. وسوف يبدي هذا الحوار اهتمام الدينين بضرورة إنقاذ الإنسان من الاستعباد وبضرورة العمل المشترك لتحقيق العدالة الاجتماعية، ومقاومة الاستعمار والتمييز العنصري.

3 ــ جريدة «أمباكت أنترناشيونال» ــ لندن (نقلته جريدة الحوار بطرابلس في 9 أي النار/ يناير 1976 مسيحي):

جاء في بيان صدر في طرابلس أن الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى وهي ترغب في بدء صفحة جديدة مع العالم المسيحي، كانت تتطلع إلى الوصول للطُّرُقِ المناسبة للتعاون المشترك لمجابهة التيارات الإلحادية التي تجتاح العالم وكذلك التيارات السياسية التي تخلقها الصهيونية.

والجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى ترغب في تقديم الصورة الحقيقية للإسلام انطلاقاً من فكرة إنسانية، ومن خلال تفهم أعمق للرسالات السماوية.

4 ــ جريدة «لاكروا» ــ في 29 الكانون/ ديسمبر (كانون الأول) 1975 مسيحي ــ فرنسا:

تصريح للأب فرنسوا أبو مخ حول الحوار الإسلامي المسيحي عدَّد فيه وصاياه الخمس التالية:

1 ــ الحاجة إلى نوع من المجاملة المتبادلة.

2 ـ التخلي عن ماض غير معقول من ثلاثة عشر قرناً من اللاتفاهم.

3 ـ تعميق فكرة «الله». إن إلٰهنا المشترك ليس إلٰه الحرب، إنه الله الذي يوحِّد البشر ولا يريد تفرقهم.

4 ـ إيجاد نوع من التفاهم على مستوى القيم الروحية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية.

5 ـ المواجهة معاً للمجتمعات الآلية التي تعطي الأفضلية للضرورات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وتضعف نفوذ كل ما يتعلق بالأديان.

5 ـ جريدة «روبلازيت» ـ الدنمارك (نقلته جريدة الحوار بطرابلس في 9 أي النار/ يناير 1976 مسيحي):

يجتمع ممثلون عن دولة الفاتيكان وعدد من الدول الإسلامية في العاصمة الليبية طرابلس لإجراء الحوار، ويبحث المشتركون فيه إمكانية التعاون في مجالات مختلفة، وتقوم الآن لجان مشتركة بإعداد جدول الأعمال.

ثانياً ـ بعض التعليقات الصحفية والإعلامية خلال انعقاد الندوة:

1 ـ الإذاعة المرئية الفرنسية: القناة رقم = 1 = ليلة 3 النوّار/ فبراير (شباط) 1976 مسيحي:

قال معلق الإذاعة حول تصريح الأخ معمر القذافي الذي يطالب فيه المسيحيين واليهود الاعتراف بالنبي محمد ﷺ:

«إن موقف العقيد طبيعي لأن الإسلام يعترف بكل الأنبياء، وإن ندوة الحوار الإسلامي المسيحي ليس لها سابقة بمثل هذه الأهمية، وفي أرض إسلامية.

2 ـ جريدة «لاكروا» العدد 28293 في 4 النوّار/ فبراير (شباط) 1976 مسيحي ـ فرنسا:

إن دراسة العقيد القذافي كانت واضحة ومن غير اضطراب، وإن العقيد، طوال ساعتين، دعا المسيحيين واليهود إلى العودة إلى كتبهم المقدسة.

3 ـ جريدة «صوت المغترب» ـ 3 النوّار/ فبراير (شباط) 1976 مسيحي ـ أوستراليا:

لماذا الحوار . . ؟ هذه التسمية الجميلة.

لأن هناك تقارباً، التقاء، عمقاً مشتركاً، فهماً متبادلاً.

لماذا الحوار . . . ؟

لتبديد تلك الغيوم السوداء التي تشوه جوهر الديانتين.

لماذا الحوار . . ؟

من أجل التعايش الأفضل في مجتمع يسعى دائماً إلى الأسمى، إلى الأفضل.

لماذا الحوار . ؟

لأن الإسلام حوار، لأن المسيحية حوار، لأن الديانتين انفتاح على الخير العام والحق.

نحن مع الحوار لأننا نؤمن بإله واحد، نطلب منه، نزكّي عملاً بوصيته، نخدم الإنسانية من أجل خير الإنسانية والتفتح الاجتماعي.

نحن مع الحوار، هذا الحوار الإسلامي المسيحي، للتصدي للإلحاد وللعقائد المستوردة التي أخذت تتفشى في عالمنا العربي.

نحن مع الحوار، هذا الحوار الإسلامي المسيحي لنكرس روحانية العالم العربي، ولنعمل على الحفاظ على ثروتنا وتراثنا العميق.

نحن مع الحوار لأننا سنصلي قريباً بإذن الله في القدس الحبيبة، في القدس السليبة المغتصبة.

4 ـ جريدة «الهدف» العدد 681 في 5 النوّار/ فبراير (شباط) 1976 مسيحي ـ الكويت:

ينعقد حالياً في العاصمة الليبية مؤتمر للحوار الإسلامي المسيحي، والكثير منا مرّ على هذا الخبر مرور الكرام، غير معلق أي اهتمام يذكر عليه. ونحن هنا،

لسنا بصدد تقييم للنتائج التي سيسفر عنها ومدى احتمالات نجاحه ولكننا نبدي كثيراً من الاهتمام للحوار بحد ذاته، فبمجرد أن يكون هناك حوار إسلامي مسيحي فإنه من المؤكد أن يحدث تفاعل يستطيع، مع استمراره ومواصلة بعثه، أن يحدد كثيراً من المفاهيم الخاطئة التي اعتقد بها كل من الطرفين، وبالتالي يعمل هذا التفاعل على إبراز الجوانب الطيبة في كلا الديانتين.

ـ. . . ولذلك فإن الحوار الإسلامي المسيحي ضرورة حضارية تسهم في تدعيم الروابط والعلاقات وتدفعها إلى الأمام، تمليها متطلبات العصر لإزالة كثير من علامات الاستفهام التي تنسج ستاراً كثيفاً من الشك والريبة.

5 ـ جريدة «الوطن» العدد 679 في 3 النوَّار/ فبراير (شباط) 1976 مسيحي ـ الكويت:

. . . . وتعتبر هذه الندوة أكبر حوار تاريخي من أجل الخير والسلام ودعم المعرفة، وإعادة الحق إلى نصابه بين المسلمين والمسيحيين تحقيقاً لبناء علاقات جديدة بينهما.

ثالثاً ـ بعض التعليقات الصحفية والإعلامية بعد انتهاء الندوة:

1 ـ جريدة «واشنطن بوست» ـ 7 الربيع/ مارس (آذار) 1976 مسيحي ـ الولايات المتحدة الأمريكية:

نشرت البيان النهائي الذي يتضمن التوصيات والمقررات بكامله.

2 ـ جريدة «أكشن» ـ 8 الربيع/ مارس (آذار) 1976 مسيحي ـ الولايات المتحدة الأمريكية:

نشرت البيان النهائي بكامله.

3 ـ جريدة «كريستيان ساينس مونيتور» 9 الربيع/ مارس (آذار) 1976 مسيحي ـ الولايات المتحدة الأمريكية:

نشرت البيان النهائي كاملاً.

4 ـ جريدة «التايمس» العدد 59628 الصادر في 14 النوّار/ فبراير (شباط) 1976 مسيحي ـ لندن :

نشرت مقالاً مطولاً بعنوان (وأخيراً انتهت الحروب الصليبية)، نقتطف منه :

. . . بعد أربعة عشر قرناً من العداوة والريب التقى المسلمون والمسيحيون ليكتشفوا ما هو مشترك بينهم حيث أن العلماء عكفوا على هذا العمل العسير لأكثر من ثلاثين سنة، بيد أن هذه هي المرة الأولى التي يعقد فيها حوار دولي وعلني.

. . . إن النتيجة العملية الرئيسية للحوار كانت دراسية حيث أدرك المسيحيون والمسلمون الذين جاءوا من أنحاء العالم أن هناك الكثير من الأمور المشتركة بينهم، وهي من الأهمية بمكان لجميع الأقطار كالسودان ونيجيريا حيث المسيحيون والمسلمون يعيشون في وئام.

5 ـ جريدة «لوموند» ـ 13 النوّار/ فبراير (شباط) 1976 مسيحي ـ باريس :

نشرت مقالاً مطولاً بقلم أندريه مندوز، نقتطف منه قوله :

. . . . . حتى لو كان يوجد في أصل ندوة الحوار الإسلامي المسيحي الكثير من العناصر المتناقضة فإن هذه الندوة قد نجحت بفضل الدينامية الداخلية للإيمان بالله ذاته، ولو انتفى التأكيد الأساسي لهذا القسم من العقيدة الدينية فإن كل شيء كان يبدو مهيأ لتدمير الخطوة المشتركة.

. . . . والحال: إن الفائدة الأولية لهذا الحوار الذي وصف عن حق بالحوار التاريخي وبالرغم من كل ثغراته فإنه جعل الشركاء يحسون بأنهم لا يمكن أن يتفقوا عند هذه النقطة فحسب، وأنه ينبغي أن يعاودوا الكرة، وأن ينظروا إلى الأمور عن قرب أكثر، وأن يُعِدُّوا الأمور بصورة أفضل، وأن يذهبوا بعيداً في اتجاه الدقة.

. . . . والأكيد أنه في طرابلس قد استمد الفريقان ـ وخاصة من بعضهما البعض ـ الكثير من الشجاعة والاستقامة، كما باشرا التعرف والاعتراف ببعضهما البعض، إذ إنه لم يعد ممكناً الحكم بدون الإدراك، وخاصة، وأنه، لم تعد ممكنة المماحكة حول الكتاب المقدس لدى أحدهم، أو قرآن الآخر، دون الرجوع إلى أولئك الذين جعلوا من هذا الكتاب أو ذاك أساس إيمانهم الخاص وحياتهم الخاصة أيضاً.

6 ـ جريدة «ليبر بلجيك» ـ 14 النوّار/ فبراير (شباط) 1976 مسيحي بلجيكا ـ نقلاً عن وكالة الأنباء الإسلامية (شيزي) العدد 38 ـ في 24 النوّار/ فبراير (شباط) 1976 مسيحي:

«. . . هذه المقررات عكست كل ما تردد في القاعة من آراء ـ. . . والندوة عموماً ناجحة نجاحاً منقطع النظير».

7 ـ جريدة «تيموانياج كريتيان» العدد 205 ـ في 12 النوّار/ فبراير (شباط) 1976 مسيحي ـ فرنسا:

نشرت مقالاً مطولاً عن الندوة، نقتطف منه:

بوجه يانع، تحت شعر أسود وسترة غامقة اللون، دخل العقيد القذافي فجأة في ذلك المساء الموافق 2 النوّار/ فبراير القاعة الكبرى في طرابلس حيث اجتمع أربعمائة مراقب حضروا من ستين بلداً لحضور المؤتمر الإسلامي المسيحي الذي سيدوم خمسة أيام وكانت لحظة مفاجئة للمصورين الذين تسارعوا إلى التقاط الصور.

وجلس رئيس الدولة الليبي بتواضع على مقعد من المقاعد المخصصة للصحافة. وعلى المنبر الكبير التقت الوفود الرسمية المسيحية والإسلامية، والتي تشكل كل منها من أربعة عشر عضواً، وكان الكاردينال بينيودولي يرأس الوفد المسيحي بحضور الأب روسانو والأب فرنسوا أبو مخ اللذين يشغلان على التوالي منصبي نائب رئيس وأمانة لجنة العلاقات مع الإسلام في الفاتيكان.

ونهض الكاردينال وقطع المسافة وألقى التحية على العقيد، وأما الوفود الواقفة فقد بدأت بالتصفيق.

8 ــ جريدة «لاكروا» العدد 28298 في 10 النوّار/ فبراير (شباط) 1976 مسيحي ــ فرنسا:

نشرت مقالاً مطولاً بقلم ميشيل لولونغ، وممَّا جاء فيه:

«. . . والأمر الأخطر أن يستنتج البعض بأن الحوار الإسلامي المسيحي هو في نهاية المطاف من الأمور المستحيلة، وبالطبع بعد قرون وقرون من المصاعب المتبادلة وبالإضافة إلى الكثير من المشاكل الملحة اليوم (المأساة الفلسطينية ــ الحالة الراهنة للعلاقات بين البلدان المصنعة والعالم الثالث الذي يأتي في عداد دوله معظم الدول الإسلامية) فإنه لا مفر من أن تظل العلاقات بين الكنيسة والأمة الإسلامية علاقات شاقة في أغلب الأحيان، ومع ذلك فإنه قد تم منذ بضع سنوات تطور عميق في هذا المجال. وعلى الرغم من العوارض التي وقعت في الساعة الأخيرة من ندوة الحوار، فإن هذه الأخيرة قد شكلت مرحلة جديدة على طريق المصالحة الإسلامية المسيحية. زد على ذلك أن البيان النهائي، الذي لم يتوقف بعض المعلقين إلا عند بضعة أسطر منه متعلقة بالمسائل السياسية، يشكل وثيقة من تسع صفحات، ويدعو، انطلاقاً من أعمال الندوة، إلى آفاق إيجابية جداً باتجاه الصداقة والتعاون والاتفاق الديني بين المسلمين والمسيحيين. وعندما يتم التفكير في ذلك العدد المدهش من البعثات الإسلامية والمسيحية التي جاءت إلى طرابلس من جميع أنحاء العالم للاشتراك في ندوة الحوار الإسلامي المسيحي، وعندما يتم تذكر بعض الأوقات المفعمة بالصداقة والصلاة والتي طبعت تلك الأيام، عندما يتم تذكر ذلك لا يمكن النظر إلى لقاء طرابلس إلا كدليل يبشر بمستقبل أكثر إشراقاً، وبدون ريب، ستساهم تلك الندوة في تشجيع الإخلاص لله لدى الطائفتين المسيحية والإسلامية، كما أنها ستشجع البحث المشترك عن العدل والأخوة الدولية التي أعلنها منذ اليوم الأول رئيسا البعثتين الإسلامية والمسيحية.

9 ـ وكالة الأنباء الإسلامية (شيزي) ـ العدد 38 ـ في 24 النوَّار/ فبراير (شباط) 1976 مسيحي ـ روما:

لأول مرة يلتقي الشرق والغرب معاً في لقاء الإنسانية في الحوار العالمي الرائع بين الفكر الإسلامي والفكر المسيحي، هذا الحوار الذي يعتبر مقدمة لمناقشات ولقاءات كثيرة قادمة على طريق تصحيح التاريخ والسعي، لا للتعصب المذهبي، ولا لتبادل المنافع الاقتصادية والسياسية والمادية المؤقتة والمحدودة، وإنما لتعبيد الطريق للإنسانية المعذبة لتسير عليه بأمن وراحة وسلام.

10 ـ وكالة الأنباء الإسلامية (شيزي) ـ العدد 38 ـ في 24 النوَّار/ فبراير (شباط) 1976 مسيحي ـ روما:

استطاع الصحفيون ومصور الإذاعات المرئية والمسموعة وممثلو وكالات الأنباء العالمية ووكالات الأنباء الإسلامية الذين دعتهم الحكومة العربية الليبية من مختلف أنحاء العالم لتغطية أنباء ندوة طرابلس. . . أن ينقلوا وقائع المؤتمر بتفاصيلها الكاملة عن طريق التلكس والهاتف والتسجيل اللاسلكي بصورة مستمرة ليلاً نهاراً وبحرية مطلقة وتحملت الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى جميع نفقات المؤتمر والمؤتمرين من مصاريف السفر والإقامة والمواصلات الداخلية، وجهزت عدداً كبيراً من الموظفين للسهر على راحة الضيوف وتحقيق رغباتهم الكاملة.

11 ـ جريدة «الحياة» ـ 16 النوَّار/ فبراير (شباط) 1976 مسيحي ـ مالطا:

إن ندوة طرابلس تعتبر بداية طيبة لتحسين العلاقات بين الجانبين، وخطوة هامة وإيجابية لالتقاء الديانتين الإسلامية والمسيحية.

12 ـ مراسل وكالة الأنباء الفرنسية بالفاتيكان ـ عن العدد ـ 8 ـ من نشرة وكالة أنباء الثورة العربية بليبيا ـ 9 النوَّار/ فبراير (شباط) ـ 1976 مسيحي:

بعث السيد جورج ألبرت سلفان، المراسل الخاص لوكالة الأنباء الفرنسية رسالة إلى مدير عام وكالة أنباء الثورة العربية جاء فيها:

إن التعاطف اللامتناهي الذي أبداه جميع المعنيين بالندوة ترك لديّ انطباعاً حسناً عن الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى ـ. . . إن استخدام جهاز إبراق الثورة العربية والتلكس بمسرح التحرير والتلكس بالفندق الذي يقيم فيه الصحفيون قد مكنهم من الاتصال السريع الخارجي وسهل مهمتهم في نقل أخبار الندوة.

13 ـ جريدة «الصباح» ـ 7 النوّار/ فبراير عن (شباط) 1976 مسيحي ـ تونس:

لعل أهم ما تميزت به حتى الآن القمة الإسلامية المسيحية هو تدخل الأب لنفري الذي طلب من أعلى المنصة من المسلمين أن يغفروا للمسيحيين كل ما قالوه في حق الرسول محمد. . . وقد اهتزت القاعة بالتصفيق، وواصل الأب كلامه: إننا نتفهم المرارة التي يشعر بها المسلمون، وإنني أطالب بأن تقع مراجعة نصوصنا الدينية والكتب المعدة للصِّغار، وإنه لمن الظلم اتهام المسيحية بكونها الملهمة للإمبريالية أو الصهيونية، وإننا، نحن المسيحيون، تألمنا كثيراً في الأيام الأخيرة من جرّاء الهجمات على كتبنا المقدسة، وإن طريقنا لملأى بالمكائد، ولكننا سنصل إلى الهدف المنشود.

14 ـ جريدة «العمل» ـ 11 النوّار/ فبراير (شباط) 1976 مسيحي ـ تونس:

. . . . وعلى كل فإن الدينين المسيحي والإسلامي ليسا ديناً واحداً، ومن هنا فالحوار بينهما متشعب، وإمكانية السير بهما جنباً إلى جنب صعبة التحقيق، وما كانت لندوة طرابلس إلا أن تكون نقطة انطلاق للقاءات أخرى بين رجال المساجد والكنائس في محاولات للتقريب بين الآراء والعمل.

15 ـ جريدة «الثورة» ـ العدد 2507 في 13 النوّار/ فبراير (شباط) 1976 مسيحي ـ اليمن:

نشرت مقالاً مطولاً عن الندوة بقلم الشيخ أحمد محمد زبارة مفتي جمهورية اليمن الشمالية وممَّا جاء فيه:

انعقدت ندوة الحوار الإسلامي المسيحي بليبيا بدعوة من حكومتها واختارت خمسة عشر مسلماً مفكراً رئيسهم الأخ محمد أحمد الشريف وزير التربية والتعليم، كما اختار الفاتيكان خمسة عشر مسيحياً مفكراً رئيسهم الكاردينال سيرجيو بينيودولي، فاشترك الطرفان في الحوار ستة أيام، وحضرها نحو أربعمائة مراقب وصحفي مسلم ومسيحي.

16 ـ مجلة «أضواء اليمن» ـ 30 النوّار/ فبراير (شباط) 1976 مسيحي ـ اليمن:

نشرت مقالاً مطولاً بقلم رئيس تحريرها الأستاذ عبد الرزاق فرفور، وممّا جاء فيه: حققت ليبيا انتصاراً سياسياً وإنسانياً رائعاً عندما تم في مطلع النوّار/ شباط (فبراير) الجاري عقد أول ندوة تاريخية إسلامية مسيحية تهدف إلى إزالة الترسبات والشكوك التي زرعت لأهداف مغرضة بين الديانتين.

17 ـ جريدة «الوطن» العدد 682 ـ 7 النوّار/ فبراير (شباط) 1976 مسيحي ـ الكويت:

نشرت مقالة مطولة بقلم رئيس التحرير الأستاذ محمد مساعد الصالح، ومما جاء فيها: . . . أعتقد أن ليبيا والفاتيكان قد نجحتا في تهيئة مثل هذا الحوار الهادئ الذي نحن بأشد الحاجة إليه.

كما أن اشتراك العقيد القذافي رئيس الدولة في ليبيا في الحوار له دلالته التي كانت محل ارتياح من جميع المشاركين، خصوصاً الطريقة التي دخل بها قاعة الندوة، حيث فاجأ المشاركين بوجوده، وأصر على أن يجلس في الصفوف الخلفية، مع الجمهور. وأعتقد أن الحكام العرب بحاجة بين وقت وآخر لأن يجلسوا في الصفوف الخلفية، مع الشعب، ليستمعوا إلى وجهات نظره مباشرة، ومن دون وسيط، وهو الأسلوب الديموقراطي الذي يبشر به القذافي. وقد جاء بهذه الطريقة ليجسد ما يؤمن به، ونأمل أن نرى الزعماء والقادة العرب في الصفوف الخلفية دائماً، أعني مع الشعب.

18 ـ جريدة «الرأي العام» ـ العدد 4418 ـ في 7 النوَّار/ فبراير (شباط) 1976 مسيحي ـ الكويت:

. . . وتؤكد القرارات الأربعة والعشرون التي أصدرها المؤتمر رغبة الكاثوليك والمسلمين في مواصلة حوارهم وإنشاء جهاز دائم لتولّي هذه المهمة.

19 ـ جريدة «الديار» ـ 15 النوَّار/ شباط (فبراير) 1976 مسيحي ـ بيروت:

نشرت مقالة بعنوان «المسلمون والمسيحيون يتحاورون في ليبيا»، وممَّا جاء فيها: وسجلت الأوساط الدولية النتائج الإيجابية لهذه الندوة في الأوساط المسيحية والإسلامية العالمية، ولاحظت أن الندوة تُبدِّدُ بعض الغبار الذي تطلقه وسائل الإعلام الصهيونية في محاولاتها الملحة لتأليب الرأي العام المسيحي ضد القوى الإسلامية.

20 ـ مؤتمر صحفي للمطران غريغوار حداد في بيروت يوم 10 النوَّار/ فبراير (شباط) 1976 مسيحي:

نشرت تفصيلاته معظم الصحف اللبنانية، وتناول فيه ندوة الحوار الإسلامي المسيحي بطرابلس وانطباعاته حولها، والآراء التي يقترحها لاستمرار نجاح أي لون من ألوان الحوار في المستقبل، وممَّا جاء فيه:

مضى 14 قرناً، ونحن ننظر إلى بعضنا البعض من دون أن يجرؤ أحد منا على البدء بالحوار الفعلي، وجاء هذا اللقاء، ولو متأخراً ليزيل الهوة القائمة.

. . . واقترحت في كلمتي التي ألقيتها أن تعقد إحدى ندوات الحوار المقبلة في لبنان لا فقط بين اللبنانيين، بل بين ممثلين عن العالم، ولكن النتائج العامة بحد ذاتها قادرة أن تسهم في ترطيب الأجواء بين المسلمين والمسيحيين عندما يكتشفون جميعاً أن مسلمي ومسيحيي العالم تخطوا كثيراً مرحلة الصدام والصراع.

21 ـ مجلة الكفاح العربي ـ 24 النوّار/ فبراير (شباط) 1976 مسيحي ـ بيروت:

نشرت تصريحاً أدلى به في روما المستشرق الإيطالي فرنشسكو غابريللي، وممَّا جاء فيه:

1 ـ المؤتمر عقد بناء على مبادرة عربية.

2 ـ يُعَدُّ المؤتمر أول حوار بين الإسلام والمسيحية يجري على قدم المساواة.

3 ـ ينهي المؤتمر قروناً من الكراهية والصراع.

* * *



بَعضُ الآثَار وَالنتائج العَمَلية لندوَة طرابلس

لقد بدا على جميع المشاركين والمراقبين في ندوة طرابلس الحرص الشديد على أن تترجم الروح التي سادت الندوة، والمقررات التي اتخذت فيها، إلى واقع عملي وأن لا تكون هذه الندوة ظاهرة عابرة. وكان سبب هذا الحرص هو ما لمسه الجميع من روح إيجابية تبشر بفتح آفاق واسعة من التعاون الصادق والمخلص، بالإضافة إلى الرغبة الأكيدة في تنفيذ ما صدر عن الندوة من توصيات ومقررات، هذه الرغبة التي سجلت رسمياً في المقررات ذاتها، والتي أفردت بالبند الثالث والعشرين منها والذي جاء فيه: «قرر الجانبان تشكيل لجنة متابعة دائمة مشتركة، تكون مهمتها تنفيذ المقررات والتوصيات السابقة، ومتابعة كل ما يَجِدُّ من قضايا تتعلق بها، كما تكلف بالإعداد للندوات المماثلة المقبلة».

وقد تشكلت اللجنة بالفعل وباشرت أعمالها وبادرت إلى ممارسة ألوان من النشاط تحقيقاً لأهدافها.

كما أن الندوة أفرزت، على الصعيد الواقعي، كثيراً من النتائج العملية ومن أهم هذه النتائج:

1 ـ قرار من مؤتمر وزراء خارجية الدول الإسلامية بتأييد الحوار:

انعقد هذا المؤتمر في دورته السابعة العادية في إستانبول من 13 ـ 16

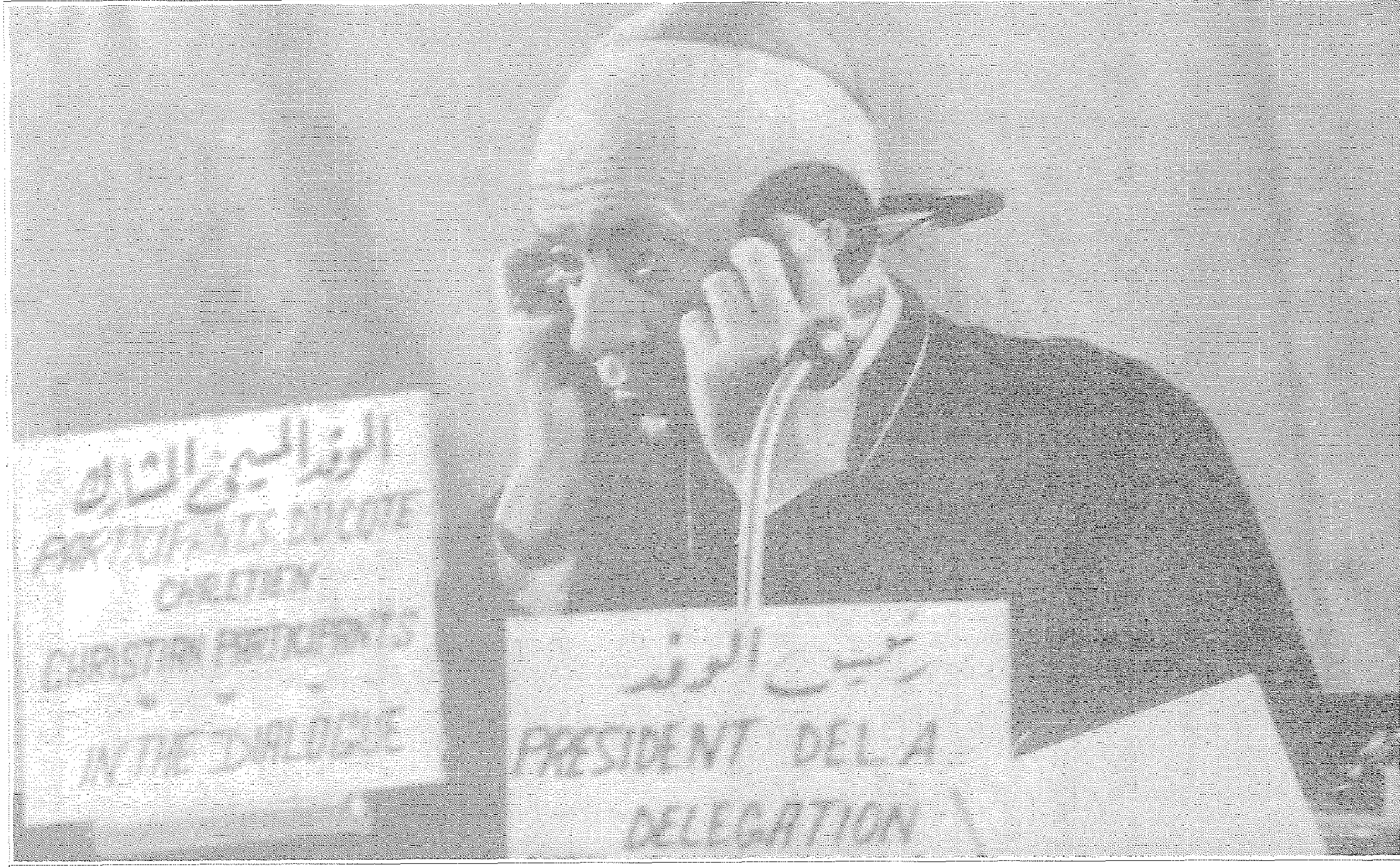
جمادى الآخرة الموافق 12 ـ 15 الماء/ أيار (مايو) 1976 مسيحي واطلع على المذكرة التي قدمتها الأمانة العامة للمؤتمر حول ندوات الحوار الإسلامي المسيحي، وخاصة بعد ندوة طرابلس التي أقيمت قبل شهرين من انعقاد المؤتمر، والتي تركت أصداء واسعة على الصعيد العالمي وقد اتخذ المؤتمر قراراً برقم (14 ـ 7 سي) أبدى فيه ارتياحه لعقد هذه الندوات التي تساعد على حسن إبراز الإسلام والحضارة الإسلامية، كما تساعد على حسن العلاقات بين العالمين الإسلامي والمسيحي بصفة عامة.

وقد كلف المؤتمر أمينه العام بمتابعة هذه الندوات، إسهاماً بدعم ما يحقق مقاصدها كما كلفه بإخطار المؤتمر مستقبلاً بما يجد منها مستعيناً في ذلك بالخبرات العلمية المناسبة من العالم الإسلامي.

وقد كلف الأمين العام للمؤتمر رئيس صندوق التضامن الإسلامي الدكتور عز الدين إبراهيم، والذي كان من بين المشاركين في ندوة طرابلس، أن يقوم بزيارة قداسة البابا ويبلغه بمباركة جهود الحوار الإسلامي المسيحي، وتكليف الأمانة العامة بمتابعة هذه الحوارات، وقد تمت المقابلة بالفعل بتاريخ 25/ 8/ 1976 مسيحي، وقد أبدى قداسته سروره للدور الإيجابي الذي يتخذه المؤتمر الإسلامي بندوات الحوار وأعطى تعليماته بالتعاون.

2 ـ بروتوكول روما:

في الثامن عشر من شهر الربيع/ مارس (آذار) 1976 مسيحي، التقى الأخ أحمد الشحاتي أمين الشؤون الخارجية مع المسؤولين في الفاتيكان لوضع ترتيبات رسم الخطوات العملية لوضع مقررات طرابلس موضع التنفيذ. وصدر عن هذا اللقاء «بروتوكول روما» المؤرخ في 18 الربيع/ مارس (آذار) 1976 مسيحي، وهو البروتوكول الذي يقضي بتشكيل لجنة متابعة دائمة ومشتركة لتنفيذ مقررات وتوصيات الندوة، وقد تم تشكيل هذه اللجنة.


CHRISTIAN PARTICIPANTS
IN THE DIALOGUE
رئيس الوفد
PRESIDENT DEL A
DELEGATION

3 ـ لجنة المتابعة الدائمة المشتركة:

تم تشكيل هذه اللجنة من الأخوة:

أ ـ عن الجانب الفاتيكاني:

1 ـ الأب فرنسوا أبو مخ

2 ـ الأب آري روست كروليوس

3 ـ الأب فيديريكو بيروني

ب ـ عن الجانب الليبي:

1 ـ الأخ جبريل شلوف

2 ـ الأخ خليفة التليسي

3 ـ الأخ مفتاح ماضي

وقد اتخذت اللجنة لها مقراً واختارت لها رئيساً هو الأب فرنسوا أبو مخ وأميناً هو الأخ جبريل شلوف وقد وضعت اللجنة نظامها الأساسي ونظامها الداخلي وأقرّا من السلطات الفاتيكانية والليبية وقد باشرت اللجنة أعمالها وتقدمت بعدد من الاقتراحات والأعمال، فقد اقترحت إعادة افتتاح كنيسة بنغازي وطبع وثائق وبحوث ندوة طرابلس في كتاب كما أشرفت على ترتيب ندوتين في صقلية للتعريف بندوة طرابلس كما نظمت رحلة لعدد من الطلاب الإيطاليين إلى ليبيا في نطاق فكرة تبادل الأساتذة والطلاب لبلوغ مزيد من المعرفة.

4 ـ النظام الأساسي للجنة المشتركة الدائمة لمتابعة أعمال الحوار الإسلامي المسيحي:

مقدمة

رغبة من الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى والفاتيكان في توطيد الثقة المتبادلة بين العالمين الإسلامي والمسيحي، وتلبية لروح التعاون

والأخوة التي يجب أن تلهم دوماً كل مؤمن بالله، واستجابة لرغبات الشعوب المسيحية والإسلامية في العيش في جو من التفاهم والألفة والمحبة وتنفيذاً للمادة 23 من مقررات وتوصيات ندوة الحوار الإسلامي المسيحي المنعقدة في طرابلس بالجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى في الفترة من 2 ـ 6 صفر 1396هـ الموافق 1 ـ 6 النوَّار/ فبراير 1976 مسيحي، قررا تشكيل لجنة مشتركة دائمة تخضع في أعمالها للنظام الأساسي التالي:

مادة 1

أسست الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى والفاتيكان في عام 1396هـ الموافق 1976مسيحي اللجنة المشتركة الدائمة لمتابعة أعمال ندوة الحوار الإسلامي المسيحي.

مادة 2

هذه اللجنة ثنائية أي مشكلة من ممثلين عن الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى، وعن الفاتيكان ويمثل كلاً من الطرفين ثلاثة أعضاء تعينهم السلطتان المختصتان.

مادة 3

شروط العضوية:

يتم اختيار أعضاء اللجنة من ذوي الكفاءة والخبرة في الديانتين الإسلامية والمسيحية.

مادة 4

أهداف اللجنة:

تعميق المواضيع والأبحاث والمقررات التي درست في ندوة الحوار الإسلامي المسيحي ووضعها موضع التنفيذ.

مادة 5

تطلع اللجنة السلطتين المختصتين على كل ما تتوصل إليه من نتائج ومقررات على أنه لا يحق لها اتخاذ قرارات رئيسية (المبادرة الجديدة وعقد المؤتمرات. . . إلخ) إلا بعد الحصول على موافقة مسبقة من السلطتين المعنيتين.

مادة 6

تستعين اللجنة أثناء عقد جلساتها بخبراء مشهود لهم إذا رأت ذلك مفيداً. ويحق لها أن تلجأ إلى خبراء في المواضيع الدينية والاجتماعية لوضع أبحاث ودراسات تساعدها على تحقيق أهدافها.

كما يحق لها في سبيل ذلك أن تستخدم وسائل الإعلام والنشر والإذاعة والبحث العلمي.

مادة 7

تحتفظ اللجنة بشكلها الثنائي (الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى والفاتيكان) لسنة على الأقل فإذا رغبت إحدى الدول أو المنظمات الإسلامية أو إحدى الكنائس المسيحية أن تنضم إلى عضوية اللجنة بعد مرور سنة على تأسيسها تقرر السلطتان المختصتان طريقة الانضمام وشروطه.

مادة 8

تضع اللجنة في اجتماعها الأول نظامها الداخلي الذي يحدد أسلوب عملها.

مادة 9

يحق للجنة بعد استشارة السلطتين المختصتين إدخال تعديلات على هذا النظام الأساسي.

حُرِّر هذا النظام الأساسي في طرابلس يوم الثلاثاء 15 رجب 1396هـ الموافق 13 ناصر/ يوليو 1976 مسيحي.

5 ـ النظام الداخلي للجنة الدائمة لمتابعة أعمال ندوة الحوار الإسلامي المسيحي:

بناء على المادة 8 ـ من النظام الأساسي للجنة المشتركة الدائمة لمتابعة أعمال ندوة الحوار الإسلامي المسيحي تم وضع النظام الداخلي التالي:

المادة (1)

تشكيل اللجنة:

تتكون اللجنة من طرفين أحدهما يمثل الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى والآخر يمثل الفاتيكان ويتكون كل طرف من ثلاثة أعضاء تختارهم السلطة التي يمثلونها.

المادة (2)

رئاسة اللجنة:

أ ـ تكون الرئاسة بالتناوب بين الطرفين الإسلامي والمسيحي.

ب ـ ينتخب الرئيس لمدة سنة واحدة ويتم انتخابه بنسبة ثلثي أعضاء اللجنة.

ج ـ سلطات الرئيس تتمثل برئاسة الجلسات وإدارتها والتوقيع على المراسلات الرسمية وتمثيل اللجنة لدى المراجع الرسمية.

د ـ إذا تغيب الرئيس عن إحدى الجلسات ناب عنه أمين اللجنة.

المادة (3)

أمانة اللجنة:

أ ـ تكون الأمانة بالتناوب بين الطرفين الإسلامي والمسيحي.

ب ـ يتم انتخاب الأمين من الطرف الذي لم يتمثل في الرئاسة.

جـ ـ ينتخب الأمين لمدة سنة واحدة ويتم انتخابه كذلك بنسبة ثلثي الأعضاء..

هـ ـ سلطات الأمين تتمثل بتخطيط نشاطات اللجنة وتحضير جدول الأعمال وضبط الجلسات والتبليغ بمواعيدها وإعداد المراسلات وتمثيل اللجنة مع الرئيس أمام المراجع الرئيسية.

د ـ إذا غاب الأمين كلف الرئيس أحد الأعضاء بالنيابة عنه.

المادة (4)

الاجتماعات:

تعقد اللجنة ثلاثة اجتماعات كل سنة. ويحدد في كل اجتماع موعد الاجتماع المقبل وتتم الاجتماعات بالتناوب وبشكل دوري في طرابلس وروما.

المادة (5)

يحق للجنة إذا دعت ظروف طارئة أن تعقد اجتماعات استثنائية وفي هذه الحالة يقرر الرئيس والأمين بعد استشارة الأعضاء عقد الاجتماع وموعده ومكانه.

المادة (6)

إذا تغيب أحد الأعضاء لمانع مشروع عن جلسة انتخاب الرئيس أو الأمين جاز له أن يفوض أحد الأعضاء الآخرين كتابة بالتصويت عنده.

حرر هذا النظام الداخلي في طرابلس يوم الأربعاء 16 رجب 1396هـ الموافق 13 ناصر/ يوليو 1976 مسيحي.

6 ـ إعادة افتتاح كنيسة بنغازي:

تلبية لرغبة لجنة المتابعة الدائمة المشتركة لندوة طرابلس، وحرصاً من

الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى على تأكيد رغبتها الصادقة في تحقيق روح التعاون فقد وافقت الجماهيرية على إعادة افتتاح الكنيسة الكاثوليكية في مدينة بنغازي، وتم افتتاحها في اليوم الثامن من شهر الكانون/ ديسمبر (كانون الأول) 1977 مسيحي، وقد أجريت طقوس الافتتاح بحضور حشد كبير من المدعوين من المسيحيين والمسلمين وكان بين الحاضرين وفد يمثل الفاتيكان على رأسه رئيس قساوسة إفريقيا بالجزائر ورئيس قساوسة المغرب العربي المقيم في طرابلس، وقد أشاد أعضاء الوفد بالمبادرة الطيبة التي سجلتها الجماهيرية، وأعلنوا أنها إحدى النتائج العملية لندوة طرابلس وأنها خطوة طيبة في طريق التفاهم.

7 ـ الندوات التي عقدت للتعريف والتذكير بندوة طرابلس:

لقد تم عقد ست ندوات فكرية للتعريف والتذكير بندوة طرابلس وأهميتها والآمال المعقودة عليها، وذلك على فترات متباعدة وكان بعض هذه الندوات قد تم بمبادرة وترتيب من لجنة المتابعة الدائمة المشتركة وبعضها الآخر قد تم بمبادرات أخرى وكل هذه الندوات تعتبر من بين الآثار الطيبة التي تولدت عن ندوة طرابلس، فقد كانت جميعها تصدر عن نفس الروح التي سادت ندوة طرابلس وهي روح المحبة والرغبة العميقة في التعاون الإسلامي المسيحي.

8 ـ ندوة مالطا الأولى:

نظمت الإذاعة المرئية المالطية ندوة خاصة عن ندوة الحوار الإسلامي المسيحي بطرابلس، وذلك بعد عودة الوفد المالطي الذي حضر ندوة طرابلس.

وقد اشترك في الندوة بعض أعضاء الوفد المالطي الذي حضر ندوة طرابلس وعدد من علماء الدين واللغات بجامعة مالطا.

وقد تحدث المشاركون في هذه الندوة عن انطباعاتهم عن اللقاء الإسلامي المسيحي بطرابلس فأكدوا أن اللقاء كان مثمراً وناجحاً، ووصف أحد الرهبان لقاء طرابلس بأنه كان من أجمل صفحات تاريخنا المعاصر وعبَّر راهب



آخر عن إعجابه بمشاركة الأخ العقيد معمر القذافي الإيجابية في الندوة وقال: لقد لاحظت أن هذا الرئيس الشاب يتمتع بالإيمان الصادق والقوي.

9 ـ ندوة كاتانيا بصقلية:

عقدت هذه الندوة في مدينة كاتانيا بجزيرة صقلية بإيطاليا على مسرح ماسيمو بلليني يوم 16 الحرث/ نوفمبر (تشرين الثاني) 1976 مسيحي، وتكلم فيها السيد ماريو لاييزي باسم عمدة المدينة والسيد ميكالي بابا رئيس جمعية الصداقة الصقلية العربية ومدير التربية بالمدينة السيد نزيوا لمباردو والأخ جبريل شلوف أمين لجنة المتابعة والأخ الشيخ علي شويطر المستشار في المحاكم في ليبيا والأب فيدريكو بيروني عضو لجنة المتابعة المشتركة.

وكان انعقاد هذه الندوة بالتعاون مع جمعية الصداقة العربية الصقلية ولجنة المتابعة المشتركة.

وكانت لهذه الندوة أصداء واسعة في جماهير هذه المدينة، وقد أعلنت مديرية التربية هناك عن إجراء مسابقة بين طلبة المدارس حول إيجابيات فكرة التفاهم الإسلامي المسيحي.

10 ـ ندوة بالرمو بصقلية:

عقدت هذه الندوة في مدينة بالرمو عاصمة الجزيرة يوم 18 الحرث/ نوفمبر (تشرين الأول) 1976 مسيحي، في مسرح بيوندو، وتكلم فيها المحامي ميكالي بابا رئيس جمعية الصداقة الصقلية العربية والنائب السيد هوتشولي رئيس معهد الدراسات وتوثيق الثقافة العربية الإسلامية الصقلية والأخ جبريل شلوف أمين لجنة المتابعة المشتركة والأخ القنصل العام للجماهيرية في بالرمو وكان انعقاد هذه الندوة بمبادرة وترتيب لجنة المتابعة المشتركة وجمعية الصداقة الصقلية العربية.

11 ـ ندوة معهد الدراسات السياسية (مدرسة الدراسات العليا) بباريس:

نظم هذا المركز ندوة بعنوان (الحوار الإسلامي المسيحي في طرابلس

مذهبياً وسياسياً) وقد أشرف على إدارة هذه الندوة السيد جان بول شارنيي الذي حضر ندوة طرابلس وهو أستاذ باحث بالمركز الفرنسي الوطني للبحث العلمي. والمعروف عن هذا المعهد أنه يضم باحثين ومفكرين يهتمون بالسياسة الخارجية وبدراسة أهم الأحداث التي تسجل في السياسة الدولية.

12 ـ ندوة اليونسكو بباريس:

عقدت هذه الندوة يوم 30 الربيع/ مارس (آذار) 1979 مسيحي، في مقر منظمة اليونسكو بباريس احتفالاً بمرور ثلاث سنوات على ندوة طرابلس.

وقد أعطت وكالة الأنباء الإسلامية (شيزي) وصفاً لهذه الندوة في العدد 108، ومما جاء فيه: منظمة اليونسكو تحتفل بمقرها الدائم في باريس بالذكرى الثالثة لندوة الحوار الإسلامي المسيحي بمشاركة نخبة رفيعة من رجال الثقافة والعلم والدين وممثلين عن السلك الدبلوماسي العربي والإسلامي في باريس. اشترك في الاحتفال جهاز المنظمة برئاسة المدير العام أحمد مختار أمبو، ولجنة مسيحية فنية من دولة الفاتيكان قدمت من روما برئاسة المونسينيور بييرو روسانو ولجنة مماثلة إسلامية قدمت من الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى برئاسة الأستاذ أحمد الشحاتي وبحضور القاصد الرسولي ممثلاً عن دولة الفاتيكان في باريس، ومستشار دولة الإمارات العربية الدكتور عز الدين إبراهيم والأمين العام للمجلس الإسلامي الأوروبي الدكتور سالم عزام وأمين اللجنة الدائمة للحوار في روما الأستاذ جبريل شلوف وممثل رابطة العالم الإسلامي في باريس الدكتور خلدون الكناني وجمع غفير من علماء المسلمين والمسيحيين من المغرب والجزائر وليبيا والعربية السعودية والإمارات المتحدة وقطر وسورية والعراق ولبنان وفلسطين وأسبانيا وإيطاليا ورجال الصحافة والإعلام ووكالات الأنباء الإسلامية والعربية والأجنبية ومراسلو الإذاعة المرئية والمسموعة الإيطالية والفرنسية.

وقد تحدث في هذه الندوة مجموعة من المفكرين، منهم:

أ ـ **الأخ أحمد مختار أمبو** المدير العام لمنظمة اليونسكو، ومما جاء في كلمته:

(. . . ضمن هذا النطاق الإنساني النبيل نحتفل اليوم بالذكرى الثالثة لندوة الحوار الإسلامي المسيحي في طرابلس التي يعود إليها الفضل في اقتحام حواجز الماضي ودفع عجلة التقارب والتعاون بين أكبر ديانتين في العالم الإسلامي والمسيحي ليس لمصلحة المسلمين والمسيحيين فحسب بل لمصلحة العالم أجمع.

ب ـ **المونسنيور بييرو روسانو** رئيس الوفد المسيحي سكرتير الأمانة العامة لشؤون غير المسيحيين في دولة الفاتيكان، ومما جاء في كلمته:

(. . . . إنه بعد ثلاث سنوات من تلك الأيام الخمسة الخالدة التي تجلَّت فيها روح الأخوة بين المسلمين والمسيحيين في طرابلس أصبحنا نشعر بخطورة الحدث العظيم الذي أتاح للديانتين العظيمتين في العالم أن تتناقشا من جهة في القضايا المشتركة وأن تتدارسا المميزات الدينية للطرفين، وأن تدليا من جهة أخرى بنوايا التعاون الطيبة نحو السلام والعدالة والحرية واحترام حقوق الإنسان وحقوق الشعوب.

لهذا فإننا اليوم نجدد شكرنا وامتناننا إلى السلطات الليبية التي سعت إلى إيجاد هذا الحوار.

ج ـ **الأخ أحمد الشحاتي** رئيس الوفد الإسلامي ورئيس مكتب الاتصال الخارجي بمؤتمر الشعب العام في الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى ومما جاء في كلمته:

(إن ندوة الحوار الإسلامي المسيحي التي انعقدت في طرابلس عام 1976 مسيحي، تمثل شيئاً كبيراً في ميدان التعامل الإنساني لدعم الخير ومقاومة الشر وإن المعاني التي انبثقت عنها ستبقى في التراث الإنساني، وفي العلاقات الإيجابية بين أكبر ديانتين في العالم، وستكون من ضوابط الترشيد في أي لون من ألوان الحوار الذي سيعقد بينهما مستقبلاً.

. . . . لقد تحققت في مؤتمر طرابلس جوانب متشعبة الآفاق تهدف جميعها إلى تعزيز رسالة الأديان في نشر الخير وشجب الشر، وفي الانتصار للإنسان في كل مكان، وإلى فتح صفحة من التعاون القائم على الاحترام المتبادل وعلى الرغبة في فهم المعتقدات والحقائق مما ساعد على تصحيح كثير من التشويهات الظالمة التي خلفتها عهود الصراع والتوجس، بحيث اتفق الجانبان بعد الحوار على تكريم جميع الأنبياء والرسل في الديانات السماوية كلها، وعلى استنكار التعرض بالإساءة لهم أو التجرؤ على مقامهم لأن في ذلك اعتراضاً على إرادة الله الذي أرسلهم.

13 ـ ندوة مالطا الثانية:

عقدت هذه الندوة يومي 28 و29 أي النار/ يناير (كانون الثاني) 1980 في مدينة فاليتا بمالطا في اجتماعات مكثفة، وقد تناولت موضوعات متشعبة تتصل بالحوار الإسلامي، وبالآفاق التي فتحتها ندوة طرابلس في هذا السبيل، وقد تكلم في هذه الندوة مجموعة من المفكرين منهم الدكتور أنطوان بوتجيج رئيس جمهورية مالطا ومنهم الأب منتوف واللورد دوغلاس هاملتن الذي قدم من إنجلترا والسيد جوزيف برنكات والسيد ساروداكيس والسيد دافاموني والدكتور فيناتسو والأب مارتن بورج والأب فيدريكو بيروني والأب شمبري والأخ سالم الشويهدي أمين اللجنة الشعبية للجماهيرية في مالطا والأخ إبراهيم الغويل والأخ محمد عرفات الجراح والدكتور معمر القماطي والأخ عبد اللطيف منحاس.

14 ـ زيارة بعض الطلبة الإيطاليين للجماهيرية:

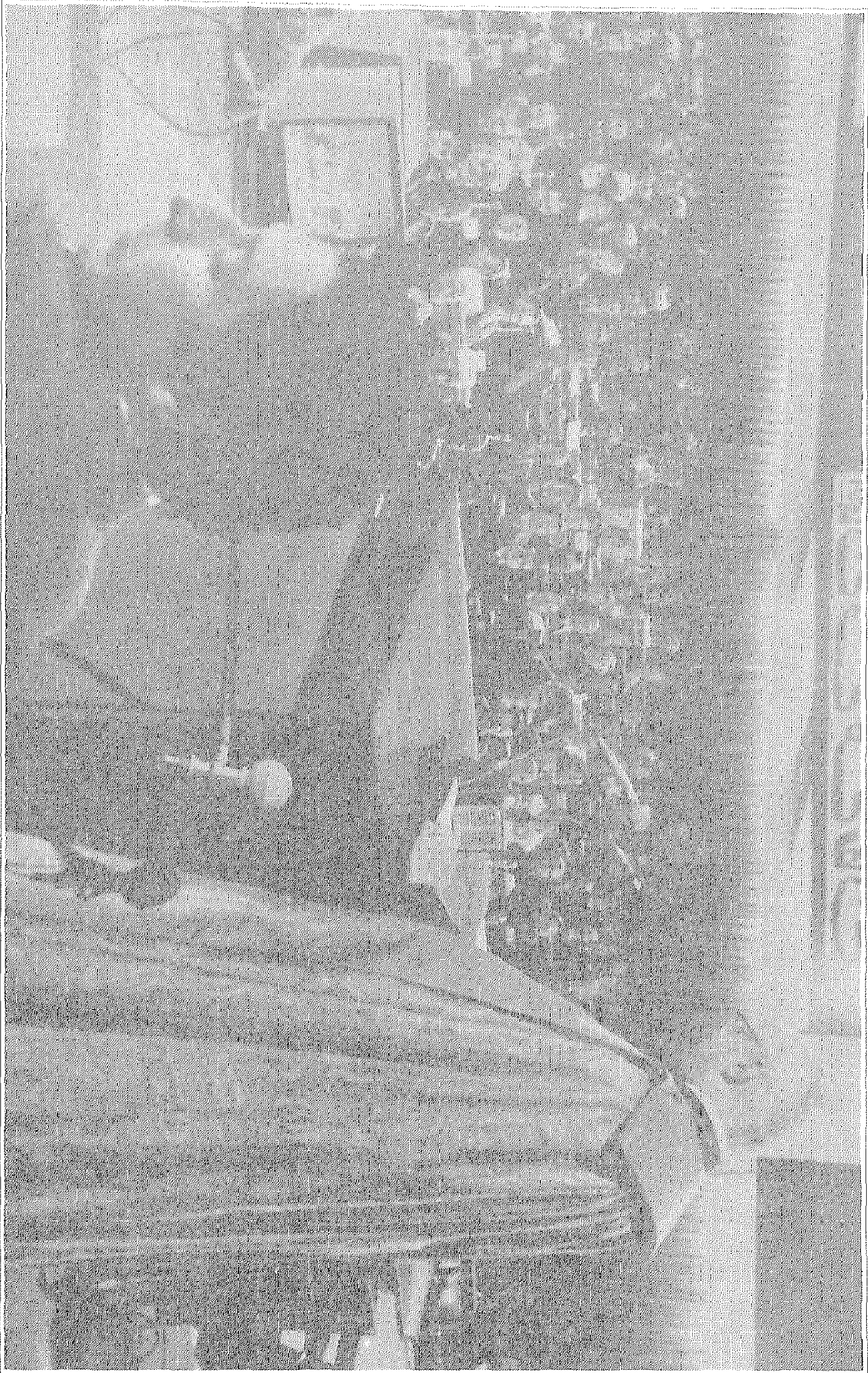
بعد الأصداء الطيبة لندوتي كاتانيا وبالرمو في صقلية، وبعد المسابقة التي أجرتها مديرية التربية في كاتانيا لجميع طلبة المدارس فيها حول أهمية الحوار الإسلامي وباقتراح من لجنة المتابعة الدائمة المشتركة وتحقيقاً لفكرة تبادل الأساتذة والطلاب، فقد تم ترتيب زيارة لمجموعة كبيرة من الطلبة الإيطاليين عام 1977 زاروا فيها الجماهيرية، واطلعوا عن كثب على التطورات والمنجزات

الهائلة لثورة الفاتح من سبتمبر في كافة المجالات وقد تركت هذه الزيارة انطباعات رائعة في نفوس الطلاب الزائرين.

15 ـ إصدار طوابع بريدية تذكارية بمناسبة انعقاد ندوة طرابلس:

بمناسبة انعقاد ندوة الحوار الإسلامي بطرابلس أصدرت المؤسسة العامة للبريد والمواصلات السلكية واللاسلكية في شهر النوَّار/ فبراير (شباط) 1976 مسيحي مجموعة من الطوابع البريدية التذكارية من فئتي 40 مليماً و115 مليماً، احتفاء بهذه المناسبة العظيمة.

* * *



التوصيات والمقرّرات

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تحت شعار:

﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾.

و«لنبحث إذاً عما يعزز السلام والأخوة».

وفي جو من الثقة والتفاؤل، واضطلاعاً بالمسؤولية المشتركة تجاه مستقبل الإنسان الذي يتهدده الخطر الحقيقي.، انعقدت ندوة الحوار الإسلامي ـ المسيحي في مدينة طرابلس بالجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى في الفترة الواقعة ما بين الأول والسادس من شهر صفر 1396هـ، الموافق لما بين الأول والسادس من شهر النوّار/ فبراير 1976مسيحي، بدعوة من الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى الشعبية الاشتراكية العظمى ودولة الفاتيكان، وقد شارك في هذه الندوة مجموعة من المفكرين المسلمين والمسيحيين من عدد من بلاد العالم، وحضرها مراقبون من علماء الدين الإسلامي ورجال الدين المسيحي، من الكاثوليك والأرثوذكس والبروتستانت ومن رجال الفكر والسياسة والصحافة والإعلام قدموا من أكثر من ستين دولة من دول العالم.

لقد كان الهدف من عقد هذه الندوة إيجاد جو جديد من الثقة المتبادلة بين العالم الإسلامي والعالم المسيحي. وذلك بالعمل على إزالة الرواسب والعقد المتخلفة من فترات التباعد والخصام والاستعمار، وتقصي الأسباب الحقيقية لها، وبذل الجهود المشتركة لاستئصالها، والحرص على مد جسور من التفاهم والتعاون بين معتنقي الدينين، بغية إيجاد المناخ الملائم الذي يساعد على تفهم ما يعانيه الإنسان المعاصر من أزمات مادية وروحية وتقديم الحلول العملية لها، وهم واثقون أن الدين هو المصدر الأصيل الذي يقدر على ذلك، لأن الدين ليس مجرد قيم روحية فحسب بل هو يشتمل أيضاً على التنسيق بين أوضاع المادة وأشواق الروح.

إن الإنسانية تئن اليوم من وطأة مظالم كثيرة. . .

وإن الإنسان اليوم ليعيش في دوامة من الفراغ والقلق والغربة الروحية والبعد عن الطمأنينة والسعادة. إنه يصطلي الجحيم الذي سببه الطغيان المادي على العالم والذي أخذ يحجب جذوره عن منابع الخير والحق والرحمة، هذه المنابع التي يمثل الدين مصدرها الحقيقي الأصيل. . .

إن الكفاح من أجل تحرير الإنسان من أنواع الجهل والظلم والاستبداد والاستغلال هو من صميم الدين وهو بالتالي من واجبات كل متدين، وإن هناك أولويات لا يمكن لأي دين إلٰهي أن يتراخى بشأنها أو يتهاون في الدفاع عنها:

منها كرامة الإنسان وحقه في الحياة، والحرية، وفي العدل والمساواة.

*** وفي ظل هذه المعاني قدمت للنقاش الموضوعات التالية:**

1 ـ هل يمكن للدين أن يكون إيديولوجية للحياة؟

2 ـ الأسس المشتركة في المعتقدات، ومواطن اللقاء في جميع ميادين الحياة.

3 ـ العدل الاجتماعي ثمرة الإيمان بالله.

4 ـ كيف نعمل على إزالة الأحكام المسبقة الخاطئة وضعف الثقة التي لا زالت تفرق بيننا.

وقد ساهم في عرض كل موضوع باحثان أحدهما مسلم والآخر مسيحي كل من وجهة النظر التي يمثلها، وجرى تحاور إيجابي اتسم بالصراحة والوضوح في مناخ من حرية الفكر المقترنة بالالتزام الذاتي بالمسؤولية أكد فيه الجانبان قدرة الدين على استيعاب الظروف المتطورة للعصر.

واتفق الطرفان على أن الدين هو أسمى من كل إيديولوجية، وأكد الجانب الإسلامي قدرة الإسلام على إقامة نظام للحياة وللمجتمع صالح لكل زمان ومكان، من خلال نظرة شمولية للكون وللحياة تتسم بالأصالة والتوازن والواقعية كما أكد الجانب المسيحي أن الدين المسيحي يهتم في المقام الأول بالجانب الروحي ويرى لزاماً عليه ـ بوصفه ديناً ـ أن يلهم الإيديولوجيات.

كما استعرض الطرفان قضايا العقيدة في كلا الدينين، وأكدا تلاقي الديانتين في الإيمان بالله الواحد الأحد رغم التباين في تصوراتهما لعدد من مسائل العقيدة كما أكدا ضرورة العمل المشترك لتعزيز القيم الروحية والمبادئ الأخلاقية وسعادة الإنسان.

وقد تلاقت وجهات نظر الجانبين على أن العدل الاجتماعي هو ثمرة طبيعية للإيمان بالله، لأن الظلم بأي شكل من أشكاله يغاير روح الدين ونصوصه، وقد أكد الجانب الإسلامي أن الإسلام يقدم نظاماً متكاملاً للعدل الاجتماعي بكل جوانبه الإنسانية والاجتماعية والاقتصادية، كما أكد الجانب المسيحي أن الدين المسيحي يوجه الإنسان في سلوكه ليحقق العدل الاجتماعي وأن للكنيسة كثيراً من المبادرات في التعليم الاجتماعي وتطبيقه.

وفي جو من الصراحة والرغبة الصادقة في تجاوز أخطاء الماضي، وفي فتح صفحة جديدة من العلاقات القائمة على التفهم والتعاون، استعرض الجانبان كثيراً من القضايا التي كانت أسباباً للعداء وإثارة الشكوك وضعف الثقة،

والتي باعدت بين العالمين الإسلامي والمسيحي، واستمع الطرف الإسلامي بارتياح إلى فقرات من التصريح الصادر عن المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني، وبخاصة تلك الفقرات التي تتعلق بالنظرة الجديدة إلى المسلمين، ورأوا فيها بادرة طيبة تساعد على طي صفحات الماضي التي أصبحت ملكاً للتاريخ، واتفق الطرفان على فتح صفحة جديدة قائمة على الاحترام والتعاون والعمل المشترك لخير الإنسانية.

وحرصاً على تحقيق الغايات النبيلة التي من أجلها عقد الحوار اتخذت الندوة المقررات والتوصيات التالية:

1 ـ يؤكد الجانبان إيمانهما بالله الواحد الأحد، ويوصيان بالعمل الدائب صفاً واحداً وجبهة واحدة من أجل تعميق القيم الدينية والأخلاقية في النفوس.

2 ـ يكرّم الجانبان جميع الأنبياء والرسل في الديانات السماوية كلها ويستنكران التعرض بالمساءة لهم أو التجرؤ على مقامهم لأن في ذلك اعتراضاً على إرادة الله الذي أرسلهم.

3 ـ يؤكد الجانبان أن الدين في جوهره هو مصدر الالتزام الخلقي، وأنه الضابط الأساسي لسلوك الأفراد والجماعات والدول.

4 ـ إن تنظيم الحياة لا يمكن أن يتم في معزل عن الدين الذي يرسم للبشرية سبل الهداية والرشاد، وعلى هذا فإن الجانبين يؤكدان أن الدين هو أساس التشريع الصحيح وأن كل تشريع يتفرد الإنسان بوضعه لا يبلغ حد الكمال.

5 ـ يؤكد الجانبان أن الإيمان بالله يقتضي بالضرورة الوقوف مع الحق حيثما كان والانتصار للإنسان ولكرامته ولرخائه. وهما يهيبان بجميع القوى الخيرة في العالم إلى تجسيد هذا المعنى في سلوك الأفراد والجماعات والشعوب والدول حتى تقف ضد الظلم مهما كان شكله وتنتصر لكرامة الإنسان ورخائه وحريته. .

6 ـ وانتصاراً لكرامة الإنسان يعلن الجانبان رفضهما واستنكارهما للتمييز العنصري بجميع أبعاده وأشكاله لأن في ذلك انتقاصاً من قيمة الإنسان الذي كرَّمه الله . .

7 ـ ولتحقيق الرخاء الإنساني يؤكد الجانبان حرصهما على التوصية بضرورة توحيد الجهود لوضع برامج التنمية في خدمة البشرية من حيث التخطيط والتوزيع والمعاملات الدولية، لأن وجود ملايين الجياع والعراة في أرجاء المعمورة هو وصمة عار في جبين الإنسانية كلها، وفيه إساءة إلى كل القيم الدينية، وعليه فإن الجانبين يناشدان جميع الدول والهيئات والمؤسسات الدولية التي تتصل مهامها بقضايا التنمية أن تضع في اعتبارها الأول هذا المعنى . .

8 ـ يؤكد الجانبان وجوب حرية الاعتقاد الديني وإقامة الشعائر الدينية وحق الأسرة في تنشئة أبنائها تنشئة دينية . . ويستنكران الاضطهاد الديني في كل صوره وأشكاله، ويعتبران الأنظمة والنظريات التي تضطهد المؤمنين أنظمة لا إنسانية . .

9 ـ يؤكد الجانبان أن السلام من رسالة الدين، ويتطلعان إلى تحقيقه على أساس من الحق والعدل، ويناشدان الدول التي تمتلك الأسلحة الفتاكة أن تكف عن إنتاجها، وأن توظف طاقاتها في خدمة الأغراض السلمية لتحقيق خير الإنسانية ورفاهيتها . .

10 ـ إن الجانبين يعتقدان أن الدين تصور شامل للكون وللوجود، ويؤكدان أنّ العلم جزء منه، وأن كل تقدم في ميدان العلم يعطي براهين جديدة على عظمة الله الذي أبدع الكون في أحسن تقويم ونظمه وفق سنن ونواميس يكشف العلم كل يوم دقتها وإعجازها . . إن العلم يجب أن يبقى دائماً في خدمة الدين، وملتزماً بقيمه ومثله ومتوجهاً إلى خدمة الإنسانية وبذلك يغدو عاصماً من الإلحاد والانحراف اللذين يفتكان بكثير من شباب العالم عندما يتصورون خطأ أن العلم يناقض الدين. إن

العلم حين يعزز الإيمان يستطيع أن ينجح في تصفية كثير من مشكلات الشباب.

11 ـ نظراً لما للشبيبة من دور فعال في بناء المستقبل فإن الجانبين يوصيان بضرورة الاهتمام بمناهج التربية ووسائلها في المعاهد والمدارس، بحيث يكون من أهدافها الأساسية غرس القيم الدينية والفضائل الخلقية في النفوس وأن تخلو من كل ما يسيء إلى العقيدة والأخلاق والتفاهم بين الشعوب.

12 ـ إن كلا الجانبين يشجع على ترجمة الكتب السماوية إلى جميع اللغات ويدين كل محاولة ترمي إلى مصادرة تلك الكتب أو منع تداولها في أي جزء من أجزاء العالم.

13 ـ يتمنى الجانب المسيحي على الجانب الإسلامي أن يواصل الأبحاث التاريخية والتفسيرية الرصينة المتعلقة «بتقييم» الكتاب المقدس «تقييماً» علمياً صحيحاً.

14 ـ يرغب الجانب الإسلامي إلى الجانب المسيحي أن يبذل كل المساعي والجهود المؤدية إلى فصل الكنيسة عن مسجد قرطبة والعمل على تحقيق ذلك في أقرب فرصة ممكنة.

15 ـ يوصي الطرفان بضرورة العمل المشترك لتتبع ما ورد من أغلاط ومفتريات في المناهج والكتب المدرسية وفي كتب بعض المستشرقين والعلماء حول معتقدات كل طرف، وذلك بغية تصحيحها وفق معتقدات أصحابها. وقد تقبل الجانب الإسلامي بالتقدير مبادرة الجانب المسيحي بالوعد باستشارة العلماء المسلمين في كل ما يكتب عن الإسلام في المدارس التابعة له.

16 ـ إن التراث الحضاري والثقافي هو ملك للإنسانية كلها، ومن حق الإنسانية أن تتلقى هذا التراث تلقياً صحيحاً. ونظراً لظروف التوجس السابقة بين

العالمين الإسلامي والمسيحي، فإن الجانبين يتوجهان إلى الجامعات وإلى المعاهد الدينية واللاهوتية لاستضافة أساتذة زائرين من كلا الديانتين.

17 ـ وفي سبيل التعاون الحقيقي بين العالم الإسلامي والعالم المسيحي، يوصي الفريقان بالكف عن المحاولات الرامية إلى صرف المسلمين عن معتقداتهم من قبل المسيحيين أو صرف المسيحيين عن معتقداتهم من قبل المسلمين.

18 ـ إن لبنان العزيز علىٰ قلوب المسلمين والمسيحيين قد تعرض لفتنة ذهب ضحيتها آلاف الأبرياء، وقد حاول بعض أصحاب الأغراض من داخل لبنان ومن خارجه أن يصوروا الصراع على أنه طائفي بين المسلمين والمسيحيين. إنَّ هذا الافتراء لا يسيء إلى المسلمين وإلى المسيحيين في لبنان فحسب بل يهدف إلى نسف محاولات التقارب الجادة والصادقة بين العالم الإسلامي والعالم المسيحي، وعلى هذا فإن الجانبين يستنكران الفتنة التي قامت في لبنان، ويستنكران صبغها بالصبغة الطائفية، ويشجبان كل محاولة للتقسيم أو لتشويه روعة التعايش السمح الذي تعيشه كل العائلات الروحية في لبنان.

19 ـ ورغبة في تضييق الهوة بين الدول المتقدمة علمياً والدول النامية، وإيماناً بحق جميع الشعوب في التقدم، فإن الجانبين يتوجهان إلى المنظمة الدولية للتربية والعلوم والثقافة «اليونيسكو» «U.N.E.S.C.O» من أجل إصدار ميثاق علمي تعتمده هيئة الأمم المتحدة O.N.U ويضمن لكل الشعوب الحق في الحصول على التطور العلمي والتقنية وطرائقها وألا يحجب هذا الحق عن العالم الثالث بشكل خاص، وأن تستحضر جميع المؤتمرات التي تدرس قضايا الموارد الأولية ضرورة العمل على تقديم التقنية وطرائقها إلى الدول النامية التي تقدم تلك المواد. إن تحقيق ذلك يجنب العالم انفصاماً ممكن الحدوث بين العالم الثالث والعالم المتطور.

20[*]ـ إن الجانبين ينظران إلى الأديان السماوية نظرة احترام، وعلى هذا فإنهما يفرقان بين اليهودية والصهيونية باعتبار الصهيونية حركة عنصرية عدوانية أجنبية عن فلسطين وعن كل منطقة الشرق.

21[*]ـ إن التزام الحق والعدل، والحرص على السلام والإيمان بحق الشعوب في تقرير مصيرها يحمل كلا الجانبين على تأكيد الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني وحقه في العودة إلى دياره وعلى تأكيد عروبة مدينة القدس ورفض مشروعات التهويد والتقسيم والتدويل واستنكار كل مساس بحرمة الأماكن المقدسة ويطالب الجانبان بإطلاق سراح جميع المعتقلين في فلسطين المحتلة، وفي طليعتهم علماء المسلمين ورجال الدين المسيحيين، كما يطالبان بتحرير جميع الأراضي المحتلة، ويدعوان إلى تشكيل لجنة دائمة للتحقيق في محاولات تغيير معالم الأماكن المقدسة الإسلامية والمسيحية وكشف ذلك أمام الرأي العام العالمي.

22 ـ وإذا ما وجدت ظروف عسيرة أخرى، كما هي الحال في الفيليبين، فعلى كلا الجانبين المبادرة المشتركة للقيام بالمساعي الفعالة التي تؤدي إلى الحلول الملائمة بروح من العدل والإنصاف..

23 ـ قرر الجانبان تشكيل لجنة متابعة دائمة مشتركة تكون مهمتها تنفيذ المقررات والتوصيات السابقة، ومتابعة كل ما يجدُّ من قضايا تتعلق بها.. كما تكلف بالإعداد للندوات المماثلة المقبلة..

24 ـ وبكل تقدير وإكبار يحيّي الجانبان سيادة الأخ العقيد معمر القذافي رئيس مجلس قيادة الثورة الذي رعى هذه الندوة وشارك مشاركة إيجابية في

(*) بعد تلاوة البيان النهائي وانتهاء الجلسة الختامية، صدر بيان مشترك أعلن في روما وطرابلس يوم 8 صفر 1396 الموافق 7 فبراير (شباط) 1976 هذا نصّه:

«يؤكد الجانبان اغتباطهما بالطابع الإيجابي لنتائج هذا الحوار التاريخي المعبّر عنها في البيان النهائي المشترك. أما في ما يتعلق بالبندين: 20 و21 من البيان المشترك فإن البعثة المسيحية ستنقل مضمونهما إلى سلطات الكرسي الرسولي المؤهلّة وحدها في بتّ مسائل من هذا النوع».

ـ وقد علم بعد ذلك أن سلطات الكرسي الرسولي امتنعت عن التصديق على هذين البندين.

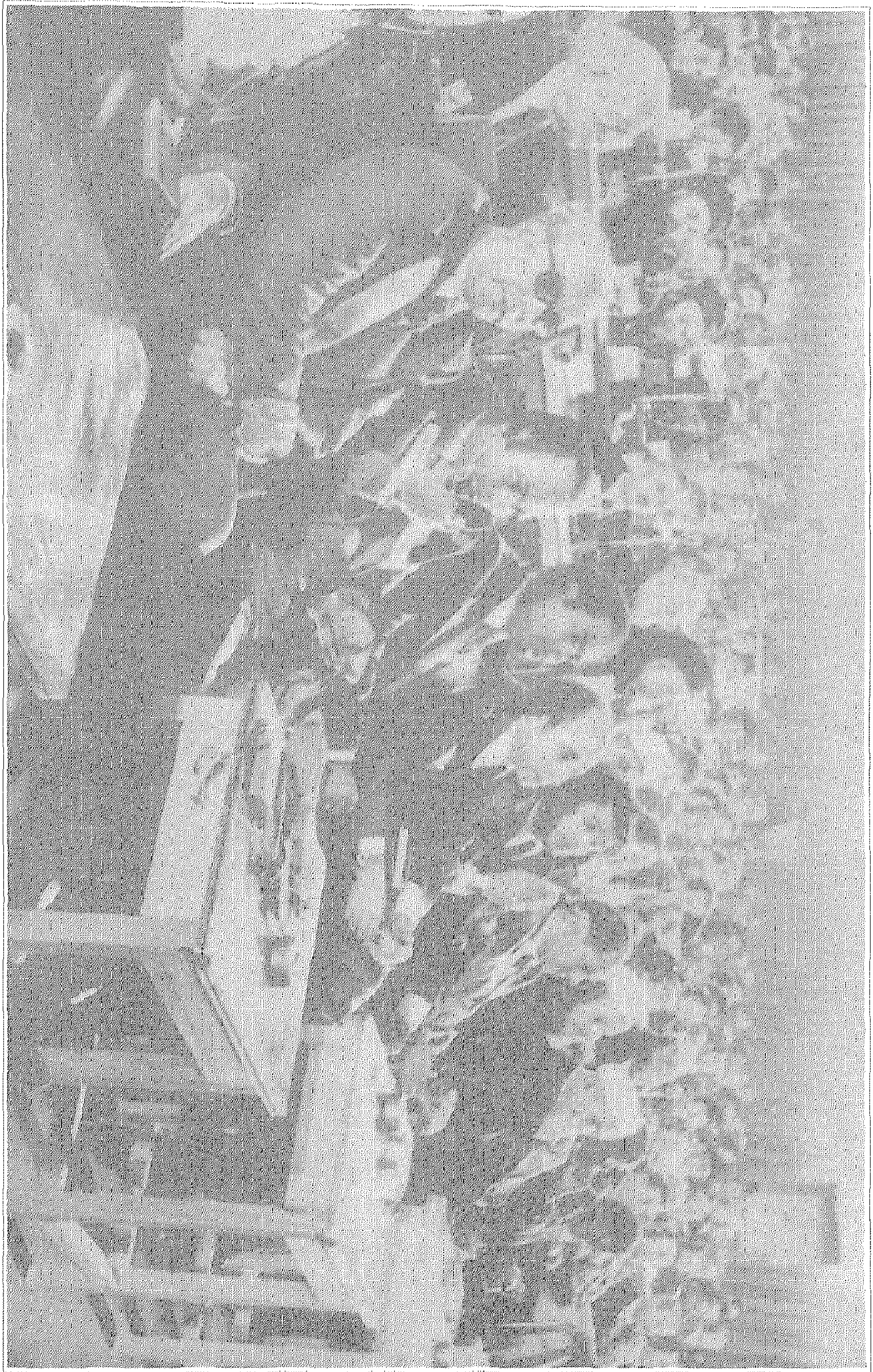
مناقشاتها وكان لاهتمامه البالغ بها الأثر الأكبر في إنجاحها . .

إن هذه القرارات والتوصيات قد تم الاتفاق عليها من خلال تفاهم الجانبين الإسلامي والمسيحي حول معنى الحوار وأهدافه وضوابطه، فقد اتفقا على أن المقصود منه هو أن يتبادل المتحاورون من أهل الديانتين المعلومات والأفكار والحقائق التي تزيد من معرفة كل فريق بدين الفريق الآخر وتاريخه وحضارته وسائر أمره، توضيحاً لما قد يكون بينهما من مواطن التلاقي أو الاختلاف بطريقة مخلصة وموضوعية يحتفظ فيها كل طرف بمعتقداته والتزاماته ومواقفه في جو من الود والاحترام المتبادل وإن الجانبين المتحاورين يغتنمان هذه الفرصة المباركة لتقديم أجزل الشكر وأوفاه لجميع الذين شاركوا في هذه الندوة إما بحضورهم أو مناقشتهم أو مراقبتهم أو قيامهم بأي عمل من الأعمال المتعلقة بإنجاح هذا الحوار، مهما يكن هذا العمل متواضعاً لأنه عند الله عظيم.

مسك الختام:

إنا نحمد الله القدير الذي هيّأ لنا بواسع رحمته أن نعيش في جو من الأخوة الكاملة أيام الحوار الإسلامي المسيحي في طرابلس.

* * *



البُحـــوث

بحث:

هَل يُمكن للدينِّ أن يكون إيديُولوجيَّة للحيَاة؟

للباحث المسلم: الدكتور عبد الرحمن عُطْبَة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إن الحديث عن الإيديولوجية حديث طويلٌ ومتشعب، وهو يشتمل على تفصيلات وعلى اختلافات في وجهات النظر، لا تقتضي عرضها حاجة الموضوع، وتكفينا منها فيه خلاصة مكثفة ومبسطة، لدلالة هذا المفهوم.

إن مصطلح «إيديولوجية IDEOLOGIE» هو مصطلح حديث ابتدعه الفلاسفة الفرنسيون أواخر القرن الثامن عشر، وكانوا يعنون به ما سموه «علم الأفكار SCIENCE DES IDEES» مشتقين ذلك من جزئي الكلمة: «IDEO أي أفكار وLOGIE أي علم». وكانوا يريدون منه أول الأمر تحديد المبادئ الأساسية التي تساعد على تربية الإنسان وتثقيفه ودفعه إلى التأثير في بناء الحياة ثم انتقلوا بهذه المبادئ إلى ميدان الحياة السياسية حيث رأوا وجوب بناء العمل السياسي على نحو يحقق لهم هذه التطلعات وربطوا إمكانية تحقيق ذلك بشرط رئيسي هو توفير الحرية العقلية والسياسية للإنسان. ولكن بروز مفهوم الإيديولوجية وأخذه شكلاً أكثر تحديداً يرجع أمره إلى طرح النظرية الماركسية وممارساتها بعد ذلك.

إننا لن نقف عند التعريفات التي أعطيت للإيديولوجية فقد تولت المراجع

المتخصصة ودوائر المعارف عرض ذلك بدقة وتفصيل، ولكننا نشير إلى دلالة هذا المفهوم مستخلَصاً من مُجْمَل ما قيل حوله. إن الإيديولوجية تمثل: «مجموعة القيم والأفكار والمفاهيم والتقاليد والتطلعات التي تترابط في إطار مذهبي فتكون عقيدة توجّه صاحبها سواء أكان فرداً أم جماعة في قراراته وتصرفاته وأنماط سلوكه».

ويتبين لنا من خلال هذا المفهوم أن الإيديولوجية تحمل في آن واحد جانباً فكرياً وآخر سلوكياً يتلاقيان من خلال تفاعل جدلي يكون العمل فيه محكوماً بما تطرحه النظرية من آراء، وتكون النظرية فيه قابلة للتعديل على ضوء ما تتكشف عنه أنماط الممارسة من نتائج، وهذا التفاعل بين الأفكار والسلوك، بالإضافة إلى تطلع الإيديولوجية إلى تخطي العلاقات القائمة في المجتمع إلى علاقات اجتماعية مستقبلية جديدة، هو الذي يستهوي نفوس كثير من الناس، فالإيديولوجية من خلال هذا التصور تمثل المحرك الذي يدفع بمسيرة المجتمع نحو مواقع جديدة، يحرص أصحاب الإيديولوجية على التأكيد دائماً بأنها مواقع للتقدم. أما معيار الحكم على صحة ذلك فإنه يكمن في امتحان الجانب الفكري والنظري منها من حيث قدرته على استيعاب حاجات الإنسان والجماعات المادية والروحية عبر جميع الظروف الزمانية والمكانية والاجتماعية.

مدى الحاجة إلى الإيديولوجية:

إن ظاهرة البحث عن إيديولوجية في الحياة تشتدُّ كلما استبد القلق بالإنسان وكلما شعر بالفراغ يملأ نفسه وحياته، وكلما أحسَّ بأن عجلة التقدم قد أبطأت بسيره أو توقفت به، فإنه حينذاك يحاول أن يفتش عن طريق للخلاص يتلمسه في ما يطرح عليه من مذاهب فكرية أو سلوكية، ومن هنا نستطيع أن نفسر وجود بعض الإيديولوجيات السلبية في بعض فترات التاريخ، فإن مثل هذه الإيديولوجيات تتقنع عادة بقناع التقدم. وتستغل طرح بعض الآراء القبلية لتوهم أتباعها أنها تحركهم نحو تحقيق المستقبل الأفضل.

إن الإحساس بالفراغ يتغلغل اليوم في نفوس الكثيرين من أبناء عالمنا المعاصر وإن صوراً عديدة من الظلم الإنساني يتعرض لها الكثيرون من الأفراد والجماعات كما أن مشكلات إنسانية كثيرة لا تزال تبرز كل يوم لتؤرّق الضمير الإنساني، ولتعرِّض الشعوب إلى مخاطر حقيقية. إن التقدم التكنولوجي الهائل قد قام على حطام الإنسان، فإن الآلة الجبارة التي تحرك التكنولوجيا اليوم قد استباحت في سبيل تقدمها كرامة هذا الإنسان ورزقه وأمنه. إن الصراع الذي يدور اليوم سواء فيما بين الدول التي تمتلك التفوق التكنولوجي أو فيما بينها وبين الشعوب التي لا تمتلكه إن هذا الصراع لا تنعكس آثاره على الشعوب الضعيفة فحسب، بل تمتد إلى أفراد تلك الدول القوية حيث يحس الفرد أنه لا يمتلك حريته، وأنه كثيراً ما يرى نفسه مسوقاً إلى اقتراف جرائم قتل أو سلب أو عدوان على غيره من أبناء الشعوب الأخرى وهو مؤمن بعدم مشروعية ما يقدم عليه. وهذه الأمور كلها تخلخل القيم في نفسه وتسلمه إلى إحساس عميق بالغربة عن ذاته وعن مجتمعه، وعن الإنسانية كلها، فإذا حاولنا أن نتقصى الأسباب الحقيقية لما نراه من مشكلات ولما نتوقع حدوثه منها، مما هو أشد خَطَراً وأبلغ هولاً فإننا لا نستطيع أن نغفل دور كثير من هذه الإيديولوجيات في إيجاد البلبلة على الصعيد الإنساني سواء لدى أتباعها الذين اكتشفوا خللها وخطرها وما عرضتهم له من حيرة، أو لدى من كانوا خارجها ممن أذهلتهم التناقضات التي يتبادلها أرباب الإيديولوجيات، ذلك لأن أية إيديولوجية ومهما توفر من حسن النية لدى أصحابها، تبقى مرتكزة على اجتهادات إنسانية، وتبقى تحمل في ثناياها احتمال تعرضها للخطأ بالإضافة إلى أنها قد تكون محكومة في كثير من الأحيان بتحقيق مصالح فئة معينة أو طبقة معينة أو شعب من الشعوب أو مجموعة من هذه الشعوب فقد تنبع إيديولوجية ما من مصلحة التجار مثلاً، أو من مصلحة العمال أو من مصلحة فئة أخرى من فئات المجتمع الإنساني.

وقد ترتكز على فلسفة منحرفة كأن تكون فلسفة عرقية أو فلسفة تمجد القوة أو فلسفة تحللية تنادي بالحرية التي لا تضبطها ضوابط، والإنسان وحده

هو الذي يدفع ثمن ذلك قلقاً واغتراباً وافتقاداً للطمأنينة التي تمثل العامل الأكبر في سعادة الإنسان، إنه الضحية دائماً. إنه يدور في الحلقة المفرغة التي لا تبلغه شاطئ الأمانة، فإحساسه بالقلق يدفعه إلى التعلق بأية إيديولوجية تدغدغ له أحلامه بالسعادة والأمن، والإيديولوجيات التي يتعلق بها قد تغوص به من جديد في لجج من الضياع والتشتت.

إن نزعة الالتزام بفكرة يعيش الإنسان لها وبها هي نزعة كامنة في أعماق النفوس، بل إن في الهرب من أي التزام لوناً من ألوان الالتزام، إنه تعبير عن رفضٍ لواقع غير مقبول، ورفض في الوقت ذاته لإيديولوجيات عجزت عن تغيير هذا الواقع.

إن للإنسان مشكلاته وإن للإنسانية مشكلاتها، ولا بد لهذه المشكلات من حلول على صعيد الواقع، ولا بد أن تستند هذه الحلول إلى مرتكزات فكرية تشتمل على جميع الأسباب التي تحقق للإنسان وللإنسانية السلام والطمأنينة والعدل والرفاه.

وما دامت المرتكزات الفكرية التي تقوم عليها الإيديولوجيات اليوم قد أخفقت في تحقيق ذلك، فهل يجد الإنسان بغيته في الدين؟

وهل يمكن للدين أن يكون إيديولوجية للحياة؟

إن الإيديولوجية، بالمفاهيم التي أشرنا إليها، وبطابعها الذي يعتمد على الاجتهاد الإنساني وما يعترضه من خطأ وصواب وبدوافعها التي تصدر في كثير من الأحيان على الرغبة في تحقيق مصالح لمجموعة معينة من الناس، إن الإيديولوجية، بهذه المفاهيم، لا يمكن أن تتمثل بالدين، وبالتالي فإن الدين لا يمكن أن يكون إيديولوجية، وإن كان يصح من الناحية العلمية، أن يكون الدين مصدراً لإيديولوجية أو لإيديولوجيات تستند في مرتكزاتها الفكرية على أساسٍ منه، وما دُمنا، بحكم مسؤوليتنا كملتزمين بأديان سماوية، نفتش عن مخرج للإنسانية من المآزق التي تعاني منها، فإنه لا مناص أمامنا من التساؤل عما

يمكن أن يؤديه الدين على صعيد تنظيم العلاقات الإنسانية والبلوغ بالإنسانية إلى مرحلة من الطمأنينة والأمن والرفاه، وبالتالي فإن التساؤل المطروح ينبغي إعادة صياغته على شكل آخر هو: هل يمكن للدين أن يكون مصدراً لتنظيم الحياة ولتنظيم المجتمع؟ وهل هو قادر على أن يضبط حوافز السلوك بحيث تؤدي دورها الصحيح في خدمة الفكرة التي جاءت الأديان السماوية كلها من أجل تحقيقها، وهي سعادة الإنسان في الدنيا وفي الآخرة.

هل يمكن للدين أن يكون مصدراً لتنظيم الحياة والمجتمع؟

قبل الجواب على هذا السؤال، لا بد من عملية مسح لهذه الإيديولوجيات المتصارعة وللأعداد الضخمة من الصيغ التي طرحت لتنظيم الحياة، ومن ضروب التعديل التي تخللت هذه الصيغ، إن عملية المسح الضرورية هذه ستكشف أمام أعيننا أن هناك قضية لا تزال غائبة عن متناول واضعي هذه الإيديولوجيات وتلك الأنظمة. تلك القضية هي الرؤية الشاملة التي تنظم الإنسان والمجتمعات والكون في إطار يحدد لكل كائن مركزه فيه وعلاقته مع غيره، إن هذه الرؤية الشاملة هي التي تحاول الفلسفات والإيديولوجية أن تصلها، وقد عجزت حتى اليوم عن الوصول إليها، وقد لا يكون في قدرة الإنسان أن يبلغها، فهل في قدرة الدين أن يعطي هذه الرؤية الشاملة، وأن يقدم بالتالي ما يساعد على إنقاذ الإنسانية من البلبلة التي تؤرِّقها.

إن استقراءنا لتاريخ البشرية يؤكد لنا أن الأديان، أو ما تعارف الناس على أنه أديان، يفترض الإيمان بخالق، ويحدد علاقة هذا الخالق بالإنسان وعلاقة الإنسان به.

ونحن حين نطرح التساؤل عن قدرة الدين على معالجة مشاكل الحياة نكون قد طرحنا قضية، وطبيعي جداً أن يكون المتحدث في هذه القضية إنساناً ملتزماً بدين لا إنساناً من خارج الدين.

ومع البعد عن الدخول في مناقشات ومقارنات بين الأديان، وبدلاً من

الحديث عن الدين مطلقاً، وعن دوره في معالجة قضايا الإنسان، فإنه يكون مناسباً أن نستمع إلى وجهة نظر إخوتنا من المسيحيين حول هذه القضية في الدين المسيحي كما أنه يشرفني أن أبسط أمامكم وجهة نظر إنسان مسلم حول هذه القضية في الدين الإسلامي.

إنني أستميحكم عذراً في تجاوزي تقديم التعريفات الواردة حول الدين فقد أسهبت في سردها المراجع المختصة، ولكنني أقول لكم أن الإسلام لم يكن أبداً دين عقيدة وعبادة وحسب، بل كان، إلى جانب ذلك، ديناً للحياة ينظم شؤونها في كل مجال من مجالاتها بدقة ووضوح سواء منها ما تعلق بالإنسان أم بالجماعات الإنسانية أم بالعلاقات الدولية أم بعلاقة ما في الكون بعضه ببعض، هذه حقيقة لا تُجادل لأن هذه القضية هي من صلب الدين الإسلامي، فالشريعة الإسلامية تشتمل على ثلاثة جوانب متكاملة هي العقيدة مع ما تستلزمه من عبادات من جهة ثم الأخلاق من جهة ثانية ثم المعاملات من جهة ثالثة.

إن العقيدة والعبادة تنظمان العلاقة بين الإنسان والرب. وتصلان الإنسان بالآخرة، وإن الأخلاق تحدد أنماط السلوك الذاتي والاجتماعي للإنسان في تعامله مع ما في الكون من موجودات، أما المعاملات فهي تشريع موضوعي يتعرض لكل قضية من قضايا التعامل الإنساني فيحدد أحكامها ويعززها بالمؤيدات التي تكفل تحقيقها على الوجه الأكمل.

وهنا أجدني مضطراً أن أرجع عوداً على بدء إلى القضية التي طرحناها من قبل وتساءلنا فيها هل يمكن للدين أن يكون مصدراً لتنظيم الحياة والمجتمع؟ وذلك لكي نمتحن ما جاء به الإسلام من نظام للحياة لنتبين مدى صلاحيته لتنظيم الحياة ثم مدى قدرته على الاستمرار في معالجة القضايا المتجددة التي تطرحها الظروف المتطورة كل يوم.

وغني عن البيان أنه لكي يمتحن أي نظام للتعامل الإنساني لا بد من

وضعه في إطاره الصحيح من العقيدة أو الفلسفة التي تحذّر منها. وهذا يعني أنه، لكي نفهم حقيقة النظام الذي يمكن أن يقدمه الدين الإسلامي لمعالجة مشاكل العالم المعاصر، لا بد لنا من العودة إلى القضية التي غابت والتي لا زالت غائبة عن متناول الفلاسفة ومبتدعي الإيديولوجيات وواضعي الأنظمة، وهي الرؤية الشاملة التي تنظم الإنسان والمجتمعات والكون في إطار يحدد لكل كائن مركزه فيه ووظيفته، وعلاقاته مع غيره.

ونحن نقول، أن هناك مسلّمة أولى في الدين الإسلامي هي مفتاح هذه الرؤية الشاملة، وهي المدخل الوحيد الذي إذا دخله الإنسان عن قناعة كان مسلماً وهذه المسلّمة هي كلمة (لا إله إلا الله).

هذه الكلمة تعني ـ بالنسبة للمسلم ـ مبدأ (التوحيد الذي يرى في الله تبارك وتعالى الإله الواحد الأحد المنزه عن الشريك والولد والمثيل: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: 1 ـ 4].

فهو، سبحانه، متفرّد بذاته وبصفاته: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: 11]، وإيمان المسلم بعقيدة التوحيد تمثل لديه إقراراً بالعبودية لله. حيث تكون الصلة بين الإنسان والله صلة العبد بالرب، ومن هذه الصلة يتحدد مركز الإنسان في الكون وعلاقته بما فيه ثم علاقته بغيره من الناس ومنهجه في العمل.

إن الله الذي يملك كل شيء ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ [المائدة: 17] قد أناط بالإنسان الذي لا يملك شيئاً أن يكون خليفة في الأرض ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: 30] ثم جعل جميع ما في الكون مسخراً له: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [الجاثية: 13].

فعلاقة الإنسان بربه هي علاقة عبودية، إذا أحسن أداءها كانت عبادة، وعلاقته بالكون الذي سُخّر له هي علاقة عادة يتحرك فيها من خلال سنن ثابتة

في الحدود التي رسمها الله له بحكم أمانة الاستخلاف التي اضطلع بحمل أعبائها.

وأما على صعيد علاقة الإنسان بغيره من الناس فإن عبوديته لله تعالى تحول دون عبوديته لغيره، وتحريره من كل عبودية وتجعل البشر جميعاً متساوين أمام الله، فالحرية والمساواة في نظر الإسلام مفهومان ينبعان من صلب العقيدة الإسلامية..

وأما في نطاق العمل، فإن المؤمن مكلف بعمل الخير ومكلف في الوقت نفسه، لا بالامتناع عن مقارفة الشر فحسب بل بالتصدي له، والنهي عنه، مما يجعل فكرة (الخيرية) تلازم سلوك المسلم ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ﴾ [التوبة: 71]..

من هذه الرؤية الشاملة التي تحدد علاقة الإنسان بالله وبالناس، وتحدد مركزه في الكون وعلاقته به، كما تحدد له منهج عمله في نطاق الخير، من هذه الرؤية الشاملة التي أوجزنا عرضها ينبع النظام الإسلامي الذي يعالج قضايا الحياة وقضايا الإنسان وقد ضبط بضوابط العقيدة التي تشكل مصدر المراجعة لكل ما ينبثق عنه من مبادئ وأحكام.

إن الدين الإسلامي وهو آخر الرسالات السماوية التي اكتمل بها دين الله حين يتوجه بنظامه إلى الإنسان حيث كان، يحرص على أن يراعي مصلحته في دنياه وفي أخراه. وأن ينظم علاقاته مع غيره تنظيماً يؤمن له هذه المصلحة في ظل وحدة متكاملة من التعاليم.

فالإسلام، بحكم أنه آخر الرسالات السماوية، لم يكن ديناً خاصاً بشعب بعينه وإنما كان ديناً عاماً موجهاً إلى الناس كافة ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: 1] وإن رسالة الإسلام العامة والعالمية، وكونه آخر الديانات السماوية ومكملها، إن هذا يقتضي أن يكون النظام الإسلامي

صالحاً لكل زمان ومكان ولجميع الناس مهما تفاوتت أجناسهم وألوانهم وألسنتهم وقد أكد القرآن ذلك، في قول الله تبارك وتعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: 3].

ولكننا، ونحن نقدم تعريفاً بهذا النظام إلى العالم لا يجوز لنا أن نقتصر على تقديمه من خلال إيماننا به فحسب، أو من خلال استخلاص منطقي لتطور الرسالات السماوية، بل لا بد أن يكون ذلك مدعماً ببراهين قاطعة من المبادئ والأحكام التي جاء بها لتنظيم شؤون الناس في كل مجالات حياتهم. كما أشرنا قبل قليل أن الشريعة الإسلامية تشتمل على ثلاثة جوانب متكاملة هي العقيدة وما يتبعها من عبادات، ثم الأخلاق ثم المعاملات، وقلنا إن المعاملات هي تشريع موضوعي يتعرض لكل قضية من قضايا التعامل الإنساني فَيُحَدد أحكامها ويعززها بالمؤيدات التي تكفل تحقيقها على الوجه الأكمل..

إن الأحكام التي جاء بها الدين الإسلامي لتنظيم شؤون الحياة تقوم على أساس قواعد عامة جاءت بها نصوص واضحة ودقيقة من القرآن الكريم ومن الحديث الشريف، وهذه القواعد العامة تتلاءم مع طبيعة الإنسان وطبيعة المجتمعات وتنسجم مع الفكر السديد ويقبلها كل منصف من الناس، وهي قواعد ثابتة لأنها تمثل قيماً مطلقة. وإذا كان هناك أي اجتهاد حولها فإنه يكون عادة في الأحكام التطبيقية المتفرعة عنها، وهذه الأحكام التطبيقية هي أحكام مرنة قابلة للتعديل وللتبديل بتغير الظروف، وعلى ضوء المصلحة. والمرونة فيها والقابلية للتعديل تحكمهما قاعدة من قواعد أصول الفقه وهي القاعدة التي تقول: (لا ينكر تبدل الأحكام بتبدل الأزمان) وعلى هذا، فإن الأصول التي يبنى التشريع في الإسلام عليها تنقسم إلى زمرتين من الأصول: الأولى منهما تحدد القواعد العامة وتتمثل بالقرآن وبالسنة والثانية منهما تمثل مصدر الأحكام القابلة للتغيير وتتمثل بالإجماع وبالقياس، وفي هذه الزمرة الثانية من الأصول تكون المصلحة العامة، بالإضافة إلى مصادر الزمرة الأولى، هي الضابط لكل اجتهاد؛ يؤكد هذا مبدأ من مبادئ أصول الفقه يقول: (حيث تكون المصلحة

فَثَمَّ شَرْعُ الله). . . وينبني على هذا أن أي اجتهاد قانوني يحقق صالح الإنسان، لا بد له، مهما كان مصدره أن يكون منسجماً مع الشرع الإسلامي، ذلك، لأن الاجتهاد الفقهي في الإسلام، مع ارتكازه على روح الشريعة وقواعدها العامة يمثل تشريعاً موضوعياً يخضع لضوابط وقواعد تستند إلى العقل وإلى المنطق السليم، وتستهدف دائماً مصلحة الإنسان وهذا ما يجعل الباب مفتوحاً دائماً لمواجهة المتغيرات التي تقتضيها الظروف المتطورة بما يلائمها من التشريع الذي ضمن الثبات في مبادئه العامة والمرونة في أحكامه التطبيقية ولهذا فإننا نجد في الأحكام الفقهية أبواباً بكاملها تستمد أسماءها من معنى المصلحة، أو من معنى دفع الأذى وهو مصلحة أيضاً وذلك مثل باب المصالح المرسلة وباب الاستحسان أو باب سد الذرائع، ولسنا في هذا المجال في صدد عرض مبادئ النظام الإسلامي ولكننا نستطيع أن نشير إلى بعض المبادئ العامة التي تكوّن الركيزة الأولى في الاجتهاد التشريعي في الإسلام، فمن هذه القواعد إعلان الكرامة الإنسانية، وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ [الإسراء: 70]، ومنها وحدة الأسرة البشرية وإعلان المساواة المطلقة بين الناس دون النظر إلى عرق أو لون أو لغة، وقد وضع مقياس وحيد للتفاضل بين الناس وهو مقياس التقوى. . . وأساس التقوى دائماً الصلة الطيبة مع الله، والعلاقة الحسنة مع الناس: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ﴾ [الحجرات: 13]، ومن هذه القواعد مبدأ العدل كأساس للتعامل بين الناس وكأساس للقضاء، وهو يحول دون التأثر بأي لون من المؤثرات، حتى ولو كان الحكم يتصل بمن نحب، أو بمن نبغض: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ﴾ [المائدة: 8]، ومن هذه المبادئ أيضاً مبدأ الشورى في السياسة العامة، وقد قال تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: 38].

إن أبلغ ما يدل على اهتمام الدين الإسلامي بتنظيم الحياة الإنسانية في كل جوانبها الفكرية والسياسية والاجتماعية والأخلاقية هو الطريقة التي نزل بها

القرآن على النبي الكريم، فالقرآن نزل متفرقاً على مدى ثلاثة وعشرين عاماً، يعالج فيها كل صغيرة وكبيرة مما كان يجدّ في حياة الناس، وما يمر بهم خلال النقلة المتطورة التي عبرت بهم من مرحلة من الحياة إلى مرحلة أخرى تغايرها تمام المغايرة والحكمة في نزول القرآن منجّماً طيلة هذه السنين هي تربية جيل من البشر على طريقة في الحياة تنطلق من قيم ومثل ومن أسس محددة، وتسير في دروب مرنة تتاح الفرصة فيها للتجربة والاستيعاب والاجتهاد والإجماع.

وفي القرآن إشارات كثيرة إلى حوادث وقعت في حياة الرسول، ثم جاء القرآن ليثبتها أو يعدلها أو يصححها أو يستنكرها. وهذا الجيل الذي تدرب في مدرسة الرسول ﷺ على فهم الحياة وصياغتها ثم صياغة التشريع اللازم لها، هو الذي تولى بعد ذلك دور المعلم لمن جاء بعده، وبذلك أرسيت قواعد وتقاليد لمعالجة شؤون الحياة ترتكز على أسس أثبتت الظروف المتطورة كل يوم صحتها وسلامتها..

إن النصوص دائماً، سواء منها ما كان ثابتاً أم مرناً يبقى نجاح مضامينها في التطبيق العملي مدعوماً بالروح العامة التي تملي هذه النصوص، وروح الشريعة الإسلامية في نظرتها إلى الإنسان، وفي الأحكام التي نظمت شؤون حياته الذاتية والجماعية راعت الفطرة الإنسانية القائمة على المادة والروح معاً، فكان التوازن بينهما محط الاعتبار في كل ما أنيط بالإنسان من تكاليف، وفي كل التشريعات التي سنت له، وكانت تطلب منه، وهو ينظر إلى الآخرة أن يراعي حظه من الدنيا ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ﴾ [القصص: 77]، وهذا التوازن الذي يمنع طغيان أحد الجوانب المادية أو الروحية على النفس الإنسانية هو الذي يجعل بناء الشخصية الإنسانية بناء سوياً يتيح له التماسك تجاه الظروف الطارئة مهما كانت حادة وقاسية، ويتيح له القدرة على الاستمرار في حمل ما كلف به من رسالة في خدمة البشرية...

يضاف إلى ذلك أن الشريعة الإسلامية تقيم بصورة دائمة تفاعلاً بين الفكر

والسلوك ويكون السلوك منضبطاً بالفكر: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ﴾ [الصف: 2 و3]. .

وهذا ما يمنع الإنسان من الجنوح إلى المثالية كما يمنعه من الاستغراق في المادية وهو يمثل ضامناً آخر من ضوامن التوازن في بناء الشخصية الإسلامية. .

وحين نتحدث عن روح الشريعة الإسلامية لا بد لنا من وقفة عند نظرة هذه الشريعة إلى العقل، لأن العقل هو أداة تكوين كثير من القناعات لدى الإنسان. .

والعقل في الشريعة الإسلامية محط احترام وتقدير، والآيات القرآنية التي تحض على التفكّر والتدبر واستخدام العقل آيات كثيرة جداً، وقد جعل الدين الإسلامي العقل هو مناط التكليف وتحمل المسؤوليات، وقد تفرع عن احترام الإسلام للعقل مبدأ شديد الخطورة والتأثير في الحياة الإنسانية، وهو مبدأ (حرية العقيدة الدينية)، فالإنسان، ما دام يملك عقله ورشده، فهو حر في اختيار الدين الذي يشاء، وعليه أن يتحمل أمام الله وحده مسؤولية قراره في التزام طريق الإيمان، أو طريق الضلال، جاء هذا في القرآن الكريم في صراحة لا مجال معها لأي تفسير أو تأويل: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 256]. .

ومن احترام الإسلام للعقل ينبع احترامه للعلم وحرصه عليه، واعتباره أداة المعرفة الرئيسية بالنسبة للعقل الإنساني، إذ جعل الله سبحانه مرتبة معرفة الله وخشيته مرتبة موقوفة على العلماء وحدهم: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ﴾ [فاطر: 28].

وميز الله سبحانه بين العالم والجاهل، وأكد المفارقة بينهما بقوله: ﴿هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ﴾ [الزمر: 9]. بل لقد أقسم الله سبحانه بالحرف،

كما أقسم بالقلم ﴿نٓ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ﴾ [القلم: 1]. وإذا عرفنا أن أول آية نزلت على قلب النبي الكريم محمد ﷺ هي آية تأمر بالقراءة وتشير إلى العلم وإلى القلم، ثم تشير إلى رحاب العلم الواسعة التي هيأ الله الإنسان لخوضها اكتشافاً لما يجهل: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾ [العلق: 1 ـ 5].

إذا عرفنا ذلك، أدركنا سر إقبال المسلمين على العلم، وسر تبتل الكثيرين في محرابه على أنه عبادة من العبادات.. ومن مجمل ما أوردناه نستطيع أن نستخلص أن النظام الإسلامي الذي يعالج قضايا الإنسان والحياة هو نظام يتسم بالأصالة وبالشمولية وبالمرونة وبالواقعية، وهو يراعي حقائق الحياة وطبائع الناس، وقد امتحنت مبادئه في ميدان التطبيق فأثبتت صحتها ودقتها، فهو يشكل بالنسبة للإنسانية، حضارة مستمرة وثورة دائمة ورسالة خالدة تستوعب كل ما في الحياة، يصدق ذلك قول الله تبارك وتعالى: ﴿مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖ﴾ [الأنعام: 38]..

إن العالم اليوم، وهو يفتش عن السبب الحقيقي لمأساة الإنسان والإنسانية، وفي خضمّ صراع الإيديولوجيات، مضطر أن يقوم بعملية مراجعة لجميع الظروف التي تحيط بهذه المأساة، وسيكتشف أن سببها الحقيقي هو الطغيان المادي الذي غدا العالم يعيش في جحيمه، والذي أخذ يحجب جذور الإنسان عن منابع الخير والحق والرحمة، هذه المنابع التي يمثل الدين مصدرها الحقيقي والأصيل..

إن الإنسانية اليوم، وهي في حاجة إلى إعادة صياغة بناء حضارتها مضطرة أن تضع في تصميمها أن تتواكب الحضارة المادية والحضارة الروحية معاً..

إن الإنسانية اليوم في حاجة إلى العودة إلى رحاب الدين، وهي بالتالي في حاجة أشد إلى أن تفهم حقيقة الدين وجوهره لكي تقبل عليه باندفاع ذاتي

تعالج بها جراحاتها وآلامها. ومن هذا الفهم لرسالة الدين نستطيع أن نقول، جواباً على المقولة التي طرحت في مطلع البحث، ومن خلال ما عرضناه من ملامح النظام الإسلامي الذي يعالج قضايا الحياة والإنسان، نعم. إن الدين يمكنه أن يكون مصدراً لتنظيم الحياة والمجتمع، وعلى جميع القوى الخيرة من أتباع جميع الديانات السماوية أن تتعاون لتعيد للإنسان توازنه. وتعيد للإنسانية صفاءها وطمأنينتها، ولترسي دعائم حضارة جديدة تعطي للمادة وللروح حقهما من الاهتمام.

وإننا نأمل أن تكون هذه الندوة صورة من صور هذا التعاون، وأن تكون لبنة من بناء صرح المستقبل السعيد للإنسان وللإنسانية..

* * *

بحث:

هَل يُمكن للدّين أن يَكون إيديُولوجيَّة للحيَاة؟

للباحث المسيحي: الدكتور أنطوني شوليكال

البحث عن تعريف:

تجدر الملاحظة بادئ ذي بدء، أن كلمة إيديولوجية يكتنفها بعض الغموض.

فمفهوم الإيديولوجية هو أحياناً محايد وأحياناً أخرى انتقادي. وفي هذا المفهوم الانتقادي أو الجدلي تكون الإيديولوجية فكرة لاواقعية، وتبرير مصالح أو مطامع، أو نظرة جزئية. أما في مفهومها المحايد فهي تعبير شبه دقيق عن موقف تجاه الواقع الاجتماعي أو السياسي وشرح شبه كامل لما هو كائن أو ما يجب أن يكون ومن العسير جداً أن نتكلم دون غموض حينما نواجه ألواناً من الأفكار والثقافة، واختلافات في فلسفة الحياة.

الإيديولوجية هي مذهب شامل لتفسير تاريخي سياسي للعالم (ريمون آرون: ثلاثة أبحاث حول العصر الصناعي).

وظيفة الإيديولوجية أن توجه العمل الفردي والجماعي (مكسيم رودنسون: السوسيولوجية الماركسية والإيديولوجية الماركسية). وسنحاول أن نلقي نظرة شاملة تختار وتجمع بعض التيارات الإيديولوجية الكبرى التي تعتبر القوة الموجهة للتغيرات. .

أبعاد الجدل الإيديولوجي المختلفة:

في كل إيديولوجية، سواء كانت اجتماعية أو سياسية أو علمية أو تقنية أو ثقافية، نجد قوة توجيهية وقوة نظرية. والتوجيهية تنحدر من النظرية، فالقسم النظري يعمل على إعطاء الإنسان نظرة إجمالية عن الكون وعن المكان الذي يشغله الإنسان فيه. والقسم التوجيهي يتصل بقواعد سلوك الإنسان نحو نفسه ونحو المجتمع، فالفرد يحتاج إلى معرفة معنى حياته ليعطيها توجيهاً معيناً، والجماعة تحتاج إلى تنظيم لتضع علمها في خدمة التقدم. وهكذا يدخلان في تبادل إيديولوجي، وتنشأ مناقشات بين حاجات الفرد وحاجات المجتمع بحثاً عن وسيلة للتقدم في اتجاه معين.

كل فرد يشعر، من الناحية النفسية، بحاجة حتمية لأن يكون جزءاً مكملاً لشيء أكبر منه. ويعبر الإنسان عن حاجته التي تتخطى ذاته بالعلم والثقافة الحديثة عبر اليوطوبيا الكونية بينما يتابع العصر العلمي خطه الخاص ليسيطر ويوجه ويراقب تطور التاريخ. وهذا ما نلاحظه في الثقافة الغربية. فقد ولدت خطاً إنسانياً له منطقه وحيويته، وهي تؤكد أن نهج حياة كل فرد يتعلق به شخصياً. .

الإيديولوجية العلمية:

لقد تولدت التيارات الإيديولوجية في الفكر المعاصر من التعارض بين الدين والعلم. وهذه الرؤيا ترفض النظر إلى الحقائق التي تتخطى الواقع الكوني. إن التقدير العلمي يركز فقط على المظهر المادي والاجتماعي والسياسي الثقافي للمشاكل في رؤية زمنية صرفة، ويعتبر المشاغل الدينية والروحية من النوافل. هناك أشخاص لا يرفضون الدين كدين، ولكنهم يضعون المظاهر الدينية في الخلفيات لأنهم يعتقدون أن لا علاقة للدين في التخطيط للمجتمع وبنائه. . .

الغريب في الموضوع أن إيديولوجيات كهذه تريد أن تبني مذهباً كاملاً

وشاملاً بواسطة أفكار جزئية. وتبلغ هذه الإيديولوجيات حدودها حينما يجبهها انتسابها إلى أفكار وحقائق جزئية بقوى أخرى من الاتجاه ذاته، فتفقر آنذاك في اختيارها العلمي بعضها بعضاً. ويكاد يصبح مستحيلاً التوفيق بين المطالب المطلقة والحصرية لكل اتجاه إيديولوجي.

حقل الإيديولوجية:

إن هذا السياق لتطور الفكر خلق لذاته طرق عمل ترمي إلى تنفيذ التغييرات الثورية في المجتمع. كما خلق قيماً جديدة ومبادئ وفلسفات تدعي إعطاء قيمة شاملة للوجود البشري. وبهذه الطريقة يحاول إشاعة الأمل في بلوغ بعض الأهداف، ويرمي إلى تغيير البنيات القائمة تغييراً جذرياً.

لكل إيديولوجية برنامج للمستقبل، وكلها تبغي معالجة أنواع الفوضى الاجتماعية.

إنها تريد أن تنظم واقع الحياة المتنوع وتوجهه توجيهاً معيناً. وبهذا تتخذ شكلاً عقيدياً. تطمح الماركسية والليبرالية أن تكونا القوتين الموجهتين للمستقبل، وترمي الإيديولوجيات في تخطيطها إلى تجاهل الشخص البشري، مركزة على المذاهب وعلى بعض أنواع القيم الجديدة، كما تركز على النمو الاقتصادي وعلى خلق منظمات جديدة، وعلى تكوين الأمم. وهناك إيديولوجيات أخرى تركز على التحرير أو الثورات. وغيرها تركز على المساواة والأخوة والحرية. وغيرها ولدت شعارات سياسية مثل «إنقاذ الديمقراطية العالمية» أو «احتواء الشيوعية»، أي أن كل واحدة تريد أن تقدم حلاً لحالة اجتماعية سياسية معينة.

كل إيديولوجية تريد أن تكون تعبيراً عن مصلحة خاصة وتقصد أن تكون تقديراً جزئياً لرؤية محدودة في وضع معين. وهكذا نجد تنوعاً في التعابير خلال الزمان والمكان، لأنها كلها تطلب لذاتها طابعاً عالمياً بغية انتشارها. غالباً ما تعتبر المعالجة الإيديولوجية وكأنها معالجة علمية، فتستعمل طريقة تحليل

علمي ترقى من النتائج إلى الأسباب، وتحلل النتيجة التاريخية وتعرض وسائل العمل للحصول على النتائج المبتغاة. إن هذا النوع من الإيديولوجية ينطبق بسهولة على التغييرات التي تحصل في المجتمع. وتمكنها قدرتها على الانسجام من الانطباق على الحالات المختلفة في حين تتعارض بشدة مع الإيديولوجيات الأخرى. إن الماركسية والماوية وأشكالهما الأخرى تقدمان لنا في هذا الحقل أمثلة كثيرة. إن إيديولوجيات اجتماعية تجمعت حسب نزعاتها لتحرر الجماهير من التبعية والاستغلال، وجعلتها تدرك قيمة كيانها الخاص، وتثق في قدرتها على تغيير بنيات اليوم لتبني عالم الغد. إن كل هذه التغييرات في الإيديولوجيات الاجتماعية تلاقي في الوقت ذاته تنوعاً في العقليات لأن لكل منها طابعها الخاص. إننا نلاحظ في نهاية هذا القرن العشرين استقطاباً عظيماً بين التضامن الجماعي والفئات المتفرقة، بين وحدة التعبير وتعدده. وتعدد الإيديولوجيات هذا يضعفها ويهددها حينما تجابه بعض تحديات العالم الحديث، وبخاصة مشكلة الجوع والتفجر السكاني، والتلوث ونقص الموارد والطاقة. . . .

حقل الدين والبحث عن الله:

إن الدين هو تعبير عن حاجة الإنسان أن يسمو على ذاته ويتخطاها ويعبر عن حاجته إلى معنى، أي عن حاجته إلى الحصول على هدف آتٍ من الله وليس من صنع الإنسان.

إن الشعور الديني العميق يرفض مخططات الإيديولوجية واستراتيجيتها.

وشعور الإنسان المتدين ومسؤوليته يكمنان في قدرته على إخضاع ممارسة السلطة بصورة عفوية لبلوغ أهداف ومقاصد في الحياة، ونستطيع تاريخياً، أن نسوق مثل المهاتما غاندي الذي طلب الحرية باسم الله. وفي الواقع أن حرية الإنسان وملكوت الله يفوقان بكثير هيمنة المذاهب الإيديولوجية. إن الروح المتدين يسلم بكثير من الاتضاع بوجه الطبيعة البشرية الخاطئ والقابل للغلط والفساد، بينما تستطيع إيديولوجية ما أن تنزع الحرية

والإبداع والمبادرة، وتدمر معنى الحرية والمسؤولية. وهكذا تستطيع أن تخنق معظم الأبعاد الإنسانية العميقة. إن فكرة الفداء تستلزم حتماً المسؤولية والحرية. فنحن نختار الخير ولكن ليس لأننا مكرهون على اختياره. في محاولة فهم الكون الذي يشكل الإنسان جزءاً منه يهتم البحث العلمي المزعوم بكل الأشكال المظهرية. ويتوجب علينا، لتفسير سر الحياة، أن تكمل معلوماتنا التي تأتينا من عالمنا الأدنى بالمعلومات التي تأتينا من العالم الأعلى. إن معنى ومدلول الديانة يسمحان لنا أن نركز انتباهنا على العلاقات المتكونة بين الله والطبيعة البشرية والثقافة المتولدة عن المعرفة والنشاطات البشرية. إن الدين يقودنا إلى ما وراء المجالات المحدودة للاقتصاد والسياسة وعلم الاجتماع وعلم النفس والحضارة، ويشمل كل مظاهر الحياة، ويفتح للإنسان آفاقاً على العالم الإلهي.

إن أساس الدين هو الإيمان بوجود عالم من الحقائق الروحانية الأزلية تفوق بكثير عالم الزمان والمكان. والإدراك الديني للشخص البشري لا يسمح أبداً لأحد أن يصبح أداة لاستراتيجية سياسية أو أن يقيم بقيمة إنتاجه..

إن المؤمن يدرك انتماءه إلى هذه الحقيقة انتماء تاماً فهو مصدر كل ما هو نافع للتجربة البشرية وبالتالي يستحق أن يبذل الإنسان في سبيله أكبر جهد ممكن. وهذا الاقتناع يدفعنا إلى البحث عن الحقيقة والجمال، ويلهمنا في سعينا نحو الحرية والقداسة والكمال. في الحياة الحاضرة يكون الشخص البشري روحانياً حينما يضع سعادته الأخيرة في الله الذي يشمله بمنّة الخلاص.

إن الدين يقودنا نحو هذه العلاقات العميقة وهذا الاتحاد الشخصي بالله الكيان السرمدي. فليس الموضوع موضوع معرفة الله معرفة حقيقية بل هو قبل كل شيء خبرة العلاقة والاتحاد الشخصي بالله..

النتائج بالنسبة للحرية الإنسانية:

من المسلم به أن لا حرية مطلقة، والعقل يفرض علينا علاقة مترابطة

ومتوازنة لأن الممارسة العنيفة للسلطة حينما تنبع من المعرفة والمهارة والثروة والفعالية، قد تكون خطرة بين أيدي المسؤولين، إذا لم تدخل في حسابها أن الله هو ينبوع كل موهبة وسلطة، وأننا جميعاً مسؤولون أمامه. فإذا أسقط الإنسان هذا من حسابه أصبحت ممارسة السلطة ـ حتى الدينية منها ـ معرضة لأن تكون غير مسؤولة وفاسدة..

إن الديانة تفقد معناها الأساسي حينما تصبح إيديولوجية، وبما أن الجماعات الدينية تعتبر وكأنها جماعات روحانية فلا يجوز لها أن ترتبط بمذاهب سياسية أو اجتماعية، بل إن أعظم القيم الثقافية للجماعات الدينية هو رفضها الارتباط بأي مذاهب إيديولوجية.

وحينما ترفض هذه الجماعات قبول تعدد المجتمعات أو حينما تهمل المحافظة على تسامي الشخص البشري، يتعرض الدين لأن يصبح إيديولوجية. إن نمو شخصية الإنسان مكيف بقبول حريته وإمكانيات الانفتاح على الآخرين والاتصال بهم.

إن كل شخص بشري هو فرد مستقل ومدعو شخصياً إلى محبة وخدمة الله خالقه. وله في الوقت ذاته دعوة اجتماعية نحو الآخرين ليساعدهم على تحقيق هذا الهدف وهذه الغاية تسمو بكثير على النظام الزمني.

إن تطور الحياة داخل المجتمعات السياسية وتنظيمها وإدارتها ترتبط بتاريخ البشرية الزمني. وقد بلغت التغييرات الاجتماعية حداً يدفعنا اليوم إلى حماية الشخص البشري من طغيان الجماعات المنظمة العاملة ضمن المجتمع. كل شخص هو حر في اتباع غايته القصوى: أي دعوته لحياة أبدية مع الله. ودور الدين هو أن يساند هذه الحرية ويحافظ على غايتها الأخيرة. ولكن يحسن كذلك انطلاقاً من هذه الفكرة العمل على إنشاء وبناء حياتنا الزمنية على أكمل وجه. لا يجوز لنا أن نفصل مسؤولياتنا في المجال الزمني بتأكيدنا على أولية دعوتنا الروحية كأشخاص. إن المجال الزمني تبع دعوة الإنسان أن يكون سعيداً

مع الله. الحرية في النظام الزمني هي عبور نحو شيء أكمل ولذا فنحن ملزمون أن نواجه معنى الحرية وفقاً لنظام تدرج القيم..

إن النشاطات والتنظيمات السياسية هي في خدمة الشخص البشري كفرد مستقل أو ذي علاقة بالفئات الاجتماعية..

حياة الإنسان وخلاصة محورهما الله:

يقول توينبي في دراسته للتاريخ: إن الدين هو محاولة من الإنسان لإقامة علاقة بحقيقة روحانية مطلقة من خلال ظاهرات الكون، ومحاولة منه حينما يقيم علاقات مع هذه الحقيقة أن يعيش منسجماً معها. إن هذا النشاط يضم كل شيء وهو مبدأ الحياة ذاتها فإذا امتلك المخلوق، وهذا ما حققه الإنسان، فهماً واعياً وإرادة حرة اضطر أن يبحث عن الله ويجده أو أن يهدم ذاته.

وورد في مقطع نهائي من كتاب حديث للمؤلف لويس مومفورد «بينتاغون السلطة»، قوله: «إن المصلح الذي يعالج الأرض ضد خطر التلوث والإنسان عن طريق التسهيلات التكنولوجية المتطورة فقط كتخفيف الغاز المنبعث من السيارات يدرك جزءاً من المشكلة لأن الحؤول دون أن يصبح كوكبنا صحراء لا حياة فيها لا يتم إلا عن طريق توجيه جديد وعميق لطريقة حياتنا التكنولوجية فلا بد للبشرية لتبلغ سلامتها الفعلية من هداية عفوية هي رؤيا تأخذ مكان صورة الإنسان الميكانيكية وتعطي لشخصيته ما تعطيه حالياً للآلة وللعقل الإلكتروني: أي تعطيه أسمى مظهر للحياة. إننا متأكدون من شيء واحد: إن أرادت البشرية أن تنجو من برنامج هدمها الذاتي فعليها أن تعرف بأن الله الذي سيخلصنا لن يخرج من الآلة بل سينبعث من الروح الإنسانية.

قدرة الدين أن يلهم الإيديولوجيات ويجعلها أكثر إنسانية. إنه يفهمنا العلاقة مع الوجود الإنساني كله في عبارات رائعة. إنه الوسيلة التي يظهر بها الله في التاريخ البشري ويعتلن للإنسان. به يتمكن الإنسان أن يستجلي إمكانيات الاتصال والترابط بين كيانه الزمني والأبدي. إن معرفة الله ومحبته هما هبتان

منه.. لقد محت المعلومات التقنية والعلمية من أذهان كثيرين من معاصرينا أبعاد سر وروحانية الواقع البشري. لقد أقصت الفيزياء الله عن الطبيعة كما أقصاه علم النفس عن القلب البشري، على أن الرؤيا الدينية لا تشارك الإلحاد العلمي وجهة نظره.

الإنسانية والدين المسيحي:

وفي الوقت الذي أفكر في موضوع الدين والإيديولوجية، أريد أن ألفت انتباهكم إلى أن الدين الحقيقي ينطوي على واقع هو أعمق من اعتباره طريقة مبنية على مبادئ خلقية، أو مذهباً روحانياً مجرداً. إن الله الحقيقة القصوى هو شخص يكتشف فيه الدين جذوره. الإيمان يأتي من الله، ونحن نكتشف المفهوم العميق للدين من خلال عمل روحه القدوس، إن الكمال والقداسة هما من ثمار الإيمان، والله يريد أن تتحد حياتنا به من خلال تفهم كل الأشياء. لقد قال تعالى: «أحب الرب إلهك بكل قلبك وبكل نفسك وبكل ذهنك».

لقد ساعد حب الاستطلاع على تطوير العلم وتنمية المعرفة التقنية وقضى التخصص المتزايد في فروع العلوم البشرية على التقاليد الفلسفية، فأصبحت عملية التواجد والتفاهم بين الفلسفة واللاهوت أمراً عسيراً.

وهذا النوع من التفكك، وعجز الإنسان عن استيعاب نمو المعرفة البشرية الواسع خلقا وضعاً خطراً ذا نتائج رهيبة، وأخذت أنواع الإيديولوجية المختلفة، في هذه الحقبة العلمية، تشكك في الكمال الروحاني للإنسان المعاصر.

إن الدين في مفهومه الصحيح والعميق يربطنا بالله. وهذا يفترض معاهدة فردية وجماعية تسمح للدين أن يذهب إلى أبعد من الإيديولوجيات والثقافات فيتمكن من أن يمتص ثقافات مختلفة ويعمل داخل الإيديولوجيات المتعددة على شرط أن يقتصر على الالتواءات والتناقضات السياسية والاجتماعية. فإن قوة الدين المحركة تكمن في أبعاده الروحية.

لا ننكر أن تكوين الكنيسة مبني على الناس والعلاقات الاجتماعية، ولكن

مصدر الإلهام في العمل ـ الذي يمكن أن يعتبر إلهاماً إنجيلياً ـ ينبع من حياة المسيح ومثله، ويهدف في نهاية المطاف إلى الحياة الأخرى.

في الكنيسة حياة داخلية شخصية وجماعية، وفي الوقت ذاته، تجد نفسها ملتزمة بالواقع الخارجي للوجود الإنساني، فتعنى بحقوق الإنسان والأسرة والثقافة، والمشاكل الاجتماعية الاقتصادية وإنشاء جماعات دولية والسلام والعدالة في العالم. .

حدود أنسية بدون الله:

نلاحظ في التاريخ المعاصر أن الإلحاد المجاهد والعلمنة ينكران الحاجة إلى الدين والإيمان، ويؤمنان فقط بقدرة الإنسان، أي إنهما يريدان بناء مجتمع علماني صرف، يرى في السلطة واللذة والمنفعة قيمه القصوى. إن ردود الفعل ضد هذا المجتمع اللاإنساني تظهر في تغيرات المواقف لدى الجيل الجديد. وهذا التغيير يعيد إلى الأذهان رغبة واهمة في التغييرات الثورية. إن وعي الضمائر، على فقر الشعوب وهامشيتها، يولد الشك لدى الجيل الجديد في قدرة الإيديولوجيات على إيجاد حل لأزمات هذه الأيام وحرمانها، وهذا كله يتطلب عودة إلى حقائق أكثر عمقاً.

نلاحظ، في أمكنة كثيرة، اهتماماً متزايداً بدراسة الثقافة والمدنية، بحثاً عن إدراك أفضل للكائن البشري، ونوعية حياة فضلى. ويزداد الاقتناع بأن الثقافة وحدها تستطيع أن تعطي معنى للحياة، بينما المذاهب والبنى، مهما اكتملت، تقيد الإنسان وتجعل منه جزءاً من آلة ضخمة، أو أداة لبلوغ هدف.

لقد كان هدف الفلسفة والدين في العالم المسيحي أن يخلقا بيئة حياتية متناسقة يعيش فيها العقل والإيمان، والفكر والمعتقدات، وأن يكون المسيح نفسه واسطة العقد في هذه المجموعة بواسطة سر التجسد. والمسيحيون وهم ورثة هذه التقاليد، وكل جيل جديد منهم يشعر بالحاجة إلى تعميق هذه الحقيقة وجعلها أكثر ملائمة لواقع عصره.

موقف الكنيسة من الإيديولوجيات:

لقد صرح قداسة البابا بولس السادس في رسالته الرسولية بمناسبة مرور ثمانين سنة على الرسالة البابوية «الشؤون الجديدة» بقوله: «إن المسيحي الذي يريد أن يعيش إيمانه في نشاط سياسي معتبراً إياه كخدمة، لا يستطيع، دون أن يناقض نفسه أن ينتسب إلى مذاهب إيديولوجية تعارض جذرياً، أو في نقاط جوهرية، إيمانه ونظرته للإنسان. إنه لا يستطيع أن يقبل بالإيديولوجية الماركسية وماديتها الملحدة، وديالكتيكية العنف وطريقتها في تذويب الحرية الفردية في الجماعة، وإنكارها على الإنسان في الوقت ذاته تساميه وتاريخه الفردي والجماعي ولا يستطيع أن يقبل بالإيديولوجية الليبرالية التي تعتقد أنها تمجد حريَّة الفرد بتحريرها من كل القيود، وبتشجيعها على البحث القاصر على المنفعة والقدرة، وباعتبار التضامن الاجتماعي نتيجة أتوماتيكية للمبادرات الفردية، لا غاية ومقياساً أعلى لقيمة التنظيم الاجتماعي».

إن هذا المقطع يظهر بوضوح أن الإيمان المسيحي لا ينسجم مع الإيديولوجيات التي تنكر وجود الله وتسامي الشخص البشري.

الخاتمة:

اسمحوا لي أن أؤكد أن احترام ومحبة الله نحو قمة خليقته الذي هو الشخص البشري هما أساس كرامة الإنسان. ولذا فلا يجوز أن يعتبر هذا الشخص البشري وسيلة أو آلة لمصلحة كائن آخر. غالباً ما تتجاهل الإيديولوجيات السياسية والاجتماعية، والمذهبية العلمية والتقنية كرامة الإنسان بينما هو في الواقع أساس وغاية الحياة الاجتماعية. والإنسان من وجهة النظر المسيحية لا يعتبر شخصاً لأنه اجتماعي، ولكنه اجتماعي لأنه شخص. والعلاقة الاجتماعية هي علاقة بين أشخاص.

إن الحياة الدينية ترفض المساومة بشدة وتتخطى المقومات الخارجية. والحياة الروحية والعلاقة مع الله هي عميقة ووحيدة وشخصية وسرية، حتى

ليستحيل المقارنة بينها وبين التنظيمات الخارجية الصرفة. وغاية المشاركة بين أفراد شعب الله هي للمساعدة على تتميم سر الخلاص. والكنيسة ذاتها هي علامة لهذا الاتحاد بالله ووسيلة إليه. وفي هذا الاتحاد تتحقق وحدة الجنس البشري كله.

إن وحدة الإنسان وتعدد العلاقات الداخلية والخارجية، الزمنية والروحية الفردية والاجتماعية هي متشابكة تشابكاً عميقاً ومرتبطة بدعوته الروحية الداخلية وتحترم كلياً قدرته على الاتحاد بالله، والله في ترتيبه الإلهي يوجه كل جهود البشرية لبناء ملكوت بشري على الأرض بينما نحن نشاركه بكثير من التفاؤل في خلق عالم أفضل.

إن الإيمان المسيحي يفسح المجال أمام تعددية شرعية فبدل أن نكون مقيدين بمنحى واحد يصبح الخلق المتواصل مرسى لرجائنا.

«. . . . إن روح الرب حين ينعش الإنسان الذي حدده المسيح يفجر بلا انقطاع آفاقاً يجد فيها عقله الطمأنينة، وحدوداً يطمئن عقله إليها. إن قوة تسكن فيه وتدعوه إلى تخطي كل مذهب وكل إيديولوجية.

* * *

بحث:

العَدْل الاجتماعي ثَمرة الإيمان بالله

للبَاحث المسلم: إبراهيم بَشير الغويل

مقدمة

أ ـ مادة (ع. د. ل) لغة تعني بمعنييها الحسي والمعنوي (مع كسر العين للحسي، والفتح لما يدرك بالبصيرة) المساواة والمعادلة ـ ولا تكون معادلة إلا عن سعة!

على أنني إذا ذكرت فراقهم تضيق عليّ الأرض ذات المعادل

(أي الأرض ذات السعة!)

فهي تعطي معنى المشاركة المتساوية التي تتم بعد تقويم وجزاء وموازنة أيضاً؟!

فالعدل نصف الحمل، أو الحمل المعدول بمساو له، فيقال عدل الرجل.. بمعنى ركب معه في المحمل فوازنه، كما يقال عدل الشخص الحمل بمعنى وازنه...

والذي يعدل الشيء أو الحمل يميله هنا وهناك حتى يستقيم ويعتدل...... ومن هنا فإن العدل ضد الميل ـ وخاصة كل الميل!

ب ـ وفي القرآن الكريم وردت بمعنى «.. فسواك فعدلك..»، ووردت بمعنى المشاركة عن مساواة في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام: 1].

كما جاءت بمعنى المثل أو القيمة أو الفدية في قوله تعالى: ﴿وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ [البقرة: 48].

أما ورودها بمعنى ضد الجور والميل كل الميل فهو كثير. . .

وعليه

فنحن حين نتكلم عن العدل إنما نتكلم عن:

1 ـ المساواة والمعادلة ـ وهي معادلة عن سعة. . . . .

1 ـ وهذه المعادلة عن سعة إنما تعني مشاركة متساوية تتم عن تقويم وجزاء وموازنة. . . .

2 ـ وهي تأتي بعد تقليب الأمور على أوجهها، ولكنها تأتي بعيداً عن قلبها على وجهها؟!. . أو الميل بها أو الجور فيها. . . .

2 ـ وما عنى العدل الاجتماعي كمصطلح قط شيئاً آخر غير هذا، فهو مساواة عادلة، وهذه المساواة العادلة لا تتحقق إلا عن سعة وكفاية، فالكفاية والعدل هما أساس العدل الاجتماعي ـ كذلك فإن من أهم أركانه تكريم العمل بتقويمه ومجازاته؟!. . . . . .

ثم العدل بعد ذلك موازنة وتوازن وركوب نفس المركب دون ميل أو جور أو ظلم!!

ومن أهم ما يحيط العدل الاجتماعي في أساسه وأركانه وأبعاده تحقيق معنى التكافل والتضامن والأخوة الحقة التي هي أول ثمرات الإيمان وأول أسس وأعلى درجات العدل الاجتماعي!!

3 ـ ولكل هذا فستكون خطتنا أولاً أن نتحدث عن الصلة: بين ثقافة تقوم على يقين مركزي ثابت (إيمان) بالعبودية لله من جهة. . وبين نظام اقتصادي حر وعادل من جهة أخرى.

ثم نتناول ثانياً هذه الثقافة ـ التي تعد الإنسان للقيام بأمانة الاستخلاف

والتعمير بالمقارنة بغيرها من الثقافات المعاصرة. . وخاصة من حيث تحرير الإنسان من الحاجة والخوف.

ثم ثالثاً ـ نوضح (المشكلة الاقتصادية ـ ما هي؟!)

. . . موضحين أنها ليست موارد محدودة ـ مؤكدين أن السعة موجودة لإقامة العدل!!

ثم رابعاً ـ نتحدث عن تقويم العمل ومجازاته ـ والملكية كجزاء، ولكنه جزاء عن تقويم وموازنة ودون ميل أو جور!!

ثم نؤكد على حدود الملكية ودور التكافل والتضامن إلخ. .

وأخيراً، وبالنظر إلى أن الحديث عن التكافل والتضامن سيصل بنا إلى الزكاة (والتزكية من معاني العدل لغة) فإننا نلحق بالبحث ملحقاً عن «الزكاة ـ باعتبارها ضريبة على النقود» (النقود المزكّاة). . وذلك لنستكمل ـ مع الصفحات الخاصة بالتكافل والضمان والزكاة ـ المفاهيم العظيمة المتضمنة في ركن الزكاة. .؟

4 ـ هذا، ولم يعد لي ما أريد أن أضيفه في هذه المقدمة، سوى أن أوضح:

أولاً: إن هذا الكتاب إن هو إلا كتاب من صحف عديدة توضح نظرة الإسلام للعدل الاجتماعي. . وكيف أنه يأتي ثمرة الإيمان بالله.

وثانياً: أنْ اعترف بالفضل لأهله، وما أصدق من قال «وكما تزمزم النحلة أخبار الأزاهير في كل الفصول، وهي تصنع ما تصنع، كذلك يتغنى وجدان الباحث بآيات الشكر لكل من مثلوا أدوار الأزاهير وهي تجود بما تجود بما في ضمائرها من رحيق يتعسّل فيشفي. .».

وهذه الحقيقة تلزمني، لو شئت تتبعها وتفصيلها، حكاية كتاب آخر عمن لقيتهم وقصدتهم وأفدت منهم من أساتذة وكتب ومكتبات وأصدقاء وطلاب. . .

«لذلك أرمز إلى هذا العالم الذي يعيش في صدري من نُعميات هؤلاء الأصدقاء الذين تفضلوا عليّ وعلى بحثي، من أي مكان كانوا، أو في أي زمان جاءوا، وإلى أية أمة انتسبوا. . .».

ولكنني أشير إلى الأستاذ العلامة محمد باقر الصدر والأستاذ الصوفي البهي الخولي ـ فإليهما وإلى كل أصحاب الفضل الذي اقتبست منهم، بل وسمحت لهم أحياناً بالحديث مباشرة إلى القارئ، بينما أخذت على عاتقي أحايين أخرى التحدث عنهم. باعتبار أن أفكارهم قد صارت جزءاً من وجودي وفكري، وذلك أنها انعكست في نفسي بغض النظر عن أصحابها. !

إلى كل أولئك أرجع ما في هذا البحث والدراسة من حسنات، أما السيئات والعيوب فأنا المسؤول عنها وحدي.

وما أردت إلا الإصلاح ما استطعت.

والله الموفق

إبراهيم بشير الغويل

استخلاص وتقرير المعالجات الإسلامية المبْدَئيَّة لمشكلات العَدْل الاجتماعي في جانبه الاقتصادي

أولاً ـ ثقافة تقوم على يقين مركزي ثابت بالعبودية لله:

لو أردنا أن نلخص المعالجة التي نعرض لها لموضوع العدل الاجتماعي في جانبه الاقتصادي ـ ولعلها لكل موضوع ـ لقلنا أنها تقوم على يقين مركزي ثابت بالعبودية لله وحده، **فمن عبودية الإنسان لله في الإسلام** ـ بدلاً عن امتلاكه لنفسه في المذاهب الفردية. . . ديمقراطية أو رأسمالية إلخ ـ **يتحرر الإنسان من كل عبودية أخرى**. إن هذه العبودية تشعره بأنه لا يمكن أن يكون عبداً لغيره وقد خلقه الله حراً ـ على قول سيدنا علي كرم الله وجهه «لا تكن عبداً لغيرك وقد خلقك الله حراً»، كما تشعره أنه يقف وسائر الآخرين على صعيد واحد فلا يستبيح لنفسه استعبادهم ويستنكر ـ كما استنكر سيدنا عمر رضي الله عنه ـ أن يحاول إنسان استعباد الآخرين فيقول ـ مع عمر رضي الله عنه ـ «متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارًا»!!

ومن هنا، فالحرية في الإسلام ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالمساواة ـ ويرتبط الاثنان أشد الارتباط بالعبودية لله.

وهذا الإعداد هو الذي يعد الإنسان للشعور بأمانة الاستخلاف فهو خليفة الله في الأرض والمؤتمن على عمليات التعمير ـ وليس من قوة في الكون إلا

وهي مسخرة له، وله حق الانتفاع بها، وهو راجع إلى الله ليجد ما قدم بين يديه.

فهنا إذن، حرية وشعور بالأخوة مع الآخرين مع استشعار بالمسألة عن النعم التي لا تحصى... والتي ينبغي شكرها بالعمل وتجنب الظلم الاجتماعي..

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ فإرسال الرسل بالبينات وإنزال الكتاب... **ليقوم الناس بالقسط**.

«وجاءت العقيدة في الله أساساً لإحقاق الحق وإقامة العدل، فهو وحده الذي ليس كمثله شيء ولم يكن له كفواً أحد، والناس بعد ذلك أشباه وأنداد... كلهم مخلوقون وكلهم عباد. والله الغني عن العالمين **هو الذي يقسم بين الناس الحقوق دون محاباة أو تحامل**، ومن هنا تأتي شريعته بالحق المبين، الذي يعلو على مصالح وأهواء الأفراد والجماعات والطبقات والطوائف والجنسيات ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾.

ثانياً ـ الثقافة الإسلامية وقصور ثقافات العصر:

إن هذه الثقافة الإسلامية ترى أنه على الإنسان أن **«يؤمن»** بسنن الله **«ويسلم»** نفسه لها حتى يمكنه أن **(يتقي)** ما يعاني من كوارث خروجه عن أن يكون **«مُحْسِناً»** أداء دوره الذي يجعله سابحاً في فلكه **«يسبِّح»** بحمد الله كما تسبِّح سائر الكائنات.

إن هذه الثقافة تريد أن تطبع في الذهن والضمير إحساساً وحقائق من الوقار والجلال تجعله يدرك **أنه مكلف برسالة وأن ما سخر له عليه أن يشكره بالعمل ولا يظلم نفسه ولا إخوانه**... ويكون من أثر ذلك أن يتثقف ضمير الإنسان ووعيه بما يرد عليه من صور الحكمة وآيات الجلال، ويقبل على الكون بوقار وحفاوة وإدراك من يعلم أن كل شيء مما حوله إنما هو خلق العليم

الحكيم. وأنه عليه أن يتصرف فيه ويستعمله بمنطق الجد الماثل في ذهنه وضميره فهي إنما أريدت لمقاصد جليلة ـ أرادها الخالق الحكيم ـ أن الإنسان وهو أعلى كائنات هذا الكون لم يخلق عبثاً، بل أوتي من مدارك وملكات ذات إلهام علوي لمقاصد تتكافأ مع شرف تلك المواهب وإرادة الخالق الحكيم لها.

وهكذا، فإن هذه الثقافة لا تترك الإنسان للمفاهيم المادية وحدها، ولا تطلب منه أن يبدل إنساناً غير الإنسان، بل إنها تطور المفهوم المادي للإنسان عن الحياة بإعطائه قاعدة فكرية منطلقها يقين مركزي بالتوحيد والكمال المطلق الذي هو كل يوم في شأن وقوامها السعي نحو الكمال المتجدد المتنوع في وحدة، وهدفها المطلق في كل مجال... الخير والحق والجمال؟

وهكذا، فإن هذه الثقافة تنطلق من تفسير واقعي للحياة، ولكنها تكمله بفهم لها في لونها الصحيح، باعتبارها مقدمة لحياة أخرى.. يجتهد الإنسان ويجهد ويجاهد حتى يصل إليها؟

وهي بهذا تنقل الإنسان من أن يتسمر في لحظته الحاضرة، كما تنقله من أن ينحصر في أشياء محدودة أو أنانيات وعصبيات ضيقة ـ فتفتح أمام الإنسان كل الآماد والأبعاد كما توسع من شبكة علاقاته...

. وتماماً كما تعنى بطاقات واستعدادات وميول الإنسان الحيوية فإنها تعنى بأمور النفس والمجتمع ومعنويات الإنسان وروحه...

ومن هنا نرى أن موضع القصور في غيرها من الثقافات إنما ينشأ من أنها لم تهتم بمعرفة قدر خيرات الطبيعة وطاقاتها، كما أنها لم تقدِّر مواهب الإنسان ورسالته، فهبطت بالخيرات ورأتها عرضاً لإشباع الرغبات الباطلة، أما الإنسان فهبطت به إلى ما نعاف الخوض فيه... وسماه هو «إشباع الرغبات»!!...

فموضع القصور، إذن عندنا، هو التفسير المادي القاصر للحياة الذي أشاد عليه هذا التوجه صرح الرأسمالية الجبار، فإن كل فرد في المجتمع إذا آمن بأن ميدانه المجسد في هذا الوجود العظيم هو فقط حياته المادية الخاصة، وآمن

أيضاً بحريته في التصرف بهذه الحياة واستثمارها، وأنه لا يمكن أن يكسب من هذه الحياة غايته إلا باللذة التي توفرها له المادة ـ وأضاف هذه العقائد المادية إلى ما جبلت عليه النفس من حب للذة وبغض للألم ـ فسوف يسلك السبيل الذي سلكه الرأسماليون. . .

أما أن نترك المفاهيم المادية سائدة ونبتدر إلى مبدأ الملكية الخاصة لنبطله ونظن أن المشكلة قد حلت حلاً حاسماً ـ فهذا غير صحيح، ذلك أن الثروة التي تسيطر عليها الفئة الرأسمالية في ظل الاقتصاد المطلق، والحريات الفردية، وتتصرف فيها بعقليتها المادية. . تسلم عند تأميم الدولة لجميع الثروات وإلغاء الملكية الخاصة إلى نفس جهاز الدولة المكون من جماعة تسيطر عليهم نفس المفاهيم المادية عن الحياة. .

وتوحيد الثروات الرأسمالية ـ الصغيرة أو الكبيرة ـ في ثروة كبرى يسلم أمرها للدولة من دون تطوير جدي للذهنية لا يدفع خطراً، بل يجعل من الأمة جميعاً عمال شركة واحدة ويربط حياتهم وكرامتهم بأقطاب تلك الشركة؟!

نعم إن هذه الشركة تختلف عن الشركة الرأسمالية في أن أصحاب تلك الشركة الرأسمالية هم الذين يملكون أرباحها ويصرفونها في أهوائهم الخاصة، وأما أصحاب هذه الشركة فهم لا يملكون شيئاً من ذلك ـ في مفروض النظام!! . .

غير أن الفهم المادي للحياة لا يزال قائماً، وميادين طغيان الرأسماليين الجدد غير محدودة؟

إننا إذ نرى أن إنساناً يعتصر الآخرون طاقاته، ولا يطمئن إلى حياة طيبة وأجر عادل وضمان اجتماعي، إنما هو إنسان قد حرم من التمتع بالحياة. . . وحيل بينه وبين الحياة الإنسانية الكريمة.

فإننا نرى أيضاً أن إنساناً يعيش مهدداً في كل لحظة، محاسباً على كل حركة معرضاً للاعتقال والسجن والنفي والقتل، لهو إنسان مُرَوَّع مُرْعَب. . . يسلبه الخوف حلاوة العيش، وينغص الرعب عليه ملاذ الحياة.

ثالثاً ـ الخلق والاستخلاف... والكون المسخر والمشكلة الاقتصادية؟

بعد أن يقرر الإسلام في النفوس معنى العبادة للخالق، فيعرفهم أنهم ما هم إلا بشر ممن خلق، وأنه ما خلقهم إلا ليعبدوه ـ **فيتحرر الإنسان من كل عبودية إلا عبوديته لله. . .** » وتحرير الضمير إنما يكون بتخلية القلب من عبادة العرض الأدنى وكل هوى باطل. . العبادة التي حذر منها الرسول عليه السلام بِمِثْلِ قوَّةٍ: «تعس عبد الدينار وعبد الدرهم. . . وعبد القطيفة. . . تعس وانتكس» وفي (عبادة الهوى الباطل) يقول تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾.

وبهذا التحرير تتقرر للإنسان الخلافة ويحمل أمانة هذا الاستخلاف والتعمير ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾. . . فهو مؤتمن وله دور وعليه واجبات ومحمَّل برسالة وسوف يحاسب.

ومن الطبيعي أن ربنا الذي لا إله إلا هو، وهو خالق كل شيء، إذ يدعونا لعبادته وعدم كفر أنعمه ـ من الطبيعي أن يلفت أنظارنا دوماً إلى أنه سخر لنا ما في السموات وما في الأرض وأسبغ أنعمه ظاهرة وباطنة، كذلك سخر كل ما في البر وما في البحر ﴿۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (12) وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ﴾ ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ (33) وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾.

أنعم الله لا تحصى:

أ ـ أراضي المراعي والزراعة والأشجار، وذلك إذ يقول الله سبحانه: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ۖ لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ (10) يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

وإذ يقول ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

ب ـ الحيوان: بما يؤدي من منافع في حمل الأثقال، وجر الآلات والركوب، وما يؤخذ منه من جلد ولحم وصوف وغيره وذلك إذ يقول سبحانه ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ (71) وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ﴾.

﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ﴾ ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾.

جـ ـ ومناجم الفلز: على اختلاف ألوانها وذلك إذ يقول الله سبحانه: ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾.

وإذ يقول: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾... والجدد البيض، والحمر والسود في الجبال طبقات من الصخر مختلفة الألوان تحتوي صنوفاً من المعادن، وتمتد في رأي العين مع امتداد الجبال كأنها الجدد ـ أي الطرق.

وإذ يقول رسول الله ﷺ ـ «التمسوا الرزق في خبايا الأرض».. وخبايا الأرض هي ما خبأه سبحانه لنا فيها من جواهر المعادن النافعة...

د ـ موارد الماء من عيون وآبار وأنهار وبحار ـ وما فيها من ثروة وما لها من منافع، وتيارات، ومساقط (وشلالات) وذلك إذ يقول الله سبحانه ـ ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.. ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾.. ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ (34) لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ﴾.

هـ ـ المعادن السائلة في جوف الأرض، وتيارات الريح، والقوى الخفية والطاقات المنبعثة من الشمس وغيرها، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ۖ وَمِنَ ٱلْجِنِّ ـ الكائنات الخفية ـ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ﴾ وقوله ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ﴾.

معنى الدرجات واتخاذ بعضهم بعضاً سخرياً وموقف من الرق:

وما دمنا في الحديث عمّا هو مسخر للإنسان فإنه من الواضح ـ وعلى ضوء ما قدمنا أن الإنسان ليس محلاً للتسخير، إلا أن البعض ممن لا يستطيعون أن يفهموا روح القرآن ومعالجاته سيقفون عند بعض الآيات التي يكون ظاهرها إقراراً بوجود درجات ـ وهم يحاولون تطويرها إلى طبقات!! ـ وتسخير الإنسان، وقد رأينا أن نقف لمعالجة هذه الأمور... ومعالجة أمر الرق معالجة سريعة.

أما عن آيات مثل ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ﴾ فإننا نرى أن نتناولها بشيء من الدراسة، ولنبدأ بالنص الكامل لهذا الحوار القرآني: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾!... فهم يعترضون على نزول القرآن على اليتيم محمد عليه الصلاة والسلام، وهو ليس صاحب مال كثير أو مكانة إلخ.. والرأي عندهم أن ذا المال هو الأولى بأن يجمع ـ مع المال ـ النبوة!!

ويقول القرآن ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ فهو يرد على رأيهم بأن يوضح لهم أن الأمر ليس مردوداً إليهم، بل إلى الله عز وجل، والله أعلم حيث يجعل رسالته. يأتي بعد هذا جزء من الآية كثر حوله القول، وهو ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ﴾ ثم تعقيب على ذلك بقوله ﴿وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾.

وقد أخذ البعض من هذه الآية معناها الظاهر القريب من قسمة الأرزاق، والتفاوت بين الناس، وأن هذا التفاوت يؤدي إلى سيطرة البعض على البعض.. وأن هؤلاء المستضعفين اجتماعياً أو اقتصادياً أو سياسياً عليهم ألا يحزنوا، وأن يكتفوا بما أعدَّ لهم الله من رحمة عنده يوم القيامة».

وزاد البعض على هذا قولهم بأن هذه الآية تدعو إلى السلبية وصرف الناس عن العمل رضا بما قسم الله تعالى... وحاولوا تأكيد دعواهم هذه بآيات وأحاديث تحض الناس على الزهد والرضا بالقليل.

وإذا نحن عاملنا في هذه الآية ـ سواء من حيث مناسبة نزولها أو من حيث عموم القصد والعبرة الدائمة ـ فإننا نجد أنها جاءت تنفي ضرورة الارتباط بين الغنى المادي ومقام النبوة ـ والنبوة هنا هي الرحمة..

والآية تقرر أن المعيشة مقسمة بين الجميع، وهو معنى كونهم جميعاً خلائف في الأرض؟... ولكن حقيقة الممايزة ـ لا الامتياز ـ بينهم اقتضت أن يكون كل في درجة ـ والدرجة.. موضع يساعد على الحركة، وهو غير الطابق!! ـ **ولئن كان الأصل في هذا التنوع إنما هو للابتلاء، إلا أنهم عدلوا به إلى التسخير أو للسخرية؟**

قال تعالى في سورة الأنعام ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌۢ﴾.

وأوضح تعالى في غير ما موضع أن الدرجات أيضاً إنما هي مرتبة على العمل ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ وهذا العمل هو تحت رقابة من الله ورسوله والمؤمنين ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ﴾.

وسياق الآيات في سورة الزخرف يكشف عن هذا، فلنقرأ قول الله:
﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿23﴾ ۞ قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ ۖ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿24﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾.

ثم أوضح أنه وقد متع هؤلاء وآباءهم حتى جاءهم الحق ورسول مبين فإذا بهم يقفون نفس الموقف. . . موقف تطاول أصحاب المال والغنى الاقتصادي على أصحاب القيم الإنسانية.

السياق واضح أنه لتأكيد الصراع بين مواقع الترف والاستغلال في المجتمع وبين مواقع شريعة الله. صراع بين الترف المغترّ بما عنده من مال ومراكز قوة وبين كرامة الإنسان. . . ممثلة في القيم الفاضلة، التي هي روح الدين، والتي تنظر إلى الإنسان في جوهره الواحد دون أن يستوقفها. . . موقفه الاجتماعي أو الاقتصادي أو السياسي ـ من هذا الإيمان العميق بالله وكرامة الإنسان نستمد طاقة، ونجعل مادة الحياة في خدمة الله عن طريق خدمة الإنسان. . كل إنسان».

ثم يأتي التعقيب ـ تثبيتاً لرسوله وللمؤمنين ﴿وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾. . أي ما أنت فيه من أمر الدعوى إلى الله وإقامة الحياة على أساس من كرامة الإنسان، كل إنسان. . . والصبر على ما تلقى في هذه السبيل من أذى خير مما جمعوا ـ وهم في مواقع القوة ـ من مادة الترف التي جعلوها أسلحة لاستعباد إخوانهم في الإنسانية.

ولننظر إلى آية ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ﴾ في شمولها، لا على مستوى مجتمع واحد متجانس، إنما على مستوى الإنسانية كلها في مواردها الطبيعية والبشرية، أفلسنا نرى أمامنا تفاوتاً واضحاً في توزيع الثروات الطبيعية بين القارات والشعوب ـ ولنعد إلى أي خريطة لتوزيع أي ثروة أو مورد طبيعي أو طاقة إلخ. .

ولا شك أن فرص الحياة أمام الذين يعيشون في مناطق الغنى أوسع من الذين يعيشون في المناطق النائية المنعزلة عن تيار العمران.

وهذا ليس فرضاً، بل إنه ابتلاء واختبار، ولكن الواقع ـ وكما يقول الإمام الزمخشري ـ إن الله تعالى قَاسِم المعايش والمنافع، ولكن العباد هم الذين

يكسبونها صفة الحرمة بسوء تناولهم، وهو عدُولهم فيه عن شرعة الله إلى ما لم يشرعه».

«وليس من المنطقي ـ عقلاً ـ أن يكون توزيع الثروات الطبيعية بين الشعوب أو بين أجزاء الوطن الواحد توزيعاً حسابياً. . لأمر بسيط، هو أن الحدود السياسية من صنع الإنسان يصنعها ثم يقدسها ويعبدها. . ولو نظرنا إلى العالم كوحدة لكان ما فيه ملكاً للإنسان الذي يعيش فيه.

هذا هو المنطق الإلهي الذي نقرأه في قوله تعالى ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾.

وإذا كانت الثروة خلق الله ولعباده فهي للجميع، والجميع هنا لها امتدادها الأفقي على العالم كله، كما لها امتدادها الرأسي للإنسانية كلها؟!

. . . وعلى هذا فإن ما صنع الإنسان من تخطيط الأرض إلى ممالك وأقطار ودول ذات تخوم لا يجعل ثروة أي بيئة حقاً أو ملكاً خالصاً لأهلها، لأنه إبطال لمنطق إنتاج الطبيعة الفطري. . ».

ولا نقصد بهذا إلغاء الشعوب والقبائل، ولكننا نؤكد أنها للتعارف والتعاون، فلا يجوز أن نخلط بين هذا الجعل الإلهي أو ما طرأ عليه وبين الأنانية الداعية إلى الأثرة والاحتكار الحاد، فإنا إذا جاوزنا طور داعي الأنانية ألفينا أنفسنا نتواصل بود الإخاء ومنطق أحكام الأزل، ويدرك أهل كل بيئة أن حظهم من الثروة ملك إنساني عام ينتفعون به لخاصة أنفسهم، فإذا اجتاز بهم «ابن السبيل» الذي أبعد به السفر عن موطنه ولا مال معه فله حقه المشروع بينهم دون تفضل أو منّة لأحد ـ وكذلك تكون المواساة بين سائر البيئات إذا نزلت ضائقة أو جائحة بيئية ما».

وعليه. . .

فإن نعم الله لا تحصى، وكلها مسخرة للإنسان ـ وعليه أن يتجنب الكفر بعدم شكره لها بالعمل، وكذلك عليه أن يتجنب سوء تناولها. . . . (وينشأ سوء التناول) بأن يعدل عن شرع الله إلى غيره!!.

وشرع الله يقرر عالمية وإنسانية الثروة.

وشرع الله يقرر أن للثروة مكانها من رسالة الإنسان. . . .

ولكنه. . . يقرر أول ما يقرر أن للإنسان رسالة ودوراً وهو يحمل أمانة.

فيقول تعالى في ثروة كالحديد مثلاً ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ﴾.

ولكن المقاصد والغايات التي أعد بأس الحديد لتأييدها هي ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾. . . الخ.

العلاقات الاجتماعية بين التفاوت وكرامة الإنسان:

وإذا كان الإسلام يحرص في العلاقات الاجتماعية على تحرير الإنسان من عبادة غير الله، فهو لا يريد الإنسان عبداً للدرهم والدينار، ولا يريده عبداً لأحد غير الله، كما لا يريد له أن يطغى إن رآه استغنى. . . ويسائله «متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً».

أقول، فإن الإسلام أيضاً تتكامل مع الحرية عنده علاقات التراحم والتضامن والتعاون، فالعقبة هي فك رقبة ـ أو تحرير العبيد ـ أو إطعام في يوم ذي مسغبة يتيماً ذا مقربة أو مسكيناً ذا متربة، ثم كان من الذين آمنوا وتواصَوْا بالصبر وتواصوا بالمرحمة ـ أولئك أصحاب الميمنة.

ومن الذين يخاصمهم رسول الله ﷺ يوم القيامة: **رجل باع حراً وأكل ثمنه ورجل استأجر أجيراً فاستوفى منه ولم يوفه أجره!!**

وفعل الرجل الأول هو موضع الشاهد إذ كان من عادة صعاليك العرب وغيرهم من الأمم أن يختطفوا الأحرار ليبيعوهم رقيقاً في أسواء النخاسة. . . مستحلين ثمنهم ـ فحرم الإسلام ذلك أي حرمه من منابعه. . .

ثم حصر الرق في حالة واحدة هي الأسر في الحرب. . . على أن ينتهي

بانتهاء الحرب، إما بتبادل الأسرى، وإما بدفع الفداء، وإما بإطلاق سراح الأسير تفضلاً ومنّة بلا مقابل وفي هذا جاء قوله تعالى: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾.

أما مكان التضامن وكرامة الإنسان فهي جديرة بأن تخصص لها دراسة مستقلة توضح التأسيس الإسلامي لها على أساس منطق وفطرة الإنسان الذاتية والاجتماعية وكون أن الأموال بأيدينا إنما هي أموال الله بخلقه وإنشائه لها فليست هي بأموالنا الحقيقية، وما نحن فيها إلا بمنزلة الوكلاء... فهي وظيفة والناس فيها أسوة وعلى الدولة واجب إلخ...

ونقف الآن لنقرر أن (الإسلام يفرق تفريقاً واضحاً بين تفاوت يحكم به الفرد على نفسه إذا قلل مختاراً ـ من فاعليته وإيجابيته وتحصيله العلم أو اكتساب الخبرة ـ وتفاوت يحكم به المجتمع على الفرد إذا ما وقف في سبيله، ولم يمنحه حقه الطبيعي في الوصول بقدراته إلى آمادها).

في المجتمع العادل يمكن أن نقبل التفاوت بعد تكافؤ الفرص (وضمانها)، بينما في المجتمع الظالم يفرض التفاوت على بعض الأفراد أو الجماعات بسبب التفرقة قبل أن يتيح لهم المجتمع الفرصة.

ذلك لأنه إذا ما توافر عدل اجتماعي، وأتحنا الفرصة لكل فرد أن يعمل دون عائق من لون أو وضع اجتماعي أو اقتصادي، ويحصِّل ما يستطيع من علم، ويساهم في المجتمع بقدر ما عنده من مقدرة... (فإن) لم يستطيع أن ينال في المجتمع ما كان يمكنه الوصول إليه ببذل جهد أكبر ـ أقول أن التفاوت الذي يحصل في هذه الحالة أمر يمكن التسليم بأنه تفاوت عادل... جناه الفرد على نفسه برغم الفرصة المتاحة والتوجيه إلى العمل. هذا، ولا يسلبه حقه كاملاً في التراحم الأسري والتضامن الاجتماعي...).

ولكن، إذا ما كانت العقبات هي النظام الاجتماعي، وكانت القيود في أيدي الأفراد وإقدامهم ـ برغم ما عندهم من قدرات ـ وأنه لا ذنب لهم إلا لون

البشرة (أو وضع اجتماعي أو اقتصادي) فإن الفروق المبنية على الحرمان أمر لا يقره الأمن ولا تطمئن به حياة مجتمع.

هذا هو الفساد الاجتماعي الذي يؤدي دائماً إلى الصراع الذي قد يتصاعد لهيباً أو يسيل دماء.

المشكلة الاقتصادية... والأهداف:

وإذا كانت المشكلة الاقتصادية ليست هي قلة الموارد، فنعم الله لا تحصى، إلا أن هذا لا يعني عدم احترام هذه النعم أو الكفران بها وبقوانين تثميرها وشكرها بالعمل. . . والعمل المتقن ـ الذي أساس المحاسبة فيه والجزاء عليه إنما يكون بالذرَّة!!

وكل هذا. . . يكون ذكراً لفضل الله في نعمه مع توجه القلب إليه واتقاء أنواع المعاصي والفساد.

وإذا كان من جوانب المشكلة الاقتصادية عندنا: سوء تناولها. . بالعدول عن شرع الله إلى غيره أو الخروج عن الدين القيم الذي أساسه الفطرة وسنن الله التي لا تبديل لها فإن توفير حد الكفاية ـ وهو غير حد الكفاف ـ وتحقيق العدل هما من الأهداف المبتغاة مع زيادة الإنتاج بتثمير كل شيء وفقاً للقانون وبالعمل المتقن إلخ. . .

رابعاً ـ سنن الاستغلال وأهدافه وملكية الثروات ـ والأسوة ومسؤولية الأفراد والدولة:

ولقد سبق لنا أن أوضحنا أن استشعار الإنسان لمعنى العبودية الناتجة عن استشعاره وتحققه لقدرة الخالق وحكمته وعلمه إنما تبعث في الإنسان معنى احترام الطيبات التي سخرها الله للإنسان. . . . وبالتالي فهو يستشعر ويحقق ضرورة استغلالها والانتفاع بها.

وشعور الإنسان برسالته وعلمه أن هذه النعم إنما سخرت له، وقدرت

لتكون معونة على رسالته، لا جرم يحبها ويقدر لها هذا المكان من حياته . . .

كما أن ذكر الله في الضمير، واتقاء المعاصي والفساد، مع الشعور بالرجاء والتوجه إليه؛ كل هذا يمنع الإنسان نوبات التشاؤم كما يمنعه حالات الهلع والجزع والمنع!.

وإن إنساناً كهذا لا بد، وهو يعلم أن الله قد جعل لكل شيء قدراً (أي سنناً وقوانين) تحكمه وفق مشيئة الله وإرادته، أقول أن إنساناً كهذا لا بد أن يأخذ كل شيء بقانون تثميره الخاص الذي يحكمه ويبلغ به أقصى ما يقدر له من مضاعفة الكم وتحسين النوع؟!

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ ـ وواضح لكل ذي لب أن الله جل شأنه لا يخلف سننه مع من يصلحون بها دنياهم. . . تماماً كما نرى عدم إخلافه سننه مع البلاد المتقدمة صناعياً!!

ومع الأخذ بقوانين التثمير يكون العمل الإنساني مبنياً على الاجتهاد كما هو مبني على الجهد، والجهد نفسه مطلوب أن يكون في مستوى أنه يرى من الله والرسول والمؤمنين، ويحاسب عليه بالذرة ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾.

ويلحق بهذا الصيانة والتقوية والتحسين. . .

وقد قرر القرآن هذه السنة ـ بأثرها الإيجابي والسلبي ـ واضحة جلية إذ ليس من المصادفات أن يقرن القرآن شأن سليمان بشأن أهل سبأ إزاء هذه السنة، فإنه لما كان لسليمان تسخير الريح، والكائنات الخفية، والسيطرة على منابع المعادن الذاتية، أرشده الله تعالى إلى تعهد ذلك بالعمل الذي يصونه، ويكفل استمرار منفعته، واعتبره من قبيل تقدير النعمة ومعرفة فضل المنعم بها، وشكره عليها، إذ قال سبحانه في ختام ذات التسخير ﴿ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾ ثم قرر على أثر ذلك ما كان لأمة سبأ من نعمة سابغة وظل وارف. . . من زروع وبساتين وجنات، وما آل إليه أمرها من تحول النعمة!،

وسقوط الشأن حين فقدت تقديرها لنعمتها، فأهملت فيها جانب الشكر العملي، إذ أهملت السدود والخزانات والقناطر التي كانت تنظم بها أراضيها وبساتينها. . . حتى تخربت، فلما جاء السيل لم تثبت أمام قوته الجارفة فاكتسحها ودمر وأتلف ما وراءها، وذلك قوله تعالى ﴿فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿16﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾ وعلى أن يفهم الكفر أنه ضد الشكر والشكر هنا هو العمل ﴿. . . اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا﴾ والإعراض إعراض عن العمل. . . ﴿كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ فَأَعْرَضُوا﴾.

وهكذا، فنحن نهتم للنعم. . . وعلى أسس علمية. . . وببذل أقصى الجهد للحصول على المضاعفة كماً والتحسين نوعاً ـ مع الصيانة والتقوية والتحسين والإتقان؟.

في أهداف الاستغلال:

وإذا كان اهتمامنا بالنعم ـ وعلى أسس علمية ـ اقتضى بذل أقصى الجهد للمضاعفة كماً والتحسين نوعاً. . . مع الصيانة والتقوية والتحسين والإتقان!!

فإن هذا كان مقترناً ـ بل. . . ومنطلقاً وموجهاً ـ بنزوع الإنسان أن يسبح في فلك كوني كله يسبح بحمد الله، والإنسان يتصل بهذا الفلك إذا بدأ صلاته بحمد الله رب العالمين!!

ومن هنا اقترنت مكانة المال بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة. روى الطبراني وأحمد ـ رضي الله عنهما ـ حديثاً قدسياً يقول فيه الله تعالى «**إنا نزلنا المال لإقام الصلاة وإيتاء الزكاة!**».

وللمال عند الإنسان ذي الرسالة خط مرسوم، فهو إذا غطى الكفاية المباحة للإنسان توقف عند مشارف السرف ـ توقف ليتجه اتجاهاً آخر.

قال تعالى ﴿كُلُوا مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾.

إذن، فللإنسان المستخلف، والذي سخر له هذا الكون، أن ينتفع بما فيه من خيرات يحتاجها في حفظ حياته والاحتفاظ بقوته ونشاطه ـ كل ذلك بحد الكفاية.

. . . . ويكون له أيضاً أن يستعين بها على تحصيل أدوات وعدد ومعدات وآلات العمل إلخ. . .

. . . . وهذا الإنسان يختص ببعض أرض يستنبتها أو يزرع فيها أو يقيم مسكناً أو متجراً أو مصنعاً إلخ. . .

. . . . وهو ـ بعد هذا ـ قد يفكر أن يدخر شيئاً لعجزه وشيخوخته، ثم أنه قد يفكر في ادخار ما يلزم لأبنائه في طفولتهم إلخ. . .

وقد تنمو الرغبة في ادخار القليل وتتحول إلى رغبة في ادخار الكثير، وهذا المدخر يتشكل أشكالاً مختلفة بحسب ظروف كل شخص فيكون عقاراً أو منقولاً أو معادن إلخ. . .

فهل يمتلك البشر كل هذا الذي يحتاجونه أو يحتازونه أو يدخرونه؟ وما طبيعة ملكيتهم؟ وهل هي ملكية مطلقة أم هي ملكية مقيدة بوظائف ولها حدود؟. . إلخ.

الملكية:

لعلنا هنا نقف أمام أحد أهم الموضوعات التي ينحرف بها الإنسان، ويدخل عن طريقها إلى نفسه ما ينسيها ما هو أحق أن تأله به وتعبده؟

فالملك الذي لا يبلى ـ أحد أحب الأشياء إلى نفس الإنسان، وأحد أسهل الطرق إلى خداعه؟

والملك الذي لا يبلى بما يعد الإنسان به من خلود ثم استغناء عن الآخرين هو أسهل طريق ينسي الإنسان محدوديته. . ومحدودية حياته فيتصور نفسه قائماً بذاته وليس فقيراً إلى الله!!

والإنسان الذي لا يسأم من دعاء الخير، وإن مسه الشر فيؤوس قنوط فهو الإنسان الذي إذا أذاقه الله رحمته ـ وهي رحمة من الله ـ من بعد ضراء مسته يقول: «هذا لي» ما أظن الساعة قائمة. . . !!

وهكذا، فإن الإنسان إذا شعر بأنه قد استغنى عن الله. . . وعن أخذ أحكامه من عنده، وافتقد معرفة افتقاره إلى الله. . . فإنه ـ في الحقيقة ـ يكون قد افتقد أصل الأصول في الفطرة، والشيء لا يصلحه إلا أن يقوم على ما قدر له من فطرة، وفطرة الناس أن يشعروا بافتقارهم إلى ما يركنون إليه، فإذا عرفوا ذلك من أنفسهم ولاحظوا نعمة الحياة والسمع والبصر والفؤاد إلخ. . .

فإن هذا هو السبيل إلى تزكية النفس والتحرك على طريق الفلاح. .

أما إذا نسي الله، وحجب عن نفسه الرؤية الصحيحة، فإنه ينسى آخرته ولب رسالته. . وسهل عليه أن يرى الدنيا أكبر همه ـ ويطغى. . . فيكون آفة.

الملكية بين الله والناس:

ومنطقنا البشري يعتبر العمل هو أساس الإنتاج، والإنتاج خلق المنفعة أو زيادتها؟ ولكنا نعقب أننا نستعمل كلمة خلق المنفعة مجازاً ـ لأننا ـ في الحقيقة ـ لا نخلق المنفعة. . . بل نكشف عنها ونعرف قانونها وقد نشكِّلها!!

فكيف لا نسلم لله بالملكية وهو الخالق حقيقة وفعلاً وواقعاً ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ و﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ و﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾.

فإذن، فإن **﴿لله ملك السماوات والأرض وما بينهما﴾** و**﴿لله ملك السماوات والأرض وما بينهن﴾** و**﴿لم يكن له شريك في الملك﴾**.

بل إن الله الذي مَنَّ علينا بخلق ما في الأرض جميعاً، وجعلنا مستخلفين فيه إنما هو الذي خلقنا نحن أنفسنا وسوَّانا، ثم قدر السنن والقوانين وهدى الإنسان لمعرفة هذه السنن والقوانين. . . فأتم نعمته علينا. قال الإمام الفخر

الرازي «واعلم أنه في كون الأرض قابلة للعمارات النافعة للإنسان، وكون الإنسان قادراً عليها، دلالة عظيمة على وجود الصانع. . . ويرجع حاصله إلى ما ذكره الله تعالى، في آية أخرى وهي قوله ﴿وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ . . . «وذلك لأن حدوث الإنسان مع أنه حصل في ذاته العقل الهادي والقدرة على التصرفات الموافقة، يدل على وجود الصانع الحكيم، وكون الأرض موصوفة بصفات مطابقة للمصالح، موافقة للمنافع، يدل أيضاً على وجود الصانع الحكيم».

وقد جاء هذا في تفسيره بقوله تعالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾.

وهكذا، فإن الخالق للأرض ومالكها، وخالقنا والهادي لنا، قد مَنَّ علينا بتهيئتها للانتفاع وتهيئتنا للانتفاع!!.

. . . . وأمرنا أمراً واجباً بعمارتها قال القرطبي ـ في تفسير قوله تعالى ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ ـ «قال بعض الشافعية: الاستعمار طلب والطلب المطلق من الله تعالى على الوجوب. وقال الجصاص: وفيه الدلالة على وجوب عمارة الأرض للزراعة والغراس والأبنية».

ويذهب الأستاذ البهي الخولي إلى أن (العمارة ـ بما نعرف في أيامنا هذه يمتد أفقها إلى أبعد مما عرف سلفنا الصالح من (الزراعة والغراس والأبنية) إلى استثارة ما في الأرض من أنواع المعادن، والتوسع في المنافع العمرانية باستحداث المصنوعات المختلفة، والمرافق الضرورية، والوسائل الميسرة للمصالح، وما يتبع ذلك كله من تبادل السلع والغلات ونقل المتاجر أو جلبها من هنا وهناك. . . وإنا لنقرأ في ذلك قول الله تعالى ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ فنرى فيه إشارة تلفت النظر إلى أفق العمران الصناعي، ونرشد إلى مزايا الحديد وتوجه الهمة إلى استخراجه. . . والله تعالى يعلم من عباده حرصهم على ما ينفعهم، ولذا أشار إلى عنصر المنفعة في الحديد بقوته ﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾، لينشطوا إلى استخراجه ويتنافسوا في صناعته، فيحصل العمران الذي أمروا بإقامته.

وذكر الحديد إنما هو مثال للمعادن الأخرى، ففيها ـ أيضاً ـ من المنافع ما لا يستغني عنه الناس، وما لا بد منه لعمارة الأرض، وقد أشار سبحانه إلى قيام شيء من ذلك فيما سخر لسليمان عليه السلام من أسباب العمارة والملك بقوله تعالى ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ (النحاس المذاب) وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾.

فعمارة الأرض، على هذا المعنى الحضاري الواسع سنة الأنبياء، وفريضة ألقاها علينا الإسلام بنصوصه الصريحة التي أسلفنا.

ولكن ملك الله مسخر لمنفعة البشر، ولهم جميعاً أن ينتفعوا به ويستثمروه ويعملوا فيه، والله يؤتيهم ثمرات الملك وغلته وأجورهم رزقاً حسناً في هذه الدنيا والآخرة، وما لرزقه من نفاذ.

فهو أولاً المالك، وهو الذي سخر لنا ملكه، وهو الذي جعلنا خلائف فيه... وهيأه لننتفع به وهيأنا لنستنفع به...

ولكنه لم يسخره أو يستخلف فيه أو يهيئه لفرد دون فرد، أو لفئة دون فئة، وإنما سخره واستخلف فيه وهيأه للبشر جميعاً وجعله مشاعاً بين عباده الذين استخلفهم، يعيشون وينتفعون بملك الله ربهم جميعاً، وهم إخوة وأسوة فيه؟!

«ولقد بين الله لعباده الذين استخلفهم في الأرض أنهم حينما يستغلون ما خلق ويستثمرونه ويحصلون منافعه لا يأتون بشيء من عندهم، وإنما هو رزق الله يسوقه إليهم..».

ومن هنا كان علينا أن نعرف ماذا أراد الله من عمارة الأرض... وما هي رسالتنا؟ كذلك علينا أن نحدد الأدوار للأفراد والجماعة والدولة...

وقد سبق لنا توضيح أن الإنسان خلق لعبادة الله!... ومعنى هذا أن

يتحرر من كل سلطان إلا سلطانه تعالى وأن يتحرر من الجور السياسي والاستغلال الاقتصادي والزيف الكهنوتي إلخ. . .

وأوردنا أن ما في الأرض من ثمرات إنما خلق ليكون معونة له على تلك العبادة.

أما ما هي الأدوار للجماعة والفرد والدولة إلخ. . .

فإنها تتحدد بعد الحديث عن الملكية بين الجماعة والفرد والدولة باعتبارها ممثلة للجماعة. . . حريصة على كرامة الإنسان. . . قائمة برسالة. . .

الملكية بين الجماعة والفرد:

الأرض لله بحق الخلق الأول، وقد سخرها بفضله وهيأها للانتفاع كما هيأنا للاستنفاع بها. . . ثم أمرنا باستعمارها. . . ولتكون لنا جميعاً.

ـ فهي إذن:

1 ـ ملك عام، ولكنه مؤسس على ملكية الله.

2 ـ ملك عام ـ وهو مقرر لجماعة.

3 ـ ملك عام، طالما ارتأت الجماعة أنه ضروري لها. . . أو طالما لم تكلف أحداً ـ أو تسمح لأحد ـ بأن يقوم فيها بعمل منتج يخلق منها منفعة جديدة أو يزيد من منفعتها. . .

ومن هنا، فإن خصائص الملكية العامة في الإسلام:

1 ـ إن المرافق والأشياء التي هي من صنع الله، لا من صنع أحد من البشر، ويعود نفعها على المجموع، ثم هي مبذولة النفع بدون كدٍّ فهي على الملك العام.

ومن هنا، فينبغي أن يؤخذ من أحاديث رسول الله ﷺ أنَّ **«الناس شركاء في ثلاثة: الكلأ والماء والنار»** أو أنهم شركاء في أربعة ـ لا ثلاثة ـ بإضافة الملح. . . .

ينبغي أن يؤخذ من هذا أنه نظراً إلى **خصائص أزلية دقيقة لا إلى أجرام الأشياء وأعيانها الظاهرة**، وما ذكر تلك الأشياء بعينها إلا من قبيل حكمة المعلم حين يختار أمثلة من واقع البيئة التي يخاطبها.

ومن هنا توسع الأقدمون في تفسير مفهوم الكلأ والماء والنار. . .

وكان لنا أن نضيف موارد عامة مستخدمة. . . ومرافق الملكية العامة لا يجوز أن تملك.

الملكية الخاصة تقرر من الجماعة فيما ليس ضرورياً لها ويحتاج إلى جهد:

وإذا كان الملك العام هو الأصل ـ تأسيساً على ملك الله وتسخيره هذا الملك لعباده جميعاً وتهيئته لهم وتهيئتهم للاستنفاع به إلخ. . .

وإذا كان الملك العام مستمراً فيما يعود نفعه على المجموع. . . وما هو مبذول للنفع بدون كدٍّ. . .

فإن تقرير الملكية الخاصة إنما يكون من الجماعة وفيما هو ليس ضرورياً أن يبقى على الملك العام، وما يحتاج في استغلاله جهداً خاصاً.

ومن هنا، فإن خصائص الملكية الفردية في فقه الإسلام:

1 ـ حق الجماعة الأزلي يظل عالقاً في الملك الخاص، وليس الفرد مطلق التصرف في ماله. . على ما هو في الرأسمالية؟!

2 ـ وإذا كان المال مال الله أصلاً، والأمة مستخلفة فيه، وهو مسخر لمجموع أفرادها إلخ. . . . فإذا كان هذا كذلك فإنه **إن اقتضت سنة العمران أن يتفرق المال بين الأفراد على سبيل الملك الخاص بحكم الجهد الفردي** و«**لكل عمل جزاء**». . . **فإن بداهة تكافؤ الفرص تجعل ذلك حقاً** للجميع على السواء وإذا كان الله قد فضل البعض على البعض في الرزق وهو تفضيل بما عملوا درجات ـ فلا يحسب صاحب الرزق الكثير أنه من حقه ألا يرد الرزق على من

لا مال له، بل هم فيه سواء ﴿وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلرِّزْقِ ۚ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُوا۟ بِرَآدِّى رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌ ۚ أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾.

ويقابل ذلك وضع محظور تأباه عدالة الفطرة، ولا تقره نواميس العمران، هو: أن تتركز الملكية في فئة معينة تختص بالثراء، وتحتجز الثروة من دون سواها... فيكون المال دولة فيها ـ وإلى هذا الوضع المحظور يشير قوله تعالى ﴿كَيْ لَا يَكُونَ﴾ ـ أي المال ـ ﴿دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ﴾.

ومما يلفت النظر أن الآية الكريمة لم تأت في صيغة الأمر والنهي ـ «لا تجعلوا المال دولة بين الأغنياء منكم»، مثلاً ـ بل إنها جاءت تحذيراً من عاقبة؟!...... وهذه العاقبة محذورة ـ ومحظورة ـ حتى ولو استكمل الأغنياء اتباع الطرق المشروعة في جمع المال... فهو محذور لذاته وآثاره السيئة...

وقصة الملكية تروي أنه ما انحصر تداول المال بين فئة الأغنياء حتى ظهر الطغيان والسيطرة على السلطة لجعلها أداة تسلط واختلت أوضاع المجتمع...

ومن قبل، أليس اختلال أوضاع النفوس هو استحواذ البعض على المال والركون إليه والشعور بالاطمئنان به ثم الشعور بالامتياز فاختلال المساواة فالاستغلال والاستئثار والاستغلال إلخ..

وحادثة النزول واضحة الدلالة في أن هذه الآية جاءت تعليلاً لصرف المال إلى الفقراء (المهاجرين) ـ دون الأنصار ـ مع أن الأنصار لم يجمعوا مالهم إلا من حلال، ولكن إشراكهم في صرف مال وغنائم بني النضير لم يكن مما يحقق التوازن بين الطرفين!...

3 ـ وهذه الملكية الخاصة التي يظل حق الجماعة ـ المبني أصلاً على ملكية الله واستخلافه للناس جميعاً إلخ ـ عالقاً بها، والتي إنما جاءت تقريراً من الجماعة وتقديراً لمن يبذل جهداً في ملك لا تقتضي ضرورة أو حاجة الجماعة استمرارها على الملك العام ـ كل ذلك مع إتاحة الفرص المتكافئة للمجتمع...

أقول: هذه الملكية الخاصة بهذا التأصيل ملكية تقر للفرد الاختصاص والحيازة، وتقر للفرد سلطاناً يتصرف به، ولكن هذا الاختصاص والسلطات إنما يظل في حدود طبيعة هذه الملكية باعتبارها تقريراً وتقديراً من المجتمع. . . . وفي حدود هذه الوظيفة الاجتماعية التي تجعل من الفرد وكيلاً عن الجماعة. . . وبالتالي فهو منها وإليها. . . إلخ.

الملكية الخاصة.. طبيعتها... ووظيفتها.. وحدودها:

- لقد اتضح لنا أن الملكية أصلاً إنما هي موضوع يثار حين الحديث عن تثمير أنعم الله التي خلقها وسخرها لنا جميعاً. . . كما خلقنا نحن وهيأنا للانتفاع بها إلخ.
- أخذها بسننها وقوانينها لنبلغ بها أقصى ما نقدر من مضاعفة الكم وتحسين النوع. . . وكل ذلك باجتهاد وجهد. . . إلخ.
- كما اتضح لنا أن الهدف من التثمير والاستغلال إنما هو الانتفاع بها فيما يدفع عن الإنسان الضرر ويجلب له النفع. . .
- واتضح لنا أيضاً أن الملك كله أصلاً لله وأن الناس مستخلفون وأن الكون مسخر. . . مما يجعل الأصل هو الملك العام. . .
- ثم اتضح لنا أن الملكية الخاصة إنما أبيحت فيما يحتاج إلى جهد خاص فكانت جزاء لعمل. . . «فلكل عمل جزاء». .

وهي بهذا تقرير من المجتمع وتقدير للعاملين. . . فطبيعة هذه الملكية إذن أنها جزاء عمل. . . وانتفاع من في الكون بما في الكون لا يتم إلا عن طريق العمل. . .

وانتفاعنا هذا إنما يعني استثمارنا لها من أجل الخير العام ـ وهو استثمار لا يتمّ على خير وجه إلا بواسطة تلك الملكية التي لها القدرة على الاتصال بمصدر النور فتوقد من الشجرة المباركة فتكون نوراً على نور. . . وأقصد العقل الواعي الذي يزداد وعياً بعلمه ولا يضل!. .

ـ **فالعمل ـ والإيمان ـ والعلم**. . . جديرة بأن نقف عندها ونحن نتحدث عن الملكية جزاء لعمل. . .

فأي عمل؟. . . وما صلته بالإيمان؟. . . وما صلة ذلك كله بالعلم؟!

العمل هو أساس بناء الكون كله، فالله الخالق بيده القادرة هو الذي خلق هذا الكون وبناه وسوَّاه ويوسعه، وخلق آدم بيده، وخلق لنا مما عملت أيديه أنعاماً فإذاً نحن لها مالكون. . .

. . . . ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾! «وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً»؟! ـ إنما كان أولى بالإنسان أن يترك الجدل ويتجنب طريق الشيطان. . وطريق المجادلة ويسجد شكراً للنعمة. . ويعمل شكراً للنعمة ـ فالاستكبار وترك العمل هما طريق الكفر!.

والعمل. . ومن أحسن عملاً. . . هو أساس الدرجات والابتلاء في الدنيا والآخرة ـ ولكنه العمل الصالح!. . .

(ويطول الحديث عن العمل لو أردنا تناوله باستفاضة).

والعمل الصالح هو العمل الذي يؤسس على العلم ـ على ما يذهب إلى ذلك الأستاذ الإمام.

. . . . ولا بد أن يكون إلى جانبه إيمان، لأنه إن كان العمل هو تجسيد الإيمان وشكله، فإن الإيمان هو روح العمل وسره، فهو الذي يجنب الانحراف عن الغاية. . . ويجنب المزالق.

والعمل العلمي المؤمن هو الذي يحقق المجتمع السعيد، لأنه جهد ووفق قدر الله ويتجه نحو هدف واضح فلا ضرر ولا ضرار؟!

وهذا العمل هو الذي يجزى أجره بأحسن ما كانوا يعملون؟!

. . . . وهو أشرف الطرق في كسب المال.

فطبيعة الملكية الخاصة أنها جزاء عمل، ولكن هذا لا يخرجها عن

أصلها. . باعتبارها ملك الله فهو خالقها، كما لا يخرجها عن أنها مسخرة لنا جميعاً لننتفع بكل ما فيها ـ بل إن عملنا فيها، بما أعطانا الله من قدرات، وبما قررته الجماعة تقديراً لجهودنا، لهو الدليل على حق الله. . وحق الجماعة. . .

فهذه الملكية إنما هي بشروطها:

1 ـ وأول شروطها أنها ملكية منفعة.

2 ـ إن للجماعة أن تنظم طريق الانتفاع.

3 ـ إنها جزاء عمل. . وتشجيع على أداء وظيفة للمجتمع، وهي بهذا حق لمن أعطيت له لا بد أن يعوض عليه أن رؤي أخذه منه، ولا تؤخذ منه إلا إذا كان قد تم تعطيلها أو ارتأت الجماعة طرقاً جديدة لأداء هذه الوظيفة أو وجد من هو أفضل بعمله لأداء هذه الوظيفة إلخ. . .

4 ـ وملكية المنفعة هذه غير محددة بمدة، فهي مع صاحبها ولمن يخلفه. . سواء أكان خلفاً خاصاً أو عاماً ـ ولهذا فهي تورث وتنتقل بالبيع وغيره من التصرفات.

5 ـ له حق الانتفاع بما لا ينسيه المثل العليا وحق الجماعة. . .

وهنا حديث عن وظيفة الملكية. . . .

فوظيفة الملكية إنما هي أداء حق الله وحق الجماعة، وذلك أن أي إنتاج **إنما هو حصيلة الموارد الطبيعية المستثمرة** ـ وهي من خلق الله. . كما أن المستثمر نفسه هو من خلق الله ـ **يضاف إليها جهد إنساني**. . هو في الغالب **جهد تعاوني**، فإن الإنسان يعجز عن أن يحقق وحده استثمار أي مورد طبيعي، فإنما لا بد له من معاونة الآخرين. والذين يعاونون في الاستثمار من قريب ومن بعيد هم إخوانه في العمل. . .

ونقف، قليلاً، عند **تقرير جزئية الفرد في المجتمع** لنؤكد أن الناس أصلاً من نفس واحدة، ثم أنهم ـ وكما قال رسول الله ﷺ ـ بعد أن شهد أن لا إله إلا الله «. . . . **وأن العباد كلهم إخوة**».

فالخالق واحد، والنفس الإنسانية واحدة، ومن هذه النفس خلق الله زوجها.. ومن هذه الأسرة الأولى جاء الناس: رجالاً كثيراً ونساء......

وتقوى الله قرنت بأرحام «والأرحام» هنا دلالة على الصلة الإنسانية التي تربط الناس جميعاً بعضهم ببعض، مهما تناءت الديار، وتعاقبت العصور، واختلفت الألسنة والألوان وتباين الوضع الاقتصادي والاجتماعي. و«نحن مأمورون أن نتقي الله في أوامره، والتطبيق الأولى لتقوى الله هو رعاية الإخاء الإنساني الكبير الذي يعقب الله عليه بقوله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبًا﴾.

أما تقرير مبدأ الأخوة والمحبة بين المؤمنين فأمره واضح....

كما تقرر مبدأ أخوة الدم وصلات الرحم محل رعاية الإسلام....

وقد برزت جزئية الفرد في المجتمع في الأحكام العملية للفقه الإسلامي فجرت قواعده على اعتبار الإنسان خلية في الأسرة الكبيرة للمجتمع، له حقوق وعليه واجبات... نحو خاصة نفسه، ونحو أسرة قرابته، ونحو أمته ـ في جميع جوانب الحياة....».

«وإن هذه الحقوق يجري فيها تقديم النفع العام على النفع الخاص، وتحمل الضرر الخاص لدفع الضرر العام، (وذلك) لتحقيق وجهتها الاجتماعية وحفظ التوازن الاقتصادي والاجتماعي الذي يتمثل في مقاصد الشريعة...».

وهكذا، فللملكية الخاصة وظيفة تنبع من أن الملك هو لله، وأن الجميع مستخلفون، والفرد وكيل للقيام بوظيفة... **ولا يجوز له عزل المال الخاص عن وظيفته الاجتماعية.**

ومن كل هذا يمكن أن نعرف أساس تقرير التراحم والتضامن إلخ......

والآن، إذا كانت هذه الملكية الخاصة وهذه أبعادها.. من حيث طبيعتها ووظيفتها فهل هذه هي الملكية الخاصة؟... هل هي انتفاع وإدارة لا غير؟

وهل هذه هي حدودها؟. . . وهل فيها من ضابط؟. . . إلخ.

ونحن نقول أن ما سبق ذكره في خصائص الملكية الأربع ليس فيه من قيد، فكون حق الجماعة الأزلي قائماً بها، وكون أنها إذا أعطيت على أساس أن (لكل عمل جزاء) فإن ذلك يقتضي تكافؤ الفرص. . . ويقتضي عدم انحيازها في فئة معينة تختص بالثراء، وكون أنها تقرر للفرد اختصاصاً وحيازة. . . ولكن في حدود طبيعتها ووظيفتها. . .

نحن نقول: إن ما سبق ذكره، واستكماله بهذه الفقرة (4) التي أوضحت أن الملكية انتفاع وإدارة، ليس فيه تقييد لسلطان المالك كما يتوهم البعض، بل هو غاية الحرية الصحيحة؟!.

فهي حرية الوكيل أو النائب عن الأمة فماذا يريد المنادون بالسلطان المطلق للممالك؟. . . وأين موقعهم من مجتمعاتهم؟. . . بل ما هو موقفهم أمام الله؟.

إنهم يريدون سلطاناً يخولهم أن يبخلوا ويكتنزوا ويحتكروا بلا معقب، فيستغنون ويستذلون المحتاجين والمعسرين. . . ويقلبون الحياة من بعد يسر عسراً؟!.

حقيقة أن سعينا لشتى. . . . .

وحقيقة أنه لا بأس أن نتفاضل درجات على مستوى أعمالنا. . . .

ولكن الذين فضلهم الله بالرزق عليهم التزامات وواجبات. . . .

فكما عليهم أن يكسبوا بطريق مشروع فإن عليهم واجبات الإنفاق المشروع وضابط الملكية الخاصة هو تقريب الفوارق ﴿. . .فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌ. . .﴾.

. . . . **وينبغي ألا يكون المال دولة بين الأغنياء وألا يكون الريع العظيم** – بتعبير معاذ بن جبل – في أيدي القوم يبتدرونه و(يبيدون) فيصير ذلك إلى الرجل الواحد أو المرأة الواحدة. . . .

ثم يأتي من بعدهم قوم ـ يسدون من الإسلام سداً ـ فلا يجدون شيئاً. . .

فعلينا أن ننظر أمراً يسع أولهم وآخرهم! . . . والذين يعارضون هذا ويريدون من المُلْكِيَّة أن تسمح بالبخل والاكتناز والاحتكار وأكل أموال الناس بالباطل. . . ويريدون للمال أن يربو في أموال الجماعة ـ فإن هذا هو الكفر بأنعم الله والتكذيب بلقاء الآخرة والظلم فالذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة وتمتعوا هم وأبناؤهم من بعدهم فإنهم ينسون الذكر ويتبعون ما أترفوا فيه. . فيكون الإجرام ومعارضة المصلحين والتسلط. . فتكون النهاية.

﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱلْأَخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾.

﴿وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُواْ ٱلذِّكْرَ وَكَانُواْ قَوْمًا بُورًا﴾.

ـ ﴿وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتْرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ﴾.

ـ ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾.

ـ ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا﴾.

والإسلام يسد هذا الطريق أصلاً فلا اكتناز ولا احتكار ولا كسب غير مشروع ولا ربا.

ثم هناك زكاة وإنفاق مستمر لا حدود له، فكل فضل مال أو كل عفو يزيد عن الكفاية (والكفاية، وإن كانت غير الكفاف، إلا أنها ليست إسرافاً) مطلوب إنفاقه. . . .

وما قصة الصراع بين رجال الإصلاح ورجال المال إلا قصة الحديث عن حرية حقيقية، يوضحها رجال الإصلاح، فهي حرية لكل إنسان، وحديث عن حرية باطلة، يدَّعيها الطواغيت، فهي حرية لهم يستغنون بها ويطغون؟!

ورسالة نبي الله شعيب ألم تكن دعوة للطواغيت ألا يبخسوا الناس أشياءهم ﴿وَلَا تَعْثَوْاْ فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾. . .

أو لم تكن دعوى هؤلاء الطواغيت ﴿يَٰشُعَيۡبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ﴾؟.

.... وهو منطق الرأسمالية في كل عصر!.

خامساً ـ حدود الملكية أو دور المال في المجتمعات ... والتراحم والتكافل والتضامن إلخ... وحكم الله...!

تقوم نظرية الإسلام أصلاً على أنه:

1 ـ إنه لا مالك إلا الله، فالثروة منسوبة إلى خالقها، وهي لها دورها في الحياة الذي هو حكمة خلقها. وهذا الدور يتحدد برسالة الإنسان التي هي على مستوى مواهبه وحكمة الخالق.

2 ـ رسالة الإنسان هي التي ينبغي أن تكون محور جهوده.. والثروات ينبغي أن تكون لها غاية يقرها العقل لا تعدوها. وإذا كان من رسالة الإسلام أن يقيم حضارة مثلى في الأرض قوامها الحق والخير والعدل فإن للثروة مكانها في رسالة الإنسان في نص قرآني كريم.

3 ـ وهذه المكانة للثروة تتأتى باستشعار الإنسان بنعمة الله وشكرها بالعمل لزيادة الإنتاج... على أن يذكر الناس أن نتاج الأرض لهم كافة.

4 ـ والملكية المقررة للجماعة باعتبارها مؤلفة من أفراد ذوي أنصبة أزلية فيه ولكل منهم كيانه الإنساني نقول أن هذه الملكية مسبوقة بملكية الله مؤسسة عليها، وموضوعها مرفق من خلق الله ينتج بأمر الله للجميع.

5 ـ على أنه إذا كان المرفق ذا نفع ضروري للجماعة ويمكن الحصول على منفعته بسهولة فإنه يبقى على الملك العام.. ولا بأس من تنظيمها.

6 ـ أما الموارد التي تحتاج في استغلالها إلى جهد خاص فإنها، وإن كانت من خلق الله ابتداء ولا أثر للإنسان في خلقها البتة فهي محتفظة بصفتها الأزلية أو صفة «الشركة العامة»، ولكن جهد الأفراد في استغلالها

وإعدادها للاستهلاك والاستعمال ينشئ لكل عامل فيها حقاً خاصاً هو حيازة ما صنعه أو أحياه.. دون زيادة أو نقص...!

7 ـ على أن ما يحوزه أي فرد فيه حقان: حق الجماعة الأزلي، وحقه الخاص الذي اكتسبه بعمله! .

كما أن هذا يحدد نطاق توزيع الثروة للملكية الخاصة بحيث يكون نطاقها هو القاعدة الشعبية العريضة ويكون أفرادها هم أفراد الأمة كافة... وأن هذا يفرض ألا تكون الأموال دولة بين الأغنياء... بما يترتب على هذه القاعدة من تقارب الفوارق.

كما أن هذا يحدد عناصر الملكية الخاصة بمراعاة عمومية المال في النصيب الذي يحوزه الفرد.. ومراعاة أن الملكية الخاصة ملكية اختصاص وحيازة ـ مما يحدد سلطان المرء الذي يتصرف به.. مع تكليفه بأن يجعل ما معه في مصلحة الجماعة.

والخلاصة:

كل هذا أن الملكية ما هي إلا وضع أقيم فيه الإنسان ـ بحكم مواهبه ليثمّر للجماعة ما لها، ولينفق منه على مصالحها... وهذا ما يسميه الإسلام بحق استخلافاً.

على أن هذا النظر للثروة باعتبارها مرفقاً عاماً لأفراد الأمة كافة هم أسوة في الارتفاق، وأن الأفراد قد يملكون دون أن تنسخ ملكية أحدهم حق الجماعة فيما معه لا ينفي التفرقة بين من يعمل ومن لا يعمل... فمن عمل فله حصيلة عمله بحكم جهوده المشروعة، ذلك إلى أن من شأن هذا الوضع أن يثير الحرص على صلاح المال والجد في نيله. وكل هذا دون الإخلال بملكية الأزل التي لا تنفك عن الثروة.

فالإسلام يقرر ثلاثة أحكام متناسقة غير مضطربة، وهي:

أ ـ حين يريد التوجيه إلى البذل والإنفاق في سبيل الله يكون مدخله إلى مراده من باب ملكية الأزل ﴿وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ﴾ .

ب ـ وحين يريد التوجيه إلى التسيير والتنظيم والحرص على المال يكون المدخل من الملكية المجازية للفرد. . . حفزاً واستحثاثاً للعوامل الخاصة في النفوس ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا﴾.

جـ ـ وحين يريد أن يقرر الوضع العملي للبشر في المال قومه على أصدق وصف وأدقه مطابقة للواقع ﴿آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾.

«ومقتضى أن الإنسان مستخلف فيما لديه من مال الجماعة هو الذي يحدد حقوق المجتمع في ضوء نظرية الإسلام وذلك بتحديده حظ الإنسان فيما معه بأنه لا يجاوز الكفاية الضرورية للإنسان، والكفاية هي الحد الذي يطلبه البدن بلا زيادة أو نقص وهي بهذا عامل له حكمة فيما يرضاه العقل وتقره الطبيعة.

ومقتضى أن الإنسان مستخلف فيما لديه من مال الجماعة يثمره لها وينفقه أو ينفق منه فيما حضر من مصالحها وضروراتها. وإذ أن المال كله ـ أصلاً ـ هو الضرورة للأمة ومصالحها فلا يجوز أن يقتطع منه شيء لمصلحة خاصة إلا بمقدار الضرورة التي تحفظ للفرد المستخلف حياته في غير ترف ولا مخيلة!

وهذا الذي تمليه الفطرة هو الذي جاء به المشرع.

وفي المجتمع المسلم أبواب تزيد على العشرة لتحقيق الأسوة دلالة على روابط التعاطف تفاعلاً وتكافلاً.

ولكن ثمة أمور عامة خطيرة لا يتسنى لأساليب العرف الفردية أداء حق الأسوة فيها بأحكام، فإن أساليب العرف لا تملك خاصية الاستيعاب والتخصص، كما لا تمتلك سلطة الحسم بإزاء من يمتنعون عن حق الأسوة فيما بأيديهم. . . ومن هنا يتحتم إسناد الأمر للدولة!

ويكون دور الدولة بجباية الحق الواجب من كل فرد يلزمه هذا الحق. . . لتضعه في مصرف الواجب من الضرورات والمصالح الأساسية.

ويكون للدولة تطويع الملكية الخاصة إذا تعارضت مع مقتضيات الأسوة، ولو أدى الأمر إلى إبطالها!

إن معالم التواصل والتكافل لتبدو شيئاً فشيئاً خلال النظرية الإسلامية. . ابتداء من نسبتها للثروة إلى الخالق مع تحديد دورها في الحياة بما يتلاقى مع الحكمة من خلقها لتكون مسخرة للإنسان الذي حمل الأمانة ـ إلى حديث النظرية الإسلامية عن تداول الثروة بين الناس تحت اصطلاح الملكية الخاصة الذي لا ينسخ حق الجماعة ولا يغير من وضع الثروة بين الناس من حيث أنها أسوة بينهم كافة. . وانتهاء بما يستطيع الأفراد تحقيقه بوسائلهم العرفية من ضروب الأسوة وما لا يستطيعون أن ينهضوا به بأساليب الأفراد وإمكانات العرف، ولا بد فيه من حزم الدولة وأسلوبها في التدخل لتطويع الملكية الخاصة لمنطق الأسوة ومقتضى المصلحة العامة.

أسس التكافل ومعالمه:

والتكافل بمفهومه الإسلامي المحيط أصل من الأصول التي تنتظم بها العلاقات في المجتمع، ولا نتصور لمجتمع ما وجوداً أو تماسكاً ما لم يكن هذا التكافل هو المنطق الذي تلتقي عليه كافة العلاقات.

حقيقة أن الله قد أودع في الكون موارد للثروة، وأودع في الإنسان طاقة للعلم بكيف يسخر هذه الموارد. . وطاقة ليعمل فيها ـ وجاء الإسلام يفتح أعين الإنسان لحقيقة الكون الفسيح والآفاق، ويكشف له ما في نفسه من قدرات، ويدعوه إلى العمل. .

ولكن الإسلام جعل بعد ذلك هذا الفرد في كفالة الأسرة أو المجتمع أو الدولة إذا عجز عن تحصيل حد الكفاية ـ ومن باب أولى إذا عجز عن تحصيل حد الكفاف إما لضعف أو لافتقاد أسبابه. وهي رعاية شاملة للمسلم ولغير المسلم، وقد أورد أبو يوسف في رسالة الخراج أن خالد بن الوليد ضمن عهده لرعاية دولة الإسلام فيما غلبت عليه من أرض «وجعلت لهم أيما شيخ ضعف

عن العمل، أو أصابته آفة من الآفات أو كان غنياً فافتقر وصار أهل دينه يتصدقون عليه، طرحت جزيته، وعيل له من بيت مال المسلمين هو وعياله». . . وهو عهد معروف ومكرر طوال عهد دولة الإسلام.

ومن السنن الفطرية في التنظيم أن يكون العمل المشروع هو السبيل الطبيعي للأكل من مائدة الله، فإذا ما تيسر للمرء حظه منها بسعيه الطبيعي فبها ونعمت، أما إذا قعدت به أسباب العجز، من مرض أو شيخوخة أو يتم أو ترمل أو نحوه ـ فماذا يفعل؟!

إن الأكيد هنا هو أن هؤلاء الذين قعدت بهم الأقدار عن غشيان ميدان العمل للأكل من مائدة الله، تتفرق أنصبتهم الأزلية في هذه المائدة بين القادرين. . لا سيما وأن الحياة ميدان عام مفتوح لكل قادر على العمل والكسب، ولا حدود فيها ولا تقاسيم تبين لكل عامل مجاله الذي لا يتعداه. فمجال كل امرئ إنما تحدده قدراته وكفايته في نطاق الفرص المتاحة.

ـ ولكن ماذا نعمل في حقوق من قعد بهم القدر؟ . . . وهل هي انتهازية. . ينتهز كل قادر على العمل الفرصة ليستغل مكان من قعد بهم القدر دون التفات إلى أخوة أو تراحم أو عدل؟ . . . ثم ما قيمة عمل الإنسان في الإنتاج؟

هي ثلاثة، إذن، التي تحكم الموقف.

الوجه الأول:

إن هناك حقوقاً أزلية لهؤلاء الذين قعدت بهم الأقدار، فالله قد قضى الأرزاق عامة لتعلق حياة الناس بها، ومن قعد به القدر عن مجال السعي، وتفرَّق نصيبه في أنصبة القادرين، ففي منطق الحق الأزلي أن نستخلص له من حقه ما تقوم به حياته، ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ (24) لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾.

الوجه الثاني:

ـ إن أهل القدرة على السعي والكسب، إذ حصلوا ما حصلوا، وإن لم

يكونوا معتدين على أحد، ولا متجاوزين شرائط الكسب المشروع، وأموالهم حل لهم. . . ومقياس العمل يجعلها لهم خاصة إلا أن مقياس العدالة والمجتمع يجعل من واجبهم أن يرعوا الآخرين وألا يكونوا فرديين. . . نهازين للفرص دون التفات إلى تراحم وتآخ.

الوجه الثالث:

ـ إنه وإن كان مما لا جدال فيه أن الثروة بنت العمل، وأن الإنتاج هو المسوغ الطبيعي لامتلاكها رعاية الإنتاج، إلا أنه إذا اشترك عاملان في عمل ما فلكل منهما حصته تكافئ ما بذل من جهد. . . فإذا تساوى الجهد فالكسب بينهما مناصفة، وإذا اختلف الجهد اختلفت الأنصبة تبعاً لذلك.

ونسأل بعد هذا: ما نسبه عمل الإنسان في تلك الثروة إلى خلق الله سبحانه وتعالى؟!

وخلاصة الإجابة:

بعيداً عن استظهار الوجدان الديني ـ هي أنه سبحانه يخلق. . . ونحن ننتفع ـ أو نُهَيّأُ للانتفاع!!!

فحين خلق الله الإنسان أول مرة وجد نفسه أمام مائدة الله فأخذ يستهلك أصنافاً كما هي على الهيئة التي صاغتها الطبيعة، ثم تدرجت به نواميس التطور، ونشأت له منافع شتى وأذواق جديدة، فأخذ يعالج الأشياء من حوله بما يحقق المنفعة ويرضي ذوقه!

خلاصة:

فأزلية الثروة هي أصل حقوق الناس قاطبة، وهي لا تمنع رعاية الإنتاج بتقرير حق للعاملين، وتتأكد برعايتها للإنتاج. . فعمل الإنسان لا يمس أزلية الخلق الأول بأقل تغيير والعمل ـ بوصفه الاستهلاكي والتشكيلي ـ لا يزيل وصف الأزل من خيرات الأرض. . وبالتالي فهو أبعد من أن ينسخ أصالة حقوق الناس فيها.

فإذا قعدت الأقدار بذويها، وتفرقت أنصبتهم في حوزة القادرين، فمعنى ذلك أن كُلاً من القادرين ظفر بحصته من نصيب ذلك العاجز ـ قليله أو كثيره ـ ويكون في مال كل منهم جزء من حقوق أولئك الذين قعدت بهم الأقدار.

معالم التكافل الاجتماعي:

ومن هنا فإننا نستطيع أن نقرر معالم التكافل الاجتماعي في جانبه الاقتصادي تمهيداً للحديث عن الضمان الاجتماعي في أنه يتمثل في:

1 ـ الوقاية من مذلة حاجة الأكل واللبس والسكن إلخ. . .

2 ـ التمكين من تحقيق الاعتبار الإنساني للبشر.

3 ـ وجوب رعاية كل فرد ليظل على إنتاجه في مجاليه الاقتصادي والإنساني. . وحماية القيم العليا للمجتمع من التدهور. . أو من اللامبالاة بها.

ولا شك أن هذه الجوانب الثلاثة من هذا الهدف لا تتحقق إلا بالعمل على حماية المجتمع والدولة التي تكفلها وترعاها.

وهذه هي الجوانب التي استهدفها الإسلام بالزكاة:

1 ـ فالفقراء والمساكين يمثلون الجانب الأول من حيث أنه من المقرر أن يعطى كل منهم ما يخرج به من اسم الفقر إلى أدنى مراتب الغنى ليواصل تصرفه وكدحه في ميادين التسيير والإنتاج. وقد أورد الماوردي في الأحكام السلطانية أنه ينبغي أن يدفع إلى كل منهما أي الفقير والمسكين «ما يخرج به من اسم الفقير والمسكنة إلى أدنى مراتب الغنى. . وذلك مقيد ـ أو وفق ـ مجال كل منهم، فمنهم من يصير بالدينار الواحد غنياً. . إذا كان من الأسواق، ـ ومنهم من لا يستغني إلا بمائة دينار».

ويدخل في إطار الفقراء: رعاية الأسر التي دخلها أقل من الحاجة الضرورية، والمتعطلون الذين لم يوفر لهم العمل. بينما يدخل في دائرة

المساكين العاجزون عن العمل والطاعنون في السن وأصحاب الأمراض المزمنة.

2 ـ ويمثل الجانب الثاني من جوانب الهدف أي التمكين من تحقيق الاعتبار الإنساني للبشر. . . الأرقاء قديماً وأشباههم اليوم في الشعوب التي يحكمها الاستعمار الخارجي. . عسكرياً كان أو اقتصادياً أو عقائدياً!!!

فهؤلاء أصحاب حاجة، وإن لم تكن من أجل الأكل والشرب، فهي الحاجة إلى الحرية الإنسانية!

3 ـ وجماع الأمر كله أن الهدف هو وجوب رعاية كل فرد ليظل على إنتاجه في مجاليه الاقتصادي والإنساني. . وحماية القيم العليا للمجتمع من التدهور. . أو من اللامبالاة!

وأنت واجد هذا فيما سبق من جوانب رعاية الفقراء والمساكين وتحرير الإنسان إنما هي نوع من الرعاية ليظل الفرد على إنتاجه في مجاليه الاقتصادي والإنساني، وهي حماية للقيم العليا أيضاً.

على أن أوضح صورة لهذا الجانب إنما تظهر في قوله تعالى ﴿وَٱلْغَـٰرِمِينَ﴾ والغارمون هم:

أ ـ من يتحمل ديناً لدفع فتنة في مجتمعه. . وبغية إصلاح ذات البين في قومه. . . ثم يضطره ذلك إلى الحاجة فيعطى من الزكاة، وذلك لأنه إن ترك هؤلاء وما استدانوا أو تحصلوا في سبيل الصالح العام عاد ذلك على حوافز المروءة والبر فيهم بالتخذيل وإضعاف الكافة. . . . فيقعدون عن إبداعهم العظيم هذا ولا يجدون نهضة إليه ـ وذلك لا يتلاءم مع مقاصد الإسلام ومرامي نظره إلى أصول الحقائق، ومن هنا فقد أوجب سبحانه أن يعطى هؤلاء قدر ديونهم أو ما تحملوا به ولو كانوا أغنياء!

قال القرطبي «ويجوز للمتحمل في صلاح أمر أن يعطى من الصدقة ما تحمل به إذا وجب عليه. . . وإن كان غنياً». . وذلك لأن أمثال هؤلاء (أجهزة إنتاج) من نوع ثمين لا تقوم الحياة بدونه!

ب ـ ومن اجتاحت ماله جائحة، كتعرضه للسيل أو الحريق إلخ. . .، فأصبح ذا حاجة. . . فيعطى حتى يستقل بقوام معيشته ويعود إلى إنتاجه.

جـ ـ ومن أصابته الفاقة. . . .

فهؤلاء الأصناف الثلاثة عندما يعوضون عن دينهم أو عن مالهم يشعر من استدان منهم أن المجتمع وراء قيمه العليا. . . فلا يدخر وسعاً في المستقبل في التضحية في سبيلها، كما يشعر من أصيب بماله وفي قوام عيشه بسبب طارئ خارج عن إرادته أن المجتمع متضامن معه وأنه لا يتركه وحده عرضة للحوائج والملمات. . وعندئذ يشتد إيمانه بمجتمعه ويزداد عنده مدى استعداده مستقبلاً في سبيل بقائه والارتباط بأفراده.

4 ـ وكل جوانب هذا الهدف الكبير لا تتحقق إلا بحماية المجتمع والدولة المسلمة وهذا ما تحققه مصارف الزكاة «في سبيل الله» أو باستمالتها للمؤلفة قلوبهم. . .

ومما يدخل في قوله تعالى ﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ تقرير الثقافة ووجوب توفرها رعاية جدية للعقائد والتعاليم التي نزلت لتزكية مبادئ الفطرة. . .

ومما أدخلوه سهم ﴿وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ نفقات الدفاع وإعداد الجيش. . وكذا أدخلوا معونة الحجاج والعمار.

كلمة عن «ابن السبيل»:

وسهم «ابن السبيل» وإن كان البعض يراه أشبه برعاية المجتمع الغارمين، ويقرّ به البعض الآخر بنوع من رعاية إنسانية الإنسان إلخ. . إلا أنه في نظرنا يقوم على فلسفة عميقة وأدخل في بند حماية المجتمع والدولة المسلمة ومد خطوطها إلى ما وراء حدودها، فهو إعلان بأن المسلمين يدركون أن حظ أهل «كل بيئة» من الثروة ملك إنساني عام ينتفعون لخاصة أنفسهم فإذا اجتاز بهم «ابن السبيل» الذي أبعد به السفر عن موطنه، ولا مال معه فله حقه المشروع بينهم دون تفضل أو منّة لأحد. . . . وكذلك تكون المواساة بين سائر البيئات إذا نزلت ضائقة أو جائحة بيئة ما.

مما يدخل في حماية المجتمع والدولة المسلمة:

ومما يدخل في حماية المجتمع والدولة المسلمة العمل على حماية الدعوة وكسب التأييد الخارجي لها و(تأليف) قلب من ترجى مكانته أو مواهبه أو نفوذه لدعم هيبة الأمة وعلو مبادئها وخدمة قضاياها وتيسير مصالحها ودفع المكاره عنها إلخ. . . .

كلمة ختامية في رعاية التكافل الاجتماعي:

أصلان يجب أن يقوما في الذهن أساساً وإطاراً للتفكير في عموم الكفالة والتكافل، وهما:

1 ـ **وجوب إبراز إنسانية الثروة برعاية حقوق الأزل للعجزة من الفقراء** والمساكين. وإنسانية الثروة أصل فطري، وحق ابن السبيل فيه واضح، وكذلك فقد أوضحنا ما يرتب للفقراء والمساكين من حق. . وعسى أن يتأكد حقهم هذا بالأصل الثاني.

2 ـ **وجوب تحقيق معنى الشركة العامة في المال على نحو طبيعي عملي:** وأيسر مظاهر هذا أن يكون لهم رخاؤها إذا كان رخاء، وشدتها إذا كانت لها شدة. . . تماماً كما هو الحال في أي شركة!

على أن الممولين في شركتنا هذه ليسوا أصحاب أسهم مالية دفعها كل منهم، بل بالحق الأزلي الذي جعله الله لكم منهم. . . . وبه يدفعون أو يؤدون ما تفرق من تلك الشركة أداءه من الفرائض، وينبغي أن يعود عليهم جميعاً الفضل من تلك الشركة. . .

ولفظ الشركة ليس اجتهاداً خاصاً، ولا نقلاً عن مصطلحات المحدثين، فإننا ننقله عن كتاب الأموال لأبي عبيد إذ روى عن عمر ـ رضي الله عنه ـ قوله «ما أحد من المسلمين» إلاّ لَهُ في هذا المال حق أعطيه أو منعه» وقال أبو عبيد عقب ذلك «ثم روى الناس عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه رأى لكل المسلمين فيه شركاً».

فهي إذن شركة، يمولها أفراد الشعب بأسره، كلٌّ بحظه الأزلي من الثروة العامة.

. . وهم جميعاً عاملون أو موظفون فيها ـ بمعنى أن تتوفر أمامهم فرص متكافئة قدر الإمكان وبعدالة ليعملوا. . عملاً صالحاً في نطاق نظم المجتمع.

وبهذين الأصلين يمكننا أن نرعى معنى التكافل والتضامن فنقرر مع علي كرم الله وجهه «إن الله تعالى فرض على الأغنياء في أموالهم بقدر ما يكفي فقراءهم. . . فإن جاعوا، أو عروا أو جهدوا، فيمنع الأغنياء. . . وحق على الله أن يحاسبهم عليه يوم القيامة ويعذبهم عليه»!

والكفاية التي أجملها علي ـ كرم الله وجهه ـ فصَّلها ابن حزم في المحلى بقوله «وفرض على الأغنياء من أهل كل بلد أن يقوموا بفقرائهم، ويجبرهم السلطان على ذلك، إن لم تقم الزكوات بهم ولا في سائر أموال المسلمين بهم فيقام لهم **بما يأكلون من القوت الذي لا بد منه، ومن اللباس للشتاء والصيف بمثل ذلك وبمسكن يكنُّهُمْ من المطر والصيف والشمس وعيون المارة. . . . إلخ**.

ومن المعروف أن عمر ـ رضي الله عنه ـ قد حدد الحد الأدنى للقوت بطريقة عملية تقوم على التجربة فقد ذكر أبو عبيد ـ في كتاب الأموال ـ أن عمر رضي الله عنه أراد أن يعرف بالتجربة ما يكفي الرجل طعاماً في الشهر ـ والشهر القمري أقصاه ثلاثون يوماً ـ فجاء بثلاثين رجلاً. . فغداهم وعشاهم، ثم نظر ذلك فوجده جريبين، فقال: يكفي الرجل جريبان في كل شهر، وقرر لكل فرد رجلاً كان أو امرأة جريبان من الحنطة كل شهر. . . ، (وأضاف إليهما لكل فرد قسطي زيت وقسطي خل، وأراد أن يعلن ذلك على رؤوس الأشهاد. . فصعد المنبر وفي يده القسط والمد ـ مكيال يسع 19 صاعاً ـ أيها الناس. . . إني فرضت لكل نفس مسلمة في كل شهر مدي حنطة، وقسطي زيت ـ ثم رفع يديه بالقسط والمد أمام الناس وحركهما، وقال:

فمن انتقصهما ـ أي من الحكام ـ فعل الله به كذا وكذا. . . ودعا عليه ونزل.

وإن هذه التجربة لتشهد بأصالة الفكر الإسلامي كفكر حضارة وتنظيم. . . .

وكان عمر أول الأمر لا يفرض للأطفال الرضع ثم أمر مناديه فنادى: «لا تعجلوا أولادكم عن الفطام، فإنا نفرض لكل مولود في الإسلام».

وكان عمر رضي الله عنه يقول في توزيع الزكاة «والله لأردنها على الأعراب حتى تروح على أحدهم مائة من الإبل» مما يظهر نية التثمير وتصميمه على أن يجعل مستوى التمليك بين الأعراب هو مستوى الغنى.

التكافل غير الضمان والتأمين الاجتماعيين

1 ـ ومن المناسب هنا أن نوضح أن التكافل الاجتماعي أوسع معنى من الضمان الاجتماعي فلا يقتصر على مجرد النواحي المادية وكفاية المجتمع لأفراده في الطعام واللباس والعمل والتعليم والسكن إلخ. . . وإنما يشمل سائر النواحي المعنوية والروحية. . وبصفة عامة فالتكافل «تفاعل» أو كفالة متبادلة يتداعى بها أفراد المجموع للتعاون في المنشط والمكره. . . .

وقد يذهب البعض إلى أن مبدأ التكافل هو واجب على المسلمين تطبيقه حتى في الحالات التي يفقدون فيها الدولة التي تطبق أحكام الشرع.

2 ـ والضمان الاجتماعي هو مسؤولية الدولة في ضمان مستوى العيش الكريم للجميع. . . من موارد هي ملكية الدولة في الملكية العامة وموارد الميزانية.

3 ـ وهذا الضمان الاجتماعي هو غير التأمين الاجتماعي، ففي التأمين الاجتماعي ـ وإن تولته الدولة يتطلب مساهمة المستفيد باشتراكات يؤديها، وتمنح له مزايا التأمين الاجتماعي أياً كان نوعها متى توافرت فيه شروط

استحقاقها. . . . بغض النظر عن دخله! . . . . وهذا ضرب من «الكفالة»، والكفالة القاصرة، يأوي إليها العاطل أو يستظل بظلها العاجز والمريض. وهذه الكفالة، وعلى قصورها، تقوم على أن هناك «كافلاً» و«مكفولاً» فإذا سلمت من أذى المنة وزراية التفضل فلن تسلم من أحقاد الرأسمالية الذين يرون فيها مغرماً دعا إليه تطور وعي التعامل وخوفهم أن ينتقض على مصالحهم. . . والضمان الاجتماعي المتفرع من التكافل الاجتماعي الذي نريد. . . نريده أن يأتي وقد رأى «المكفول» كرامة موقرة، واستشعر معها معنى «الشركة» «أو بإحساس الاشتراك» العام الذي يدرك أنه جزء من كل. . . لا أنه عضو من جسم مفرق الأجزاء!

4 ـ والإسلام هو بحق دين التكافل الاجتماعي بمعناه الواسع. . باعتباره تفاعلاً مستمراً يتضمن مسؤولية متبادلة بين الأفراد عن رعاية الرخاء العام وتنسيقه. . بحيث يحس كل منهم وجدانياً وعملياً ـ أن هذا الرخاء العام موصول بحياته الخاصة، وأن ما ينال أخاه من خير أو شر عائد عليه لا محالة. . . وأن عملية الإسعاف أو الإنقاذ جزء من منهاج التفاعل أو التجاوب أو التكافل وليست هي كل ذلك المنهاج.

5 ـ وأهم صور التكافل الاجتماعي في الإسلام هو التكافل المادي أو المعيشي والذي تلتزم الدولة الإسلامية بمقتضاه **بكفالة حد الكفاية لا الكفاف لكل فرد**، وهذا ما نعبر عنه باصطلاح الضمان الاجتماعي.

وفي اعتقادنا أن أي مجتمع يقترب أو يبتعد من الوصف الإسلامي بقدر ما يكفل أو لا يكفل لكل فرد حد الكفاية لا الكفاف!

6 ـ وفي الإسلام لا يسمح بالغنى إلا بعد كفالة حد الكفاية لكل مواطن والقضاء على الفقر والحاجة. . . وهو ما عبر عنه الرسول عليه الصلاة والسلام بقوله «إذا بات مؤمن جائعاً فلا مال لأحد». . وعبر عنه سيدنا عمر بن الخطاب بقوله «إني حريص على ألا أدع حاجة إلا سددتها ما اتسع بعضنا لبعض، فإذا عجزنا تآسينا في عيشنا حتى نستوي في الكفاف».

الزكاة
باعتبارها مؤسسة الضمان الاجتماعي في الإسلام

لم يكتف الإسلام بأن أقام علاقات المجتمع على أساس من التكافل، ولم يكتف بمجرد الدعوة إلى الضمان الاجتماعي، وإنما أنشأ منذ (14) قرناً مؤسسة مستقلة.. هي مؤسسة الزكاة ـ أو بتعبير عصري.. مؤسسة الضمان الاجتماعي.

إن الزكاة بمعناها الحقيقي ـ أي كمؤسسة للضمان الاجتماعي ـ هي العنصر التأسيسي في شريعة الإسلام، ونرى أن ذلك دليل اشتراكية الإسلام منذ أربعة عشر قرناً، وأن النبي محمداً ﷺ هو أول من قرر وطبق الاشتراكية تطبيقاً فعلياً.

وقد أسف الكثيرون لإغفال دول العالم الإسلامي تحصيل الزكاة وللتحريف الذي طرأ على فكرتها لدى جمهور المسلمين... سواء بالنظر إليها أنها مجرد صدقة اختيارية أو باعتبار أن الضرائب التي تحصلها الدولة تغني عن أدائها.

ومن المعروف أن فقهاءنا القدامى، وعلى رأسهم الإمام ابن تيمية، كانوا يوضحون دوماً اهتمام الإسلام بالتكافل الاجتماعي... والتكافل المعيشي خاصة، أو الضمان الاجتماعي... ممثلاً في مؤسسة الزكاة.

ومن المعروف إسلامياً أن ترك أحد أفراد المجتمع فريسة للضياع أو الحرمان هو عدوان على حق الله تعالى. . . حتى إن الإمام ابن حزم يقرر أن من حق المحروم أن يقاتل من يمنعه حقه فإن قتل المحروم مات شهيداً ووجبت ديته وإن قتل الممتنع مات ملعوناً ولا دية على قاتله!

هذا، وقد اعتبر الإسلام، أداء حق الزكاة بمثابة الركن الثاني في العقيدة بعد الصلاة، وتعتبر حرب أبي بكر لمانعي الزكاة أول حرب في التاريخ تخوضها دولة في سبيل مبدأ الضمان الاجتماعي!

الزكاة فريضة مستقلة.. مخصصة لأهداف الضمان الاجتماعي:

ومؤسسة الزكاة أو مؤسسة الضمان الاجتماعي في الإسلام تقوم بتحصيل ضريبة مستقلة هي فريضة الزكاة ـ بخلاف الضرائب الأخرى التي تحصلها الدولة لمواجهة التزامات أخرى كضريبة العشور، وهي ضريبة جمركية.

والزكاة ضريبة تصاعدية وبطريقة طردية تتزايد مع تزايد الحق الأزلي وأثره في المنتوج كمحل الضريبة. . . أو بطريقة عكسية يتناقص فيها مقدار الزكاة كلما تزايد العمل وأثره في المنتوج محل الضريبة!

فالأرض التي تنتج دون جهد من سقي أو غيره فيها العشر أو (10٪)، من منتوجها، والأرض التي تسقى فيها نصف العشر أو (5٪). وعروض التجارة التي هي ناتج جهد نصابها والقدر الواجب إخراجه هو نصاب الذهب والفضة ـ أو العملة التي هي دخل العمل ـ ونفس القدر الواجب أي ربع العشر أو (2,5٪).

والنعم، وهي الإبل والبقر والغنم، والتي ترعى في كلأ مباح وتكون للتنمية، يجب إخراج زكاتها وفق النصب التي تجب فيها زكاة النعم والمقادير الواجبة.

هذا، **والعمارات السكنية (متى سمح بها لتكون من الأموال النامية!)**

فتجب الزكاة في صافي ريعها بنسبة العشر (10٪)، أما إذا لم يسمح بها وسيلة نماء للأموال فإنه لا زكاة عليها. . . .

وكذلك الأسهم التجارية والصناعية متى سمح بها لتكون من وسائل نماء الأموال فتجب فيها الزكاة على تفصيل ينظر فيه إلى مدى تطلبها عملاً من صاحبها من عدمه. . .

والزكاة هي الحد الأدنى. . . و«إن في المال حقاً سوى الزكاة»!

والزكاة توزع في أهداف الضمان الاجتماعي، وأسباب استحقاقها هي:

الفقر أو عدم توفر الحد اللائق بالمعيشة، وهي حد الكفاية (لا حد الكفاف).

المسكنة وهي العجز عن العمل حتى أن المجتمع إن لم يرع هؤلاء فكأنه يتركهم «ويدهم في التراب». . . . وهذا معنى شعبي من قوله تعالى ﴿أَوۡ مِسۡكِينٗا ذَا مَتۡرَبَةٖ﴾!

الغارمون وهم الذين استغرقتهم الديون لسد حاجاتهم الضرورية أو لتحملهم نفقات مالية لبعض المصالح العامة أو كساد تجارتهم أو مصانعهم لسبب خارج عن إرادتهم. . .

ثم في سبيل الله وفي الرقاب ولابن السبيل والمؤلفة قلوبهم. . . .

ثم ما لا يزيد عن 1/ 8 (أو 12,5٪) للإدارة القائمة على التحصيل والتوزيع إلخ. . . .

دور مؤسسة الزكاة في العهد الإسلامي الأول:

ولعل أهم دور أسند إلى مؤسسة الزكاة في العهد الإسلامي الأول هو ضمان حد لائق لمعيشة كل فرد، وهو ما يسميه رجال الفقه الإسلامي بحد الكفاية. . . وهو غير حد الكفاف وهذا ما جعل بعض الفقهاء يعبر عنه بـ مصطلح «حد الغنى».

ولم يقف دور مؤسسة الزكاة على مجرد سد حاجة الفقير والعاجز من أنها أعطت فرصة العمل للفقير القادر على العمل... بأن وفرت له رأس المال ليبدأ تجارة ينميها أو يشتري آلات لصناعة يحذقها إلخ... وقد عالجت مواقف الغارمين بما يعيدهم إلى سالف نشاطهم.

وكذلك لعبت مؤسسة الزكاة في العهد الإسلامي أول دورها في تخفيف الأعباء العائلية... على ما ذكرنا مما قرره عمر بن الخطاب بإعطاء كل مولود مائة درهم تزيد كلما نما الولد.

ملحق

الزكاة باعتبارها ضريبة على النقود

والنقود المزكاة.

دراسة تستكمل ـ مع الصفحات السابقة

عن التكافل والضمان والزكاة ـ المفاهيم العظيمة المتضمنة في ركن الزكاة.....؟!

سوء فهم وظيفة النقود وسوء استعمالها أديا إلى سعر الفائدة والانكماش والتضخم والأزمات؟

. . . لو أحسنا الفهم لوجدنا المدخرين لا يستحقون فائدة، ولضربنا على نقودهم ضريبة!!

الضرورة هي التي ألجأت الناس إلى اختراع وسيلة لتداول ما ينتجون ولتقويم ما يقدمون من سلع وخدمات، وذلك أن تبادل أعيان الطيبات ـ المقايضة ـ فيه مشقة بالغة ولا يحقق العدل في التقويم! . . .

وبالنظر إلى أن الاجتماع الإنساني بقدر ما يتطلب التضامن الاجتماعي فإنه يتطلب تقسيم العمل والتخصص ـ وبالتالي فإنه يقتضي التبادل كما يقتضي الإنتاج، والإنتاج نفسه يتقدم بالتخصص.

وبالنظر إلى أن النقود تحقق وسيلة للتداول ومقياساً يقوم به فقد كانت حاجة الناس إليها أيضاً مدعاة للاهتمام بها؟!

وهكذا وصل اهتمام الناس إلى حكامهم فاهتموا لتنظيم أمر النقود وأجبروا الناس على قبولها دون غيرها ـ وهذه سلطة مستمدة من إرادة المجموعة ومصلحتهم.

ولكن النقود كأي أمر يقرره المجتمع كوظيفة ـ لم تلبث أن تعرضت إلى سوء فهم وإساءة استعمال! . . .

ولكي نوضح سوء فهم وظيفة النقود وإساءة الاستعمال علينا أن نتوقف لنرى: ما هي عملية التبادل؟ . . . . وما هو موقعها من المجتمع الإنساني؟

ثم نحدد بدقة وظيفة النقود. . . لنميز الخبيث من الطيب أو السيء من الحسن في فهم وظائف النقود واستعمالها. . . .

عملية التبادل:

إن عملية المبادلة لا تتم إلا إذا اتصلت حلقاتها ـ وأبسطها تكون من حلقتين:

أ ـ بيع الطيبات نظير نقود معلومة يحدد مقدارها سعر البيع.

ب ـ شراء طيبات أخرى نظير هذه النقود.

أما إذا تم البيع ولم يتم شراء، فإن المبادلة لم تتم كاملة، بل تم نصفها أو بعضها. . . وقد يقال وما أهمية هذا؟ . . . وما وجه الضرر فيه؟

وللإجابة، علينا أن نذكر أن النقود وسيلة التبادل، ولتبسيط الصورة علينا أن نتصور أن من باع ـ في أ ـ وتقاضى نظير بيعه النقود أمسك بالنقود المتداولة، وبالتالي فإن من كان ينتظر الشراء ـ في ب ـ لم يستطع أن يبيع ما لديه. . . وبالتالي فإنه لم يستطع أن يحصل على نقود ليشتري! . . .

ولتوضيح الصورة أكثر. . . ليكن لنا هذا المثل التقليدي البسيط.

لنفترض مجتمعنا مكوناً من صياد وخباز، وقد تقاسما العمل يصيد الصياد ما يكفيه ويكفي الخباز. . . ويخبز الخباز ما يكفيه ويكفي الصياد.

ولنفرض أنهما تعارفا على وحدة نقد، فيأتي الصياد ما اصطاده إلى الخباز ويقتضي قطعة النقد، ثم يدفعها للخباز ثانية فيبيعه هذا الأخير خبزاً يلزم الصياد وأهله. . . وهكذا. . .

ولكن . . . . . .

لنفترض أن الخباز ارتأى أن يحتفظ بوحدة النقد ـ فماذا يكون تطور الأمور؟

. . . . . إن الخباز لن يشتري من الصياد إنتاجه، ويتراكم إنتاج الصياد لديه. . . . وتهتز الأسعار ويدخل الوسطاء ومهرجو الدعاية. . . إلخ ـ ويهتز الإنتاج. ويهتز الصياد! . . .

أما الخباز فإنه قد يقتنص الفرصة ـ إن كان اهتزاز الصياد أسرع ـ ويملي شروطه الاستغلالية! . . . كما أن هناك احتمالاً بأن يهتز هو أيضاً، إذ إن الصياد لا يجد ما يشتري به الخبز. . . إلخ. . . .

وواقع التاريخ يقول أنه لا الصياد ولا الخباز هو الذي قام بذلك. . بل هو شخص ثالث هو الذي أمسك بالنقود، فكان أول الأمر يشتري صيد الصياد بالنقد ويسارع إلى بيعه للخباز بسعر أغلى قليلاً، ثم يشتري خبز الخباز ليبيعه بسعر أغلى إلى الصياد. . . .

ولكن هذا الوسيط لم يكفه قليل الجزاء مقابل جهده ـ جهد المقل ـ فاحتكر النقد في يده. . . مدعياً أنه يفضل اختزان النقد ـ وأن النقد ليس وسيلة تبادل فقط! . . بل إنه زعم أنه مخزن للقيمة! . . . .

بل زعم أنه نادر. . . وله تكلفة. . . إلى آخر الترهات؟

الأصل في الإنسان أنه منتج وبائع:

وقبل أن نتابع ترهات هؤلاء وأباطيلهم نرى أن نلفت النظر إلى أن الأصل في الإنسان أنه منتج، وكلٌّ ميسر لما خلق له. . . وهو بعد ذلك يدخل ليبيع ما يزيد عن كفايته إلى الغير ويقبض الثمن ليشتري ما زاد عن كفاية غيره من طيبات أخرى يحتاجها هو.

أما الطفيليون ـ ونحن هنا لا نقصد الأطفال والشيوخ والعجزة. . .

فهؤلاء إما أنهم سيكونون متتجين وإما أنهم أنتجوا وإما بحكم حقهم فيما جعلنا الله مستخلفين فيه وبحكم الأخوة والرحمة ـ الذين لا ينتجون فإننا إن قبلنا وجودهم لأداء خدمات أعطيناهم جزاء خدماتهم فيها، أما أنهم يصيرون المتحكمين في حياتنا. . . فأمر عجب، وأعجب من العجب. . . !

ولعل في هذا ما يلفتنا إلى تعبير القرآن الكريم ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ. . . . .﴾.

. . . . ولعل في هذا ما يلفتنا إلى قول رسول الله ﷺ حين سئل عن الكسب الطيب ـ «**عمل المرء بيده، وكل بيع مبرور**» (**وليس كل بيع**)؟!

والمتتبع لأحاديث رسول الله ﷺ يلاحظ نهيه عن أنواع متعددة من أكل الأموال بالباطل؟!

وعليه:

فإن التبادل خدمة ينبغي أن يؤديها من يؤديها باعتبارها وظيفة يريد منها المجتمع أن يستتبع كل بيع شراء، وعلى أن يكون البيع والشراء بعدل دون غبن أو أكل للأموال بالباطل. . . . إلخ.

وكل بيع لطيبة غير مستتبع بشراء لطيبة فهو تعامل في صفقة لم تستكمل، وإمساك لمال بغير حق.

سئل برود هون. ما سبب قلة الطيبات؟

فأجاب ـ السبب هو أن النقود حارس واقف بباب الأسواق، وقد أعطى أمراً بمنع أي شخص من الدخول، إنكم تظنون أن النقود مفتاح يفتح أبواب الأسواق (وهو يعني بذلك تبادل الطيبات) وأنتم في ذلك واهمون.

وهو وصف بارع للنقود في النظام الرأسمالي! . . .

لتميز الخبيث من الطيب في النقود:

ولعل أخبث ما في النقود أنه حين نخرج بها عن وظيفتها الحقيقية كواسطة تبادل ومقياس لتقويم السلع والخدمات فإنها تؤدي إلى الربا ـ والربا

يخلق أولئك المجرمين من المترفين الذين يبدأون بشرك خفي فكفر وإيمان بالطاغوت... بل هم الطواغيت أنفسهم!.....

ومن هنا أرى أن أبدأ بتلك الرؤية الرمزية التي وردت ضمن مرائيه عليه الصلاة والسلام وهو يحدثنا عمّا رأى في الإسراء والمعراج.

فقد رأى عليه الصلاة والسلام قوماً يسبحون في بحر من دم وهم يلقمون الحجارة، فسأل رسول الله ﷺ أخاه جبريل فأجابه: هؤلاء أكلة الربا!

«والصورة الرمزية في أنهم يسبحون في بركة من الدم، والدم يفيد وينفع حين يكون سارياً في شرايينك وأوردتك، ولكنه حين يخرج ويصير شيئاً ثقيلاً يتعب من يسبح فيه فلم يعد له فائدة، فالذي يسبح في بركة من الدم، ومع ذلك يلقم الحجارة، فكأنه تنقل الأوضاع. المفروض أن الدم ينفع في جوفه لا أن يسبح فيه، ومع ذلك يلقم الحجارة.

فالله ضرب ذلك المثل حتى يبين للناس أنهم بعملهم هذا لن يستفيدوا منه شيئاً، وأنهم سيكدسون دماء لا لتجري في عروقهم، ولكن ليسبحوا فيها.

فانظروا من يسبح في دم، ما فائدته؟.... ومع ذلك في غذائه الحقيقي يلقم الحجارة....».

وللإمام الغزالي رضي الله عنه بحث ممتع في كتاب الشكر من «الإحياء» قال فيه «إن المال ليس مقصوداً لذاته، وأن الدراهم والدنانير في نفسيهما ليسا إلا حجرين كسائر الأحجار، وإنما خلقهما الله ليكونا وسيلة للتعامل بين الناس وقضاء المصالح، ويتخذا ميزاناً لتقدير قيم الأشياء التي يحتاج إليها الناس في معاشهم فقد يكون عندك ثياب أو إبل أو نحو ذلك وأنت محتاج إلى دقيق، وليس صاحب الدقيق محتاجاً إلى شيء من ثيابك أو إبلك حتى تبيعه بعضهما ببعض ما لديه من الدقيق، وإنما هو محتاج إلى جديد أو آخر مثلاً، فاحتيج إلى النقد ليتوسط الناس، **فيكون أداة التبادل، والحكم العدل فيه، فمن خرج به عن هذا الوضع الذي وضع الله له فقد كفر بنعمة الله فيه فإذا كنزت المال فكأنك حبست الحاكم ومنعته أن يتصرف ويقوم بما عليه....»**.

ثم يقول منبهاً إلى أن الاكتناز الذي هو خروج النقود عن وظيفتها كأداة تبادل وحكم عدل يؤدي إلى مضاعفات خطيرة (والخروج بها (أي النقدين) إلى أن يكونا مقصودين بالتعامل ولاستغلال المال بالمال مما لا يقره الشرع ولا يرضاه الله لعباده لأنه يؤدي إلى انحياز المال للأغنياء وتكدسه في خزائنهم وصناديقهم، ووقوف حركة الأعمال والتثمير بين الناس، وانهيار قيمتها (أي انهيار قيمة الأعمال والتثمير) وشيوع البطالة والكساد في الأمة».

وإني أقول ما أحرى رجال الغرب أن يقرأوا، بل وما أحرى شبابنا وأدعياء العلم عندنا أن يقرأوا! . . .

ويوضح الإمام الرازي خطورة أن يتمكن صاحب الدراهم تحصيل الدراهم الزائدة فيقول: «إنما حرم الربا من حيث أنه يمنع الناس عن الاشتغال بالمكاسب (أي الإنتاج)، وذلك لأن صاحب الدرهم إذا تمكن بواسطة الربا من تحصيل الدرهم الزائد، نقداً كان أو نسيئة، خف عليه اكتساب المعيشة، فلا يكاد يتحمل مشقة الكسب والتجارة والصناعات الشاقة، وذلك يفضي إلى انقطاع منافع الخلق، ومن المعلوم أن مصالح العالم لا تنتظم إلا بالتجارات والخزف والصناعات والعمارات. . .».

الخبث في النقود:

إن الطفيليين الجشعين الذين لم يكتفوا بأنهم طفيليون استغلاليون إنما أرادوا عن طريق إخراج النقود عن وظيفتها. . وبادعائهم أنها مخزن للقيمة أن يكتنزوا ويجمعوا بركة من الدماء خارج الشرايين والأوردة!

ثم لا يكتفون بذلك، بل ويفرضون ضريبة (سيجزون بإلقامهم بدلاً منها بالحجارة) على المنتجين، ذلك أن تركز مقادير كبيرة من النقود أدى إلى انحياز المال عندهم وضرورة الاقتراض منهم، وهم لا يقرضون إلا بضريبة أو فائدة. . وما منها من فائدة ـ فالربا لا يربو عند الله ـ نظير النقود التي يعطونها ثم يستردونها وقد زاد بمقدار هذه الضريبة أو الجزية التي يعطيها المقترضون عن يد

وهم صاغرون ـ ولكن يا ويل المرابين من ذلتهم يوم يظهر الحق وتنكشف أباطيلهم؟

وليس معنى هذا أننا نحرم امتلاك النقد، ولكننا نحرم اكتنازه وتعطيله كما نحرم فرض ضريبة أو جزية يسمونها فائدة ـ وما فيها من فائدة.

إننا نرفض أن يتحكموا في رقاب العباد عن طريق التحكم في النقد وهو ـ الحاكم بين أناس في تبادلهم! . . .

مزيد من خبث في النقود:

إن أباطيلهم التي سوَّلت لهم أن يكنزوا النقود ويتحكموا في رقاب العباد ويفرضوا جزيتهم!

إن أباطيلهم هذه سوَّلت لهم أن يصوروا للناس أن هناك عرضاً للنقود خاصة ـ وكأن عرض النقود شيئاً آخر غير مجموع السلع المنتجة التي يريد أصحابها أن يبيعوها في أقرب وقت ـ وإن هذا العرض قد يقلُّ وقد يزيد وفقاً لأهواء الطفيليين المجرمين المتحكمين في رقاب عباد الله المنتجين. . .

. . . . ومن هنا تحدثوا عن مسؤوليات المصرف في الحفاظ على عرض النقود بخلقها. . وأغرب ما في هذه القصة المبكية المضحكة أنهم أوصلونا إلى أن نعتبر أن النقود وهي مقياس وميزان إلا أنها مقياس وميزان ينقص ويزيد! . . . . . ألم يعجبوا ـ وألم تعجبوا ـ من مقياس ليس له قياس محدد؟! . . . . . تصوروا متراً تقاس به الأطوال وقد صار خمسة وتسعين أو تسعين سنتمتراً ثم تذبذب فصار مائة وخمسة سنتيمترات أو مائة وعشرة. . !

وهكذا أوصلهم خبثهم؟

ولعلكم بدأتم تدركون أين أوصلهم هذا الخبث بإيجاد المكتنزين والمتحكمين في رقاب عباد الله والمرابين، ثم هذه العلة المزمنة المتوطنة في أعماق الاقتصاد الحديث. . والتي تسمى حيناً تضخماً نقدياً وحيناً آخر انكماشاً نقدياً!

ولقد أوجد هذا التذبذب نفسه فئة ضالة مضلة هي من المرابين أيضاً وهي فئة المضاربين أو السماسرة!

لماذا تمسك الأزمات الاقتصادية بخناقهم؟

إن إمساك النقود من قبل المكتنزين ـ وهو ما يسمونه ويفلسفونه بتقليل عرض النقود ـ يؤدي إلى بقاء بعض السلع دون طلب ـ بعدم وجود النقود لإمساكها من قبل المكتنزين، والطلب على السلع المعروضة ـ وهذا يؤدي إلى انخفاض أسعارها، وهذا الانخفاض يؤدي بطبيعة الحال إلى قلة عرض النقود، ذلك لأن انخفاض الأسعار يزيد من مخاطر المقرض لعسر المدينين.

. . . . وهو لا يعرف ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ ولا ﴿وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ﴾!

ويزداد الاختناق حين يمسك الطالبون عن طلب السلع انتظاراً لمزيد انخفاض. . وهكذا!

وبدل أن يضربوا على يد هؤلاء المكتنزين، ساعدوا الكنز! وقدموا علاجاً بضخ مقادير من النقود في التداول؟! فالدولة تقترض وتنفق في السوق. . . فإذا استمر الإصدار لفترة طويلة فإنه ـ بالإضافة إلى تحميل الحكومة عبء مقادير كبيرة من سندات على الخزانة لا تستطيع أن تتخلص منها بالبيع إلا بثمن باهظ يجعلها المرابون تدفعه! ويؤدي إلى ما يسمونه بالتضخم!

وكل هذا يؤدي إلى التذبذب والكسب غير المشروع عن طريق المضاربة والسمسرة والربا!

«إن تفسير الأزمات فيما نرى هو أن معنى النقود التي نتداولها مخالف لطبيعتها إذ سبق أن قررنا أن الوظيفة الأصلية للنقود هي أنها وسيلة لتبادل الطيبات، فإذا احتجزها محتجز فإن ذلك معناه عدم تمام تبادل المنتجات، أي بيع دون شراء، فإذا امتنع من باع وحصل على نقود وامتنع على إنفاق ما اقتضى من ثمن في شراء، فإن ذلك سيؤدي إلى انخفاض الأسعار لقلة الطلب النسبية

ولاضطرار المنتجين إلى البيع وإلا هلكت عليهم سلعهم ـ أو على الأقل تناقصت قيمتها ـ ثم أن كل انخفاض في الأسعار لا بد أن يتبعه بالضرورة إمساك جديد وسحب لجزء من النقود من التداول وتباطؤ في سرعة المتداول منها. هذا كله مع استمرار الإنتاج أو مع عدم تناقص المنتجات بنفس نسبة تناقص كمية النقود المعروضة مما يؤدي إلى زيادة العرض كثيراً عن الطلب الآتي، وواضح أن الطلب هنا يقل بقلة عرض النقود، فينخفض سعر الفائدة وتتكدس الأموال من جديد في المصارف والجيوب وهكذا دواليك». . .

وهذا الذي يقوله أحد رجال الاقتصاد والمال والمصارف لا يبعد كثيراً عمّا سبق أن أوردناه وقاله حجة الإسلام أبو حامد الغزالي.

وما هو جدير بالملاحظة ـ المستقاة من التاريخ الإحصائي ـ أن كل انكماش في الاقتصاد أثناء الأزمات تصحبه قلة في الائتمان ـ خلافاً لما هو مدعى ـ أي أنه حين يكون المنتج في أشد الحاجة إلى ائتمان (أي قرض أجل) تقفل أمامه أبواب الاقتراض كما قفلت من قبل أبواب البيع!

وعالمنا اليوم يشهد هذه الأزمات الخانقة وانخفاض القوى الشرائية للنقود وأزمات الدولار والاسترليني قائمة ـ دع عنك تعطل الأعمال وشيوع البطالة والكساد في الأمة. . . . . تماماً كما قال حجة الإسلام الغزالي.

تنقية النقود من الخبث... أو النقود الطيبة (النقود المزكاة):

وإذا أرادت الإنسانية أن تتخلص من آفاتها الاقتصادية فليس أمامها إلا أن تنصاع إلى قانون الفطرة الطبيعي والذي أقام عليه القرآن ديناً فيما يقترب العلماء الحقيقيون ـ المخلصون منه كل يوم.

فها هو (جيزيل) في كتابه النظام الاقتصادي الطبيعي يوضح دور النقود ـ بمعناها الراهن في الاقتصاد المعاصر فيقول:

(أ) و(ب) شخصان يفصل بينهما عاملا الزمن والمسافة ويريدان أن يتبادلا دقيقاً بحديد، وهما يريدان النقود من أجل تحقيق هذه الغاية، والنقود في حوزة

ثالث (جـ). إن (جـ) يستطيع أن يحقق التبادل المنشود في الحال، كما يستطيع أن يؤخره أو يعرقله أو يمنعه أصلاً، ذلك أن نقوده (بعد الخروج بها عن وظيفتها) تعطيه حرية اختيار الوقت الذي تتم فيه عملية المبادلة، ومن الواضح أن (جـ) سيطلب ثمناً لهذه القوة (ولاحظ أصلاً أن هذه القوة للنقود كان المقصود أن تكون لخدمة المجتمع، وما (جـ) إلا موظف نيابة عن المجتمع، ولكنه أساء الفهم والاستعمال. وأنه لا مَعْدَى لكل من (أ) و(ب) من دفع جزية على القمح والحديد، إذ لو رفضا دفعها لانسحبت النقود من السوق، ولاضطر كل منهما إلى الانسحاب تبعاً لذلك دون إتمام البيع. . . متحملين خسارة فادحة من جراء ذلك، خسارة بوصفهما منتجين وأخرى بوصفهما مستهلكين، فكمنتجين لا بد من تناقص سلعتيهما، وكمستهلكين لأنهما لم يحصلا على ما أرادا من السوق. ولو كان (ج) يملك مثلاً منتجات أخرى غير ذهبه من شاي أو ملح أو غنم (أو نقد غير خارج عن وظيفته ـ وهو ما سنطلق عليه النقود المزكاة) لحرمته خصائص هذه السلع الوسيطة في التبادل من قوة إيقاف الطلب، ولامتنع عليه فرض ضريبة على سائر المنتجات؟.

وتظل هذه الصورة الرائعة في بساطتها قائمة إذا كانت واسطة التبادل نقداً ورقياً ـ بدلاً من ذهب لأن إمكانية احتجاز المال واكتنازه تظل قائمة في الحالتين كما تبقى تلك القوة المدمرة المخيفة بيد حائز النقود، (طالما نتركه) إن شاء أعطى وإن شاء منع. . . . .

والغريب أن هذا الرجل الممسك بالنقود والخارج بها عن وظيفتها والمتحكم في رقاب عباد الله المنتجين يفرض ضريبته ويأخذها غصباً ـ وبدون مقابل وإلا فإن النقود تقابلها سلع، وهو لا يأخذ سلعاً، إنما يأخذ نقوداً. . . ونقوداً زيادة!

. . . . وإذا كانت الزيادة مقابل مزية في النقود فإن المجتمع هو الذي يستحقها لا هذا الطفيلي المستغل.

فكيف يمكننا أن نمنع هذا الطفيلي المستغل من التحكم وإمساك النقد والاكتناز؟

وكيف نمنعه أن يفرض ضريبة على الناس؟

وكيف نعيد النقود وسيلة تبادل ومقياساً ثابتاً وعادلاً؟

وكيف تكون النقود في خدمة الإنسان ـ المجتمع الإنسان.

وليست سيده أو مدعاة لشرك خفي؟

* * *

النقـود المـزكــاة

ملاحظات نستأنس بها لفكرتنا عن النقود المزكاة:

ولا نريد هنا أن نؤسس فكرتنا هذه في النقود المزكاة على تأسيسها الإسلامي، فنحن نقدمها حلاً لإشكالات قائمة وإجابة على أسئلة، إلا أنه لا بأس أن نقف قليلاً عند أحكام الزكاة في الإسلام. . .

فعساها ترشد إلى حل:

ورغم أن كل أحكام الإسلام تتفرع من واسطة العقد فيه أو أساس فلسفته ألا وهو أن لا إله إلا الله، وهو خالق كل شيء ومالك كل شيء فهو الذي سوَّى وأعد وقدَّر القوانين وهدى الإنسان إلى ذلك ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾، و﴿ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾، «والذي كرم الإنسان وحمله في البر والبحر» ﴿وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ وسخر لنا كل هذه الموارد وذللها لنا وأمدنا من عطائه ونعمه التي لا تحصى. . إلخ.

فالله هو المالك والإنسان مستخلف بعموم جنسه وما المالك من بني آدم إلا قائم بوظيفة وكيلاً عن المستخلفين!

ورغم أن هذا هو الأساس ونحن لا نستطيع التوسع فيه إلا أنني أرى أنه يمكننا أن نقف عند الزكاة. . . مكتفين بالإشارة إلى دورها في تطهير النفوس

من الشرك الخفي الذي يتمثل في أن يأله أحدنا ـ أو يصاب بوله ـ بالمال فيعبده مع الله أو من دون الله!

. . . . . ولن أركز على الزكاة باعتبارها إخضاعاً للأملاك لسنة الكون، فكل شيء متناقص وهالك إلا وجهه عزّ وجلّ. . . ، ثم إنها مانعة للأملاك أن تتعطل. . . دافعة لها لأن تتحرك سابحة ومسبحة ككل شيء في الكون!

إنما سأركز على أحكام الزكاة والفلسفة من ورائها. . . سواء أكانت زكاة على أموال نافعة ينالها الناس من غير تعب. . . أو كانت على هوامش الأموال النامية ـ منتهياً إلى التركيز أكثر على الزكاة على النقود. . . .

والزكاة تؤخذ من الأموال التي ينالها الناس من غير تعب، والتي يصادفها الإنسان جاهزة وتكون الخمس (ودون أن يحول عليها الحول).

وهي تؤخذ من هوامش الأموال النامية، وأمثلتها التقليدية ثلاثة، الماشية المتناسلة السائمة (ويؤخذ عنها من كل صرمة من الإبل ناقة، ومن كل قطيع من البقر بقرة، ومن كل ثلة من الغنم شاة)، والزروع والثمار فيها نصف ما في الركاز أي نصف الخمس وهو العشر ـ ولكنه العشر فيما يباشر الإنسان فيها الحرث والبذر دون السقي، أما إن تولى العبد الري بالكلفة والعمل ففيها نصف العشر أي 5٪.

وهي ربع العشر ـ أي 2,5٪ ـ فيما كان النماء فيه موقوفاً على عمل متصل من رب المال بالضرب في الأرض تارة، وبالإدارة تارة إلخ. . . . .

ولا يخفى هذا التدرج في النسبة (20٪ ـ 10٪ ـ 5٪ ـ 2,5٪) مع التدرج في الكلفة، فكلما قلت الكلفة عظمت مقادير الزكاة المفروضة!

كما لا يخفى أن تحديد الحد الأدنى بـ 2,5٪ إنما هو تحديد للحد الأدنى لنماء المال.

ومما يلفت النظر هنا أن زكاة النقدين لا تجد لها تفسيراً في موضوع الأحكام والفلسفة السابقة، إذ إنها حكماً لو نظر لها على أساس أنها معدن

لكانت كالركاز مما يقتضي أن يؤخذ منها الخمس! . . . كما أنها ليست من الأموال النامية التي يؤخذ من هوامشها ـ فما هي الحكمة إذن؟!

ملاحظة أخرى عن الزكاة في عمومها ـ قبل أن نقف عند النقود المزكاة مطولاً ـ هي أنها تؤخذ بعد بلوغها نصاباً معيناً. . .

والنصاب في رأينا إنما يتحدد بعدما يكفي لتوفير حد الكفاية ـ وهو غير حد الكفاف!

وقد ذكر صاحب (حجة الله البالغة) شيخ الإسلام أحمد بن عبد الرحمن الدهلوي ـ حكمة المقادير التي جعلت نصاباً فقال «إنما قدر من الحب أو التمر خمسة أوسق لأنها تكفي أقل أهل بيت لسنة. . . » إلى أن قال «وإنما قدر من الورق خمسة أواق يعني مائتي درهم ـ لأنها مقدار يكفي أقل أهل بيت سنة كاملة، **إذا كانت الأسعار موافقة على أكثر الأقطار!»**

فتأمل. . . . . !

وملاحظة أخرى، ثم نقف عند النقود المزكاة، هي هي **أن حولان الحول غير مطلوب** في الركاز مثلاً، كما **أن الأصل في الحب والتمر أنه تدفع زكاته يوم حصاده؟!**

فحولان الحول عندنا إنما قدر على أساس أن حصاد الزروع وجني الثمرات إنما كان يتم كل سنة.

فتأمل هنا أيضاً. . . . . !

بقي أن نعرف أن الزكاة لم تحدد في القرآن الكريم كما هو الشأن في الميراث الذي ذكر مدققاً وفي شكل حسابي ملفت للنظر!

. . . . كما أنه من المقرر أن في المال حقاً غير الزكاة.

فتأمل. . . مزيد تأمل!

فريضة الزكاة لا تسمح بالاختزان وتمنع الاكتناز.. وتحرِّم الربا!

ونستأنس من ملاحظاتنا السابقة على فكرتنا في إيجاد نقود مزكاة تكون لا

تحتمل الاختزان ولا تطلب فائدة وتعيد النقود وسيلة تبادل ومقياساً ثابتاً عدلاً بين الناس.

فنحن نرى أن الزكاة على النقود إنما تجد حكمتها في قوله تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ. . .﴾.

فمحاربة الكنز على الإنفاق إنما هما المطلوبان من الزكاة على النقود، والإنفاق الذي هو أساس فلسفة الإسلام (خلافاً لفلسفة الاستغلاليين الذين يبدأون بالادخار فالاحتكار فالاكتناز أو فرض الفائدة إلخ!) يستدعي أن نقف عنده قليلاً.

ونجد أطول حديث جامع في القرآن كله عن الإنفاق في سبيل الله وما أكثر المواضع التي ورد فيها الحديث في القرآن على الإنفاق في سبيل الله، إلا أننا نقول أن أطول حديث جامع في القرآن عن الإنفاق ـ في سورة البقرة، فقد رغَّبت فيه وأوضحت آدابه ـ بتوضيح واجب المنفق ـ فهو إنفاق ـ يتوجه به صاحبه إلى الله، ويترفع فيه عن المن والأذى، وهو إنفاق من الطيبات إلخ.

والإنفاق أتى تالياً مباشرة للحديث عن الإيمان بالغيب (وعدم الانحصار في الواقع المشهود المباشر. . واقع الأنا المحاصر في مكان ولحظة!) وإقام الصلاة (أي قيام الصلة والانسجام مع التسبيح الكوني والسجود لله رب العالمين). . . .

ومما يلفت النظر للربط القرآني بين الصلاة والزكاة والإنفاق بوجه عام ما يدل على الارتباط بين قيام صلة الإنسان وانسجامه مع التسبيح الكوني والسجود لله رب العالمين، وبين عدم عبادته للمال أو إشراكه في العبادة! . . . . وما أن يتخلص الإنسان من عبادة المال أو الشرك الخفي إلا ويسارع إلى الإنفاق. . . . .

ونقف عند قوله تعالى ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلۡعَفۡوَۗ﴾ قال الجوهري: عفو المال ـ ما يفضل عن النفقة».

وقال السجستاني: «تعطون عفو أموالكم، فتصدقوا مما فضل من أقواتكم وأقوات عيالكم».

ولعل حديث رسول الله ﷺ الذي يقول فيه «من كان عنده فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له، ومن كان عنده فضل زاد فليعد به على من لا زاد له».

قال أبو سعيد (راوي الحديث) «فذكر رسول الله ﷺ من أصناف المال ما ذكر . . . حتى رأينا أنه لا حق لأحد منا في الفضل»!

أقول لعل هذا الحديث يفسر المراد بهذه الآية:

وقد يقال أن ما أوردته من حديث عن الإنفاق إنما كان ـ وكما قلت ـ قد جاء مطولاً في سورة البقرة وهي أول ما أنزل في المدينة، وقد تكون ظروف المهاجرين والأنصار آنئذ تقتضي هذا!

ولكنني أريد أن أذكر أن آيات الربا في سورة البقرة هي من آخر ما أنزل من القرآن، وهي مليئة، بل مؤسسة ومنطلقة ومتطلبة ومنتهية إلى أوضح المطالبة بالإنفاق ﴿وَأَن تَصَدَّقُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾.

ثم ألم تكن سورة التوبة من آخر ما أنزل، بل ولم ينزل بعدها من السور سوى سورة النصر في حجة الوداع، وقد جاء في قوله تعالى ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ . . . !

ويقول صاحب تفسير المنار (**وفي الروايات المأثورة ما يدل على أن الصحابة رضي الله عنهم فهموا من الآية وجوب إنفاق جميع ما يملك الإنسان من نقد الذهب والفضة**. . . .).

إذن، هذا هو ما فهمه الصحابة إلى آخر سورة أنزلت من القرآن.

والآن. . . . .

فإذا كانت محاربة الكنز والحث على الإنفاق أمرين مطلوبين. .

وإذا كان حد الإنفاق هو العفو! . . أي ما يزيد عن كفاية الإنسان وأهله.

ووصل به الصحابة إلى وجوب إنفاق جميع ما يملك الإنسان من نقد الذهب والفضة. . .

وإذا كان حولان الحول إنما قدر على أساس أن حصاد الزروع وجني الثمرات إنما كان كل سنة، على أنه الأصل في الحب والتمر إنما تدفع زكاته يوم حصاده، وفي الركاز لا يطلب حَوَلان الحول إلخ. . .

لكل ذلك

ولكون أيضاً أن في المال حقاً غير الزكاة.

فإنه يكون لنا أن نتصور أنه للحاكم أن يفرض ضريبة على النقود ـ ويتخذ كل ما من شأنه ـ **لكي يحول بينها وبين أن تخرج على وظيفتها الأصلية كأداة تبادل ومقياس قيم**، أي أنه للحاكم أن يتخذ كل ما من شأنه أن يمنعها أن تصير مخزناً وكنزاً ومدعاة لتقاضي فوائد ربوية ما أنزل الله بها من سلطان؟!

النقود المزكاة. . . تجارب وآراء؟!

ومشروع النقود المزكاة (الذي يجد أساسه عندنا في هذه النظرة إلى الزكاة على النقدين ومنع الاكتناز وتحريم الربا) له تجارب وحوله آراء لدى الأمم الأخرى أيضاً، فقد شهدت أوروبا في العهد القوطي، وفي عهد لم تكن الانحرافات قد اكتملت. . .

ولم يكن الوسطاء قد برزوا بالشكل الذي يمكن لهم من السيطرة على دورة الدم النقدي (وبالتالي لم يكونوا بعد قد تمكنوا من امتصاصه وإخراجه من الشرايين والأوردة ليكونوا بها بركة من دم يسبحون فيها) وفرض الربا وبالتالي السيطرة على الحكام. . إلخ. . . .

ـ وكان ذلك خلال الفترة فيما بين 1150 ـ 1450 حين سادت تجربة

سحب النقد الذهبي من التداول في فترات متقاربة، ويصدر الأمير نقداً جديداً كل مرة، وقد كان الأفراد يخشون فجأة التغيير فكانوا يفضلون الإنفاق والحصول على سلع وهكذا ظلت النقود أبداً في التداول وازدادت سرعة تداولها. . وبهذا شهدت تلك الفترة رخاء رغم مفاسد أخرى؟

وإلى شيء قريب من هذا ذهب برتراند رسل ونهرو وآخرون، وذلك بتصورهم أنه يحسن سحب النقد واستبداله ـ مع تأخير استبدال المبالغ الكبيرة التي يتقدم بها البعض من كبار الاستغلاليين والاستفادة من توظيفها من المصرف في الفترة التي تحتجز فيها.

(بل إن بريطانيا عقب الحرب العالمية الثانية نفذت شيئاً من هذا الجزء الأخير. . . لمواجهة ظروف ما بعد الحرب)!

تجربة عميد بلدية فرجل (Voergl):

من التجارب الجديرة بالوقوف عندها تجربة تمت في الربع الأول من هذا القرن، وبدأت حين تقدم عميد بلدية فرجل من النمسا (واسمه ميكائيل أوتنتر جنبرجر (Michael Untergugyenberger) بتقرير يتضمن خطة لينقذ بها المدينة مما حل بها من فقر وبطالة فقال في تقريره المقدم في يوليو 1922:

«إن البطء في تداول النقود قد أدى بالعالم إلى أزمة اقتصادية لم يسبق لها مثيل حتى أضحت الملايين من العمال في عسر شديد، وفشل النقد ـ وهو وسيط التبادل ـ المرة تلو الأخرى في أن يصل إلى أيدي المنتجين (سبحان الله المنتجون بلا نقود والطفيليون يمسكون بها ويمسكون ـ بخناق المنتجين!) وأخذ يتلكأ في أيدي قليلين من الكسالى. . . ولم يعد في المنال الحصول على السلع والخدمات. . . وهكذا انقلب وسيط المبادلات وسيطاً للاستغلال والمضاربات!

لقد غدت النقود محوراً لا غنى عنه في آلة التوزيع يتوقف على دورانه السليم استمرار الإنتاج، وكل تجمع حيثما كان ـ وخصوصاً في أيدي قليلة ـ

يتضمن اضطرابات في عمليتي التوزيع والإنتاج. . . ويعني تكدس السلع وبطالة العمال، بل أن مجرد الشعور بالقلق الذي يخلقه ممسكو النقود يؤدي بهم إلى زيادة الحرص على أموالهم فلا ينفقون في الاستثمارات ويزدادون تمسكاً بنقودهم (وهي هي نقودهم؟! . . . أم هم موظفون فيها؟!).

وحين تتقلص النقود من التداول الخاص بالاستثمارات يتقلص معها الإنتاج و(المجال المعيشي) للإنسان، فإذا ظلت النقود كما هي قابلة للاكتناز فسوف تدمر الرجاء والسلام في العالم (وقد حصل فعلاً، ولا زال حاصلاً!!) وسينسحب الدمار على القوميات والشعوب. فإن لم يكن في مقدورنا أن نخلص العالم من هذا الخطر المحدق فلا أقل من أن نرفع راية الإنذار ونقدم المبادرة.

إن الناس يعيشون من تبادل سلعهم وخدماتهم، وقد صار هذا التبادل كسيحاً من جراء بطء تداول النقود وأصبح ملايين الخلق من الراغبين في العمل وقد فقدوا كل فرصة لإشباع حاجاتهم المادية، وأصبح من المحتم اللازم أن نستعيد التبادل ونحميه حتى نسترجع حق العيش لكل أولئك الذين لفظوا من العمل والحياة».

ثم أنهى عميد بلدية (فرجل) تقريره الطويل بالاقتراح التالي فقال:

«من أجل ذلك أقترح أن نحل في مجتمعنا محل النقود الوطنية وسيطاً للتبادل يظل بحكم طبيعته مجبراً على البقاء أبداً وسيطاً للتبادل، فيسد العوز ويمنح العمل والخبز».

وقبل اقتراح العميد أصدرت (لجنة الإغاثة) أوراق النقد التي أطلق عليها (شهادات العمل) وأعطيت لها قوة النقود وقوة الإبراء، ودفعت بها الدولة المرتبات ـ وكانت هذه الشهادات معادلة لأوراق النقد الرسمية، ولكن لا يجوز استبدالها بورقة نقدية رسمية إلا بعد دفع اثنين في المائة (لو زادت بنصف في المائة لضبطت مع زكاة النقد؟! ولعل السبب أنهم كانوا في حاجة لفرض دفعه على شهادات العمل نفسها بواحد في المائة! «نظير» الإصدار).

«والغريب أن الاثنين في المائة كان مقرراً أن تذهب إلى الفقراء والمساكين والعجزة. . !!».

أما الصفة المميزة لأوراق العمل عن غيرها من الأوراق النقدية فهي ضرورة إلصاق طابع قيمته واحد في المائة من قيمة الورقة في موضع مخصص لذلك. . وعلى أن يتم إلصاقه في أول كل شهر!! . . . . وقد أدى هذا إلى محاولة التخلص من هذه النقود من قبل حامليها (خلافاً لحرص الناس وبخلهم) قبل حلول أول الشهر التالي ـ وقد انعكس هذا في صورة شراء أو دفع مستحق.

النقود المزكاة... نتائج وآثار!

ونتيجة استعمال النقود المزكاة تغيرت عادات الناس فلم يعودوا يؤجلون طلباتهم ويقترون على أنفسهم ـ على أنه ينبغي أن نحارب الإسراف والتبذير أيضاً! ـ كما أنهم لم يعودوا يؤجلون الدفع ويماطلون، بل أنهم ليفضلون الدفع العاجل على الدفع الآجل، وقد أخذ الفلاحون والعمال وكافة المنتجين ينفقون نقودهم بمجرد قبضها، كما أخذ التجار يسارعون لجلب طلبات الطالبين ويسددون للمنتجين العارضين. . . كما أنهم يسددون أجور مستخدميهم وكافة التزاماتهم ـ فإذا توافر لديهم فائض سارعوا إلى إيداعه في المصارف، والتي تسارع بدورها إلى إقراضها قرضاً استثمارياً. . . إلخ.

وآثار هذه النقود واضحة في زيادة الطلب، وانكشافه للعرض. . . مما له أكبر الأثر على ما سنوضح، كما أن من آثار هذه النقود توافر الإيداعات للمصارف. . . بما يعنيه من تسهيل عمليات الادخار الاستثماري مما يكوِّن رؤوس أموال إنتاجية، وكذلك امتصاص الفائض من النقد تلقائياً من أيدي المستهلكين ومنحه للمنتجين العاملين وبهذا لا يحدث تضخم نقدي، كما تجنبنا الاختناقات من قبل، وهكذا يحصل التوازن بين كمية العرض (مجموع السلع المنتجة) وكمية الطلب (مجموع النقود المتداولة). . . وعلى كل فسنقف عند عمل المصارف بعد أن نقف عند أثر النقود المزكاة على الطلب وكشفه للعَرْض وأثر ذلك على الإنتاج.

كل هذا كان من نتائج وآثار. . . بالإضافة إلى تغيير عادات الناس وتجنبهم التقتير والمماطلة والحرص على النقود وعبادتها. . . إلخ.

زيادة الطلب وانكشافه للعرض... وأثر ذلك على الإنتاج؟

وما أن تصدر النقود المزكاة في التداول حتى يقبل الناس على طلب احتياجاتهم من الطيبات دون تقتير، ويسارعون بذلك تخلصاً من بقاء النقود معهم حتى بداية الشهر التالي ـ حين يضطرون إلى دفع ثمن الدمغة التي يلصقونها على النقد.

ومعنى هذا زيادة الطلب وتحديده مقدماً، فالطالبون سيحددون طلباتهم بمجرد وجود النقد في حوزتهم، وسينطلق هذا النقد من أيديهم لطلب طيبات متنوعة بتنوع الأوراق ومحددة الكمية ـ وغالباً ما يبلغ مقدارها في المجموع مقدار ما بأيدي الأفراد من نقود في التداول ـ وهكذا يتنوع الطلب ويتحدد قبل أن يتحدد مقدار العرض إنتاجاً أو استيراداً!

وهذا الأمر هام للتجار والمنتجين، أما المنتج فإنه بدل اعتماده على الحدس ـ كما هي نقطة الضعف في النظام الراهن! ـ وما يترتب على ذلك من مخاطر. . . وصرف مبالغ طائلة للدعاية تدخل في ثمن التكلفة الذي يتحمله المستهلك؟!

«تقدر نفقات الدعاية والإعلان في المتوسط بحوالي 20٪ من ثمن البيع».

أقول أن المنتج في ظل النظام الجديد الذي تستعمل فيه النقود المزكاة سيكون على علم سابق بالسلع التي ازداد عليها الطلب فيستطيع أن ينتجها وبالأنواع والكميات المطلوبة ـ ولا صعوبة مالية، فماله عنده «لأنه لا مماطلات» كما أن الاقتراض ميسور لتوفر الأموال، بل إن الدفع مقدماً من المشترين يمكن أن يصير عادة بدل البيع الآجل «أو بالشيك»!

وإذا أردنا أن نتابع آثار هذا من حيث زيادة الإنتاج وزيادة العمالة وزيادة

الدخول. . . فإننا ندرك أنه ما من قرية تتقي ربها إلا ويفتح عليها من نعمائه رزقاً رغداً يأتيها من كل جانب.

أما التاجر فإن معرفته بطلبات عملائه مقدماً، وكون طلباتهم بكميات وافرة ـ سيتيح له الفرصة أن يكسب كسباً حلالاً ويربح ربحاً يسيراً بالنسبة إلى أصل المال إلا أن الكثرة تجعل القليل في الكثير كثيراً شريطة أن تكون التجارة عملاً يتمثل في توفير السلعة في المكان المطلوب وذلك ببذل جهد إحضارها وتخزينها وتحمل مصاريف ومخاطر. . . إلخ.

. . . على أنه لنا أن نتوقع نقصان عدد الوسطاء والمحلات التجارية، إذ أن انكشاف الطلب للعرض لم يعد يستدعي مثل هذه الكثرة من الوسطاء. . . فلا داعي لهذه التجزئة المتناهية في التجزؤ الغير متناهٍ في العدد!

تغيير عمل المصارف:

من المتوقع أن أعمال المصارف ستتغير. . . نتيجة تغير عادات الناس مما يؤثر على نظام الائتمان ـ الذي ظهر منذ عهد غير بعيد. . . تتويجاً لاختلالات وظائف النقود، فمن الطبيعي أن يكون أول ما يتأثر! ـ فبدل انتشار الدفع بالصكوك (الشيكات) وخصم الأوراق التجارية. . . وهي التي تمثل الدفع الآجل، بدل هذا ستشهد انحساراً وانحصاراً لهذه المعاملات.

وستقوم المصارف بخدمتين رئيسيتين:

1 ـ تسهيل عمليات التصدير (استجابة لطلبات الطالبين في الخارج وتشجيعاً للإنتاج في الداخل) وعمليات الاستيراد (استجابة لطلبات الطالبين في الداخل).

2 ـ تسهيل عمليات الادخار الاستثماري.

ـ إذ أن كل فائض نقدي سيودع لدى المصرف، وعلى المصرف أن يتصرف فيما تجمع لديه بما يحقق:

أ ـ تكوين رؤوس أموال إنتاجية.

ب ـ امتصاص الفائض من النقد ومنحه للمنتجين.. تجنباً للتضخم.

بقي أن ننوه أن تحقيق التوازن بين العرض والطلب وبين مصروفات الدولة وإيراداتها سيكون سهلاً، إذ أن التحكم في زيادة كمية النقود أو تقليلها ـ يكون عن طريق زيادة (الحق في المال) أو الضريبة أو الدمغة التي على حامل النقود في أول كل شهر أن يلصقها... كما سيكون هذا التحكم عن طريق تيسير الادخار أو تعسيره... كما أن الإقراض المصرفي أو المشاركة ستكون مضمونة بحكم انكشاف الطلب للعرض (أو للإنتاج والاستيراد) والمصرف تحت يده الإحصاءات ولديه إدارات البحوث إلخ..

* * *

بحث:

العَدْل الاجتماعي ثمرة الإيمان بالله

للباحث المسيحي: الدكتور الأب أرنولف كامبس

يمكننا أن نعتمد في عرض موضوعنا طريقتين: الأولى اختبارية تبيّن كيف تجد ديانات متنوعة تؤمن بالله وبالمطلق، وتختلف عن ديانات التوحيد: اليهودية والمسيحية والإسلام، بعض الصعوبات في إشاعة العدل بين الناس. كما تبيّن أن ديانات التوحيد تضع تنمية هذه العدالة في رأس اهتماماتها. أما الثانية فهي نظرية تحاول أن تبرهن، انطلاقاً من تعاليم ديانات التوحيد، أن واجب أعضاء هذه الديانات هو العمل على تنمية العدالة في الإنسانية.

سنحاول اتّباع الطريقتين معاً في هذا العرض. لكننا أولاً نؤكد بوضوح، قبل أن نبدأ، أننا نعتبر اعتباراً كبيراً هذه الديانات غير الموحدّة، ولا نبغي شجبها. ونريد أن نوضّح أيضاً أن محاضرتنا لن تكون شاملة جامعة. وسنركّز في الجزء الثاني منها تركيزاً خاصاً على المصادر المسيحية، وسننظر في تعاليم أنبياء العهد القديم وسنحاول، بقدر ما يستطيعه غير المسلم، اتخاذ بعض الأمثلة من القرآن الكريم.

أولاً ـ الطريقة الاختبارية:

من يسافر قليلاً في العالم، يكتشف اليوم حالات كثيرة من الظلم بين الناس. ولا يعني ذلك أن الناس يظلمون بعضهم بعضاً عن وعي، بل بالأحرى

يتقاسمون بعض المعتقدات الدينية التي تحملهم على هذا النمط من الحياة. تكفي بعض الأمثلة لتأييد نظريتنا.

أسرد المثل الأول وهو متخذ من بلد كبير هو الهند. نعجب بالعديد من إنجازاتها الثقافية والدينية. والهندوسية التي تسبق المسيحية كثيراً في الزمن هي ديانتها الشائعة، لها كتبها المقدسة «الفيدا» ورواتها الذين يمكن أن يشبّهوا بأنبيائنا، ولها قديسوها المنقطعون عن العالم، الساعون إلى إدراك المطلق. وتعبّر عنها هياكلها الواسعة الجميلة. إلا أن بعض مظاهر هذه الحضارة الكبرى يثير دهشتنا:

1) بعض الفئات تحوّلت إلى مذاهب تحتقر العدد الأكبر من الذين لا ينتمون إليها.

2) وجود عدد كبير من الفقراء الذين ينامون في الشوارع دون ملجأ ولا طعام، يموت آلاف منهم في الشوارع كل ليلة. ويحاول بعض المسيحيين مثل الأم تيريز وراهبات المحبة تخفيف شقائهم في أماكن كثيرة من الهند. وجلّ ما يعملونه من أجلهم هو غالباً تبديد بعض الظلمة التي تكتنف موتهم. إني أعرف معرفة واسعة حركات الإصلاح المنبثقة من قلب الهندوسية ومن علاقاتها بالمسيحية والإسلام التي تحاول تغيير العقلية الهندوسية، إنما يحتاج الهندوسيون إلى حوار مع الإسلام والمسيحية حتى يتبدّل الموقف المعادي للأغنياء والمنتمين إلى فئات من الفقراء والمنبوذين. والسؤال الذي يطرح هو التالي:

لماذا نقطة الضعف هذه في الهندوسية؟

أعتقد شخصياً بضرورة العودة إلى جوهر الهندوسية نفسه كديانة لنجد الجواب.

يعتبر الهندوسي نفسه جزءاً من المطلق، والبراهمان الذي ليس هو شخصاً بل كائن لا شخصي. فالهندوسي منفصل عن هذا المطلق باعتباره كائناً

عارضاً من الناحية المادية. والإنسان هو جزء من المطلق ضائع في المادة، وفي العالم. فما هو خلاصه إذن؟ إن خلاصه هو في انفصاله عن العالم وابتعاده عن المادة وواجباتها الزمنية ليكرّس انتباهه ونشاطه في سبيل بلوغ الهدف الروحي الذي هو الانصهار من جديد في المطلق. يجب أن يعود الإنسان إلى أصله، إلى المطلق وأن يذوب فيه ليفقد شخصيته الخاصة ويتحقق كمطلق. ويمكن أن تتم هذه العودة بطرق مختلفة. واحد منها هو اليوغا والتأمل. من الواضح أن هذه الرؤية للحياة ولواجبات الإنسان الزمنية تلغي كل دافع إلى العمل في هذا العالم لتحسين الحياة الإنسانية وتحقيق عدالة اجتماعية.

إن بعض الأعياد كانت تدفع إلى صنع أعمال المحبة. لكنها لا تنزع جذور الظلم إطلاقاً. إذ أن الإنسان يضع فاصلاً جذرياً بين المادي والروحي يحول دون رؤية وحدتهما. هذا مثل ظاهر للطريقة التي يحول فيها مفهوم ديني دون تقدّم العدالة الاجتماعية. ومن الواقع أيضاً أن الأموال التي تخصص لمشاريع التنمية في الهند ستكون قليلة الجدوى ما لم ترافقها توعية جديدة وتبديل الموقف داخل الهندوسية. أعتقد شخصياً أن على ديانات التوحيد واجباً كبيراً في مساعدة الهندوسيين على تبديل مفهومهم للعالم في حوار حرّ صبور.

ويمكننا أن نأخذ مثلاً آخر من البوذية. فمن واجبنا أيضاً أن نكون عادلين وذوي رفق مع هذه الديانة التي تشمل عدة تيارات وحركات إصلاح.

سأتكلم عن البوذية التقليدية وخاصة عن بوذية الرهبان، بوذية هينايانا دي سريلانكا، وبوذية جنوب شرقي آسيا. ونلاحظ في هذه البلاد فقراً كبيراً وخاصة في سريلانكا أحد أفقر بلاد العالم. فحياة الشعب البسيط صعبة وتبوء بالفشل غالباً التبديلات في البنى التي تهدف إلى إزالة الفقر والظلم. يجب أن نتساءل أيضاً: لماذا هذا الوضع؟ ما هو سببه العميق؟ يكون الجواب من جديد: افحصوا أعماق هذه الديانة. إن للبوذية وجوهاً عديدة حسنة: فيها الرهبان المصلّون يستجدون طعامهم وفيها الهياكل الجميلة وتماثيل بوذا التي تبدو كثيرة الغرابة في نظر الشعوب ذات التقليد الموحّد والنظريات العميقة في مظاهر

الحياة الإنسانية السيكولوجية والروحية. ومن الواضح أيضاً أن للبوذية شعوراً حادّاً بطبيعة الوجود العابرة ولذلك تقبل الحياة على مضض. وتريد أن تتحرّر من هذا الوجود بغية الوصول إلى الدائم حيث الاستقرار، النرفانا. هناك طرق ثمانية لإدراك هذه الغاية تقوم جوهرياً بالانسحاب من العالم الذي يستطيع الرهبان أن يحقّقوه كلياً، وأن يتأملوا في الخلاص النهائي الذي يدرك عندما يستقلّ المرء عن كل موجود فيشرق مثل بوذا الكبير ويصل إلى النرفانا، فمن الواضح أن الاهتمام بالعالم في هذه الديانة والعمل للعدالة وحياة الإنسانية المتكاملة هي حقول صعبة، إذ أن الجهد الإنساني يسيّر في الاتجاه الروحي الوحيد النهائي، ولا نجد فيها نحن الذين ننتمي إلى تقاليد التوحيد الرباط الداخلي الذي يربط علاقاتنا بالله وبالناس. ويجدر القول أيضاً أن موقف البوذية هذا يشوّش عمل التنمية. فلذلك فهي لا تزال في أمسّ الحاجة إلى التوعية والحوار الحرّ الصبور مع قيم التوحيد.

ونأخذ مثلاً أخيراً من الديانات البدائية التي نجدها في أفريقيا وآسيا وأوقيانيا وبعض أجزاء أمريكا اللاتينية. وفي صددها يمكننا أن نطرح السؤال التالي: هل يسيّر الإيمان بالله الذي نجده لدى أكثر هذه الديانات، على طريق العدالة الاجتماعية، الناس نحو أعضاء القبيلة نفسها ونحو سائر القبائل وسائر الشعوب؟ إن هذه الشعوب كوّنت مع دياناتها نماذج اجتماعية خاصة بها في ما يتعلّق بالأشخاص المتقدمين في السن والأرامل واليتامى. إن العيلة الكبرى تستقبل كل فرد من أعضائها وتؤدي له حاجاته. ومع ذلك تبقى بعض القضايا مطروحة، إذ أن هذا الالتفاف وهذه العدالة يقتصران على العيلة الخاصة دون غيرها من العيل. ولا تعتبر غالباً هذه الشعوب أعضاء القبيلة كائنات متكاملة الإنسانية. وهي لا تملك مفهوماً شاملاً للعدالة الاجتماعية وتعيش فيها القبائل أحياناً في خصومة وعداوة. وإذا توغلنا أكثر في هذه الديانات نرى أن الأجداد يلعبون فيها بعد الله دوراً مهمّاً ويؤدون وظيفة في مجتمع الأحياء يراقبونهم ويسهرون على محافظتهم بدقة على القوانين التي وضعوها وهم بعد في أرض

الأحياء، ولذلك يسمّونهم «الأموات الأحياء». ويتمتّع هؤلاء بسلطة كبيرة على ذريتهم يراقبون كل شيء فيها من أبسط عمل منزلي إلى الأعمال في الحقول. يعاقبون الأحياء ويستنزلون عليهم الأمراض، وموت أطفالهم، إن لم يتبعوا توصياتهم وأوامرهم. ويرغمون الأحياء بهذه الطريقة على النظر الدائم إلى ماضي الجدود، وتكوّن هذه النظرة عندهم مفهوماً دورياً للزمن لا مفهوماً أفقياً مثلنا. (نحن ننظر إلى ماضينا ولكننا نحيا في الحاضر ملتفتين إلى المستقبل القائم على خط صاعد). يقف الجدود والمفهوم الدوري للزمن عائقاً بوجه النمو وتقدّم العدالة الاجتماعية. فمن المستحيل في مثل هذا المجتمع إدخال طرق زراعية جديدة، وتبديلات تقنية، وتربية أكثر فاعلية، وتحسين التغذية، إذ مثل هذه الأعمال يستدعي انتقام الجدود من الفرد ومن عيلته، وينتج أيضاً عن هذا الوضع أن الطرق الزراعية التقليدية تستمرّ على حالها، وأن الغذاء يندر وأن التربية الناقصة تحول دون تقدم الأولاد في الحياة، وأن الأمراض تتكاثر، والموت يطلع باكراً. الحاجة إلى حوار حقيقي بيننا وبين هذه الشعوب كبيرة لنجلعهم قادرين على التقدم وتنمية العدالة الاجتماعية. يجب أن نوعّيهم وأن نلقي لهم ضوءاً على دور الجدود، مساعدين إياهم على تكوين فكرة عنهم أكثر دينامية، لأنهم لا يستطيعون الحياة بدونهم. وهناك موضوع آخر للحوار هو المفهوم التوحيدي للزمن، المفهوم الأفقي الذي ينبع عنه واجب تشجيع التقدم في تاريخ الناس الذي نسميه نحن المسيحيين: ملكوت الله، وتسمونه أنتم المسلمين: إدارة شؤون الدنيا باسم الله الكثير الصلاح والرأفة. وأردّد أنه لا يكفي إرسال مال وغذاء وأيّ مساعدة أخرى لهذه الشعوب، مهما كان ذلك ضرورياً، ما لم ترافقها توعية، ويرافقها حوار، خشية من أن لا تبدّل شيئاً في الأوضاع، يجب أن يتبدّل القلب قبل البدء بأي عمل جديد.

ويبدو إلى الآن واضحاً من هذه الدراسة الاختبارية أن العدالة الاجتماعية في مفهومها الأعم والهيكلي مرتبطة بالإيمان بالله. إن الإنسان وحدة. ولا يمكننا أبداً أن نفصل حياته المادية عن حياته الروحية. ومع ذلك تبقى المشكلة

التالية: ما هي قيم ديانات التوحيد الروحية التي تشجع تقدم العدالة كما يطلبها الذين يعيشون في عصرنا؟ ستكون العدالة الاجتماعية المسألة الأساسية لعشرات السنين المقبلة، وسيتعلّق بحلّها سلام الأجيال المقبلة وسعادتها. ومن واجبنا جميعاً أن نجابهها. على أن مسؤولية خاصة في هذا الموضوع تقع علينا نحن ممثلي ديانات التوحيد. أريد فقط أن أذكر هنا بعض القيم الخاصة بديانات التوحيد بينما سأحاول في الجزء الثاني من هذا العرض أن أبني فكرتي على استشهادات من الكتاب المقدس.

إننا مشتركون أولاً في الإيمان بإله شخصي، ونعتقد بأن الكائنات البشرية هي أيضاً أشخاص. ربّما يبدو هذا التأكيد تافهاً ولكنه مثقل بالنتائج. ولقد رأينا أن ديانات أخرى لا تشاركنا رأينا، بل تهدف، على عكس ذلك، إلى أن تستوعب في المطلق الذي ليس شخصاً، بينما تعلّمنا ديانات التوحيد أن الله والناس يتعاونون عبر التاريخ على بناء عالم أفضل. أليس المؤمنون مقتنعين بأن الله خلق العالم والكائنات الإنسانية وفقاً لقصد محدّد هو أن يكون الناس سعداء، وأن تساعدهم الأشياء المخلوقة على البلوغ إلى هذه السعادة.

وقيمة التوحيد الدينية الثانية التي تساعد على تطوير العدالة الاجتماعية ونموّها وتطوير ونمو السلام في العالم هي تقدير موضوعي للخليقة.

والقيمة الثالثة التي ذكرناها هي المفهوم التوحيدي للتاريخ. إننا لا نعود إلى الماضي لتقليد ما فعله أجدادنا، ولكننا ننظر إلى الأمام، نحو المستقبل الذي يسير في خط صاعد لتحسين أوضاع الحياة على الأرض. وهذا ما يسمّيه أنبياء العهد القديم ويسوع والمسيحيون من بعدهم بملكوت الله حيث السلام والعدالة والوحدة والمحبة. وتقع علينا مسؤولية إحلاله بمساعدة الشخص الإلهي. ويتكلّم المسلمون عن واجب تدبير شؤون الدنيا باسم الله على الأرض أي تحقيق ملكوت الله على الأرض، حيث يملك الله في قلوب الناس إلى الأبد. وهكذا تصبح حياة الناس اقتداء بأمر الله وصفاته.

والقيمة الأخيرة الواجب ذكرها هي قيمة الجماعة. إننا نعلم تمام العلم أننا لا نبني وحدنا العالم الجديد. إننا نبنيه مع أبناء ديننا ومع الآخرين. يجب أن نتخطّى الحدود وأن نسير نحو الغير لنجمعهم في شعب واحد هو شعب الله السائر نحو مستقبل أفضل على هذه الأرض وفي السماء. هذه القيمة كبيرة ويجب أن نؤكد أن ديانات أخرى ذات نزعة قوية إلى الفردية تفتقر إليها. فالهندوسي مثلاً يقطع وحده طريق الخلاص بالاندماج في المطلق، بالتأكل والزهد بالعالم، وعلى غراره البوذي. وفي الديانات الأخرى يقيم بعض الأفراد عبادة الأجداد.

على عكس ذلك تعي ديانات التوحيد وعياً خاصاً طبيعة الإنسان الاجتماعية. ويتقاسم المسلمون واليهود والمسيحيون مسؤولية تنمية فكرة الجماعة والسهر على مستقبل العالم والإنسانية في الطاعة لله القدير الذي خلقنا كائنات حرّة ترغب في التعاون على تحقيق ملكوت الله بتدبير شؤون الدنيا على الأرض باسم الله.

ثانياً ـ الجزء العقيدي:

أسمح لنفسي كمسيحي أن أبدأ ببعض أفكار مستقاة من العهدين القديم والجديد. أثّر فيّ دوماً مقطع من إنجيل لوقا في الإصحاح الرابع (14 ـ 22) أريد أن أسرده كاملاً. وهو يشير إلى بدء بشارة النبي يسوع الناصري في بلده الجليل، وفيه يشرح المسيح برنامج رسالته:

«وعاد يسوع إلى الجليل بقوّة الروح فانتشر ذكره في الناحية كلها، وكان يعلّم في مجامعهم فيمجّدونه جميعاً. ثم جاء الناصرة حيث نشأ. ودخل المجمع يوم السبت على عادته وقام ليقرأ، فدفع إليه سفر إشعياء النبي فوجد الفقرة التي ورد فيها: «روح الرب نازل علي لأنه مسحني وأرسلني لأبشّر الفقراء وأبلّغ المأسورين إطلاق سبيلهم والعميان عودة البصر إليهم، وأفرِّج عن المظلومين، وأعلن سنة مرضيّة لدى الرب. ثم طوى السفر وأعاده إلى الخادم

وقعد. وكانت عيون أهل المجمع كلهم شاخصة إليه، فأخذ يقول لهم: «اليوم تمّت هذه الآية التي تليت على مسامعكم». وكانوا يشهدون له بأجمعهم ويعجبون من الكلام العذب الذي يخرج من فمه ويقولون: «أما هو ابن يوسف؟».

لقد أثّرت رسالة المسيح تأثيراً بليغاً على الجماهير التي كانت تتبعه إلى القفر حيث كانت تطيب له الصلاة. ولم تكن تريد أن تفارقه. ولكنه كان يقول لها: «ينبغي لي أن أبشّر بملكوت الله المدن الأخرى لأني لهذا أرسلت». وكان يبشّر في مجامع اليهودية (لوقا 4: ـ 44). ينبغي أن تبقى النصوص في إنجيل لوقا مرتبطة بالمقاطع الموازية من القديسين متى ومرقس. أحبّ أن أبدي ملاحظتين في صددها.

1 ـ لقد كان المسيح واعياً أنه مرسل ليبشّر بمجيء ملكوت الله، وأن الله سيملك على الأرض بدءاً من هذه اللحظة. وذلك ليس وعداً سيحقّق في آخر الأزمنة بل شيء سيحقّق الآن على الأرض. وينجلي الملكوت في النص الأول حيث دار الكلام على تأثير روح الله. لا تستطيع يدا الإنسان أن تحققا الملكوت. ينبغي أن يمسح الإنسان بروح الله ليصبح قادراً على العمل لأجل ملكوته. ينبغي أن يكون على علاقة صحيحة مع الله بالصلاة والطاعة. وعندئذ يصبح قادراً على العمل من أجل هذا الملكوت. الملكوت هو ثمرة الإيمان بالله. وأصل الآن إلى النقطة الثانية وهي: محتوى ملكوت الله. المسيح واضح وصريح في هذا المجال. إنه مرسل للفقراء ويريد أن يقدّم لهم البشرى الجديدة، ويعلن تحرير الأسرى، وعودة البصر إلى العميان، والتفريج عن المظلومين. وبكلمة واحدة، يعلن المسيح تلك السنة سنة نعمة من الرب. فملكوت الله الذي لا نستطيع أن نتّبعه إلاّ بالروح والإيمان، مربوط ربطاً عميقاً بالعدالة الاجتماعية: إزالة الفقر وتحرير المأسورين ـ لقد فكّر حتماً بالأسرى السياسيين ـ وإعادة البصر إلى العميان وشفاء المرضى ومساعدة الرازحين تحت أعباء الحياة. وإننا نجد برنامج المسيح هذا عبر الأناجيل كلها. وقد ركّز طيلة

حياته على مجيء ملكوت الله: ملكوت العدالة والسلام والصحة والوحدة وحب البشر بعضهم لبعض وحبّهم لله.

ليست رسالة المسيح هذه بجديدة. يجب أن نستبقي دوماً في ذهننا مجموعة الكتب المقدسة لنكتشف أن مثل هذه الرسالة قدّمها كثيرون من أنبياء العهد القديم. ويسير يسوع في هذا الخط مكمّلاً رؤى ومواعيد أنبياء شعب إسرائيل. من الواضح أن النص الذي ذكره لوقا وارد في إشعياء (61: 1 ـ 2) يتوقّع فيه النبي مجيء أورشليم الجديدة ويصفها بالكلمات نفسها التي نطق بها يسوع:

«إن روح السيد الرب عليّ لأن الرب مسحني لأبشِّر المساكين وأرسلني لأجبر منكسري القلب لأنادي للمسبيين بالعتق وللمأسورين بالإطلاق، لأنادي بسنة مقبولة للرب».

يلزمنا كثير من الوقت لعرض تعاليم أنبياء العهد القديم عرضاً وافياً. سأتوقف فقط عند النبي عاموس الذي بشّر بالعدالةِ الاجتماعية تبشيراً واضحاً ضدّ شرور المجتمع اليهودي في زمنه:

«إنكم تحوّلون القضاء أفسنتيناً وتهملون العدل على الأرض. لقد أبغضوا الموبّخ في الباب، ومقتوا المتكلّم بالاستقامة. لذلك بما أنكم تطأون المسكين وتأخذون منه حمل برّ فأنتم تبنون بيوتاً من حجر منحوت ولا تسكنون فيها وتغرسون كروماً شهيّة ولا تشربون خمرها. فإني عالم بمعاصيكم الكثيرة وخطاياكم العظيمة، تضايقون البارّ وتأخذون الرشوة وتمنعون حق البائسين في الباب» (عاموس 5: 7 ـ 12).

إننا نجد تهم إفلاس الإنسان في اتّباع وصايا الله عبر الكتب المقدسة في العهد القديم. فكان الأنبياء يعرفون الوضع الإنساني المثالي، وكانوا يهيبون بالشعب أن يتّبع طريق العدالة مع الفقراء والمأسورين والعميان والبائسين. وكانوا يعرفون أيضاً ضعف الإنسانية ويدركون كل الإدراك سرعة عطب العدالة.

ولقد ذكروا دوماً أن الظلم يتناقض وإرادة الرب، وتوقّعوا للإنسان وضعاً جديداً يعيش فيه حياة عادلة أمام وجه الله. ويسوع تبع هذه الرؤيا وهذه التعاليم وحققها تماماً. إن العدالة في نظره هي ثمرة الإيمان بالله وبتحقيق ملكوته. ويتّخذ تعليم المسيح هذا أهمية كبرى في عصرنا الذي يعي فيه الناس بنى الظلم العديدة في العالم، كالجوع الكبير والفقر في مناطق إفريقيا الصحراوية حيث أخذت تبرز معالم لاهوت التحرير، ويعون أيضاً التعذيب الذي تمارسه بلاد كثيرة لانتزاع الاعترافات وسلطة المشاريع الكبرى التي تراقب العالم وتبقي بلاداً كثيرة في الفقر.

ونجد في الإسلام تعليماً شبيهاً بهذا التعليم. وإني لا أستطيع في هذه الساعة القصيرة إلا أن أقدّم بعض الأمثلة من القرآن الكريم تبرز فيها العدالة الاجتماعية كثمرة للإيمان بالله: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التغابن: 11] ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿270﴾ إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ﴾ [البقرة: 270 و271]. ولعل أجمل نص هو نص السورة الأولى: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿1﴾ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿2﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿3﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿4﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿5﴾ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿6﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾.

تقرّبنا هذه الآيات بلا شك من فكرة ملكوت الله التي بشّر بها يسوع. ويحسن أن يعمّق هذا الموضوع، وأعتقد أن إخوتنا المسلمين الحاضرين هنا سيساعدوننا على تفهّم أفضل لوجوه الشبه القائمة بين تعليم أنبيائنا المحترمين. أما أنا فعندما أقرأ القرآن الكريم أشعر أني قريب جداً من تعليم الإنجيل الاجتماعي يحسن هذا الموضوع للحوار. ويجب أن نجد، كأعضاء لديانات التوحيد، الطريقة لدرسٍ وتأمل مشترك ولعلم مشترك في حقل العدالة والسلام اللذين لا يحققان بالجهود البشرية وحدها. لا بد لنا من إيماننا بالله ومن معونته

لتبديل هذا العالم واستقدام ملكوت الله كما خطّطه الخالق. إننا نعيش حقبة مؤاتية، هذا الجزء الأخير من القرن العشرين الذي يتزايد فيه الظلم ويشتدّ الوعي له، ويبحث الكثيرون وخاصة الشباب عن تبدّلات جذرية لبنى العالم الظالمة. يا حبذا لو يقوم تعاون بين المسيحية والإسلام لا يخيّب أمل الشباب فيتّبعون طرق العنف.

بحث:

«الأسس المشتركة» بين الديَانتَين في المُعتقدات ومَواطِن الالتقاء في ميَادِين الحيَاة.

للبَاحث المسلم، الدكتور إسماعيل الفاروقي

الأساس المشترك:

يشترك الإسلام والمسيحية في الاعتقاد في وجود الله وأنه الإله الواحد المنزه الأزلي خالق الكون والإنسان وخليفته في الأرض والمنفذ لإرادته فيها. . وتشتمل هذه الإرادة الإيمان به وبتعاليمه الأخلاقية. . . وتعتقد كلا الديانتين كذلك أن تحقيق الإنسان للإرادة الإلهية يكون باتباع تعاليمه الأخلاقية، وهو أمر عالمي في الجوهر والتطبيق. . . وتتفق الديانتان في النهاية على أن تحقيق الإنسان لهذه المثل يعني: الخلاص والبركة والسعادة في الحياة الدنيا وفي الآخرة. . . وتكوّن هذه الأفكار الدينية نواة كل منهما. . . ويرى كل من الإسلام والمسيحية أن امتلاكه لهذه المعتقدات جاء عطاء من الله عن طريق الوحي الإلهي. . . وهما ينظران إلى التاريخ في ضوء هذا الوحي ويعدان مستقبل التاريخ مؤكداً له، هذا المستقبل الذي يصل إلى نهايته يوم الحساب. . . وفيه تعاد كل موازين التاريخ إلى وضعها الطبيعي حسب علم الله المحيط وعدله الشامل ورحمته التي وسعت كل شيء. .

ومن الطبيعي فإن هناك فروقاً كثيرة بين الإسلام والمسيحية. . . وهذه الفروق طبيعية إذا ما نظرنا إلى أنه داخل أيّ دين تختلف محاولات وضع هذا

المضمون في قالب فكري من فترة تاريخية إلى أخرى. . . هذا مع العلم بأن التراث الديني يتطور ويتغير إلا أن مضمونه ثابت لا يخضع للتغيير. . وإذا ما تغير هذا المضمون ـ فإن هذا الدين لم يعد هو نفس الدين للإسلام أو المسيحية خلال تاريخهما الطويل ولصعبت التفرقة بين مضمون كل منهما عن المضامين الدينية الأخرى. . . بل وفي هذه الحالة، التعرف على هذا التراث نفسه إذ أنه يصبح أكواماً من المعلومات الدينية بلا حدود أو معالم. فالإسلام والمسيحية لهما تراث ديني متميز، ومن ثم فالمقارنة بينهما ممكنة في المضمون أو الجوهر وعلى أية حال فإنه مهما كان شيقاً لمؤرخ الأديان أن يبحث في الفروق فإنه يحق له أن يتجاهلها إلى الحد الذي يرغب فيه أن يركز الانتباه على المضمون الأصلي يؤكده أو يبني عليه إن كان ثمة سبب يبرر ذلك. ولما كان هذا المؤتمر يبغي الحوار الجدي الصادق ومحاولة التخلص من انعدام الثقة وسوء الفهم والسعي إلى الوصول إلى التوافق والتعاون، فإن هذه الخطة لها ما يبررها. وليس ذلك غريباً، فإن الإسلام والمسيحية يناديان بها لأنهما ديانتا الغفران والرحمة والتعاطف والتسامح والوئام بين الخلق جميعاً. وكلاهما يعد حب الجار من شروط التقوى والبر. ولذلك فإنه من صميم جوهرهما السعي للوصول إلى الوفاق والتعاون من أجل الإنسانية جمعاء. وإلى جانب التغير وأخطاء التطبيق والفروق هناك جانب آخر إيجابي وموفق وموحد، ألا وهو التاريخ نفسه فإننا يمكن أن نرى التاريخ الإسلامي والمسيحي عبر الخلفية الدينية التي تحتل آلاف السنين من تاريخ الشرق الأوسط منذ فجر التاريخ في بلاد ما وراء النهرين.

هذا التاريخ الطويل هو تاريخ التدين العربي (أو السامي)[1] ومسرحه هو

(1) كلمة «سامي» لفظة اخترعها علماء العهد القديم في القرن الثامن عشر للدلالة على اللغات (العربية والعبرية والحبشية والسريانية والآرامية. . . الخ). وهي لغات تتفق في بعض خصائصها اتفاقاً كبيراً. وقد ألهمهم في ذلك علم أنساب العهد القديم الذي كانت مهمته إثبات سلالة شعوب الهلال الخصيب من سام بن نوح وتمييزهم عن شعوب العالم الأخرى. وقد سميت هذه اللغات بهذا الاسم لعدم توفر اسم أصلح. ومن المعروف الآن أن جميع اللغات السامية =

الهلال الخصيب والجزيرة العربية. وشعوب هذه الفترة هم العرب سواء أكانوا العرب القحطانيين (العرب العاربة) أم العدنانيين (العرب المستعربة) الذين هاجروا واستوطنوا الهلال الخصيب في موجات صغيرة متعاقبة خلال التاريخ، وفي تيارات كاسحة مرة كل ألف وخمسمائة عام. وفي موجات الهجرة الصغيرة اخترق العرب أقاليم الهلال الخصيب وأعدوا الطريق للموجة التالية من المهاجرين، أو قاموا بتدعيم آثار الموجات السابقة. وقد قامت هذه الموجات بتغيير الأصل العنصري عن طريق التزاوج. وقد جعل تكرار الهجرات خلال العصور الهلال الخصيب عربياً عروبة الجزيرة العربية(1).

= ترتبط باللغة العربية ارتباطاً وثيق الصلة فهي عند كثير من العلماء تمثل اللغة الأم بالنسبة لبقية اللغات السامية. كما أنه من المعروف أن اللغة العربية تشتمل على جميع الصيغ النحوية والصرفية والأدبية الموجودة في هذه اللغات. غير أن الاختلاف بينها يظهر في تبني هذه اللغات لبعض المفردات والصيغ المحلية إلى جانب تحررها من بعض التراكيب النحوية الخاصة باللغة العربية.

ومن المعروف أيضاً أن هذه الشعوب المتحدثة باللغات السامية تنتمي إلى جنس واحد وأنها كانت تعيش في مسرح جغرافي واحد وأنها استمدت تراثها وتجاربها من مصدر واحد مشترك بدونه يصعب مقارنة أساطيرها ومكوناتها الشخصية وتاريخها. وقد اشتركت هذه الشعوب في حضارة واحدة كما تعبر عن ذلك آدابها وفنونها. ولقد تقاسمت نموذجاً واحداً من التدين كما سيتضح بعد ذلك في سياق هذه المقالة. ولم يدع أحد من هذه الشعوب ـ ومن بينهم العبريون ـ أنه سامي وقد فعل العبريون هذا فقط في العصر الحديث. أما الآخرون وهم الأغلبية العظمى فمن الأحقّ أن يطلق عليهم لفظ «عربي» بدلاً من «سامي» ـ اللفظة العنصرية المشكوك فيها ـ وذلك لأن الجزيرة العربية كانت بلا شك ينبوعهم ومصدرهم ومستودع لغتهم الأم. وهي أيضاً مصدر حكمتهم وتجربتهم المشتركة ومصورة علاقتهم بالإله. وجميع هذه الخصائص معبر عنها في لغاتهم «السامية» مرآة شعورهم ووجودهم ولكون كلمة «سامي» ترمز إلى النسب (أو العنصر) فهي لفظة إشارية خالصة بينما لفظة عربي بحكم أنها حضارية فهي ذات معنى وتحمل أخباراً.

(1) هذا صحيح على الرغم من أن سكان ما وراء النهرين الأصليين وقد عرفوا سكان الصحراء فقط باسم: عربي، عريبو أو عربي. وقد ظل هذا التمييز الفاصل إلى يومنا هذا كما تشير لفظتي، «العرب» و«الأعراب» انظر أعمال:

René Dussaud, **La Pénétration des Arabes en Syrie Avant L'Islam**, Paris: Paul Genthner, 1955, P.K. Hitti, **History of The Arabs**, London: Macmillan and Co., 1956, PP. 30-48;. James Pritchard, **Ancient Near Eastern Texts Relating to The Old Testament**, Princeton. **Tarikh al Jins'Arabi**. Sayda: Al Maktabah Al'Asriyyah, 1376,.

وقد أثّرت الهجرات العربية على اللغات الوطنية ـ بعد أن انفصلت هذه اللغات عن الجزيرة العربية وتباعدت لهجاتها بالمفردات بسبب طبيعة تاريخها الخاص ـ والصيغ الأدبية العربية.

وتسبب ذلك في إعادة بلورة الحضارة المحلية والدين عن طريق إعادة تأكيد وتوضيح الجوهر الأساسي للتدين العربي (السامي) وذلك عن طريق التزام جديد لوصاياه وأحكامه. وهذا أدى إلى إنتاج وسائل جديدة للتعبير في كل الميادين تقريباً من الطقوس الدينية والقانون إلى العادات والفنون.

وقد ظلت روح هذا المسرح كما هي عبر آلاف السنين وإن كنا لا ننكر أن التاريخ أنتج بعض التغييرات ولكن هذه التغييرات غمرت بموجات الهجرات الجديدة. فاليهودية والمسيحية والإسلام هي آخر وقفات ذلك الشعور العربي «السامي». وقد سبقتها وقفات عديدة تسببت في انتعاش مدن الولايات السومرية (3000 ق.م.) الخاضعة للامبراطورية الأكادية (2400 ـ 2150ق.م). ونينوى (1450 ـ 1150 ق.م.)... إلخ. وفي كل من هذه الوقفات انعكست الرؤيا الجديدة في شكل قانون أو إصلاح لقانون يقدمه مشرعه الرئيسي كوحي للإرادة الإلهية. فكل من سرجون الأكادي وليبيت أشنار وحمورابي قد واجه موقفاً مختلفاً ذا طبيعة مختلفة عن تلك التي صادفها الأنبياء المعروفون من أمثال نوح، وموسى، وداوود، وعيسى ومحمد (عليهم السلام) ولكن الروح التي حركتهم وغيّرت المواقف التي واجهوها كانت واحدة. وهكذا فإن جوهر الحركات التي أثارها هؤلاء الأنبياء في التاريخ كانت واحدة، أو كما قال النبي ﷺ: «الأنبياء أمهاتهم شتى، أما دينهم فواحد».

وتدعم ظواهر الحضارة والدين في الهلال الخصيب والجزيرة العربية نواة دينية ثقافية تتألف في جوهرها من عدد من المبادىء الأولى. ولأن هذه

AH.: Jawad' Ali, **Tarikh al'Arab Qabla al Islam**. Baghdad: Maktabat al Muthanna, 1370, AH;. James A. Montegomery, Arabia **And The Bible.** New Tark: Ktar Publishing House, 1969.

المبادىء تتحكم في كل من الحضارة والدين فإنه من الصواب أن تعد الأساس الذي منه انبثقت كل معالم الظاهرة الدينية على المسرح العربي.

وهذه المبادىء أربعة هي:

أولاً:

إن الحقيقة ثنائية وتتكون من موجودين متميزين تماماً ومنفصلين، وهما الخالق أو الإله جل وعلا، والمخلوق أو الطبيعة؛ الأول مطلق ومنزه والثاني نسبي وظاهري. فكل من مصر القديمة واليونان القديمة من جهة والهند والداوية من جهة أخرى قد عرّفوا الإلٰه بالطبيعة ولذلك استحقوا أن يوصفوا بالوثنية وبينما اعترف العرب القدامى «الساميون» بالإله كخالق منزّه، فإنهم أشركوا مع الله كثيراً من مخلوقاته ولهذا سُمُّوا بحق المشركين. وقد قاوم الكثيرون مثل هذه الأوهام وتشبثوا بالوحدانية المطلقة وبتنزيه الله. كان هؤلاء هم الحنفاء الذين كانوا نقطة انطلاق للإصلاح الديني المنبثق عن الوحي[1].

ثانياً:

إن الله الخالق يتصل بعباده عن طريق الوحي. وإن مضمون الوحي هو القانون أو إرادة الله والتي هي بمثابة المثال أو المعنى للمخلوقات وهو الواجب فعله. فخلق المخلوق لا بد وأن يكون لسبب مقصود من خالقه. ومعرفة المثال والواجب فعله يمكن أن يتم عن طريق العقل الذي يقوم بتحليل هذا النموذج المتمثل في الطبيعة. والطريق الثاني الذي تتم به معرفة الإرادة الإلٰهية هو الوحي. والذي يقصد به الاتصال المباشر للإرادة الإلهية عن طريق الكلمة. وهكذا فإن الإرادة الإلٰهية في مضمونيها النظري والقيمي يمكن التعرف عليها من كل من هذين الطريقتين أو بهما مجتمعتين وإلا فلا يمكن إدراك الخلق نفسه وطبيعة المخلوق والفارق بينه وبين الخالق.

---

(1) انظر تفاصيل هذا الرأي في:

I. R. Al Faruqi, ed. **Historical Atlas of The Religions Of The World.** New York: The Macmillan Co., 1975, «The Ancient Near East», PP. 1-34.

ثالثاً:

إن المخلوق لن يكون خلقاً للخالق صاحب القصد إذا كان من المستحيل عليه أن ينجز قصد الخالق من خلقه. وطالما أنه مخلوقه، فإن الخالق منحه، ولا بد، القدرة على إنجاز هذا المقصد، ووضعه «أي المخلوق» في مسرح العالم (وهو بدوره مخلوق للخالق) والذي فيه يكون الإنجاز ممكناً. وكلا المخلوق وبيئته يجب أن يكونا خيراً لأنه لا يمكن تصور أن الخالق قد بدأ العالم بنقصان أو ضعف أو لدافع آخر يجعله مديناً أو مسؤولاً لأي موجود آخر.

رابعاً:

بما أن كل المخلوقات تملك إرادة خالقها وهي قصده وسبب وجودها الكامن فيها. فإن هذه المخلوقات لا بد وأن تكون معدة بالطاقة الكونية المطلوبة لإنجازها. وتشمل هذه القدرة قوانين الطبيعة الصالحة عالمياً غير أنها بالضرورة لا يمكنها أن تتعدى الإرادة الإلٰهية، فهي تقف عند هذه الإرادة لأنها وسيلتها. وهذا ينطبق على الإنسان كما ينطبق على الصخر والنبات والحيوان[1]. ومع ذلك فالإنسان يتمتع بقوة إضافية لها من التأثير ما يكفي لتوجيه تلك القدرة الكونية لتحقيق غرض جديد هو الغرض الأخلاقي. وهذا إنجاز لهدف أعظم للخالق ألا وهو تحقيق الإنسان للقيم الأخلاقية ومن طبيعة هذه القدرة أن تكون حرة. وعلى هذا فالإنسان مسؤول عن استخدامه بهذه القوة الإضافية العظيمة وتنتهي هذه المسؤولية بالإنسان إلى حساب ينتهي بالثواب أو العقاب أو كليهما مجتمعين. وبدون هذا الحساب تصبح المسؤولية الأخلاقية زهواً لا معنى له وإنكاراً لهذه المُسَلَّمة المتعلقة بالقصد الإلٰهي. هذه المسؤولية الأخلاقية تحدد للإنسان مصيره ألا وهو أن يكون خادماً في العالم لإرادة ربه وخالقه.

---

(1) انظر تفاصيل هذا الرأي في:

I. R. Al Faruqi, **On Arabism**: Volume 1, **'Urubah and Religion,**, Amsterdam-Djambatan, 1961, PP.

وتعد هذه المبادىء الأربعة نواة التدين العربي «السامي» وجوهر الديانة الأم العربية «السامية» وهي تظهر بوضوح في كل لحظة من لحظات التيار الفكري العربي «السامي». وفي كل حركة من الحركات التي انبثقت منه. إنها هذه المبادئ التي وحَّدت هذه اللحظات وتلك الحركات في تيار واحد كما أنها ميزت هذا التيار ككل من بين التيارات الأخرى وبخاصة التيارات القديمة المصرية والهندية والصينية. هذه المبادىء هي أيضاً الأساس الذي توحدت حوله اليهودية والمسيحية والإسلام فجعلت منها حركة واحدة عظيمة في التاريخ الإنساني العام على الرغم من كل اختلافاتها التي هي من صنع التاريخ ومن صنع عوامل إقليمية وعنصرية والتي يمكن للجوهر احتواؤها[1].

وكل من هاتين الديانتين قد تمسك بهذه المبادىء ومحاولة تحقيقها في التاريخ. وقد أطلق الإسلام على هذا الجوهر لقب دين الفطرة ثم عرَّف الإنسان من خلالها. فكل مخلوق بشري قد وهب هذا الجوهر عند مولده دون أدنى تمييز. واعترافاً من الإسلام بخلود هذا الجوهر أعلن دين الفطرة ليكون تعبيراً للشعور العام للبشرية وأصلاً أول لجميع الأديان، وأسسه على حاسة التنزيه التي يتعرف المخلوق بها على خالقه المنزه. هذا هو الأساس الذي بنى عليه الإسلام عالميته التي يعتقد المسلمون أنها فطرية بين البشر وغير البشر كمخلوقات لله. ولذلك فليس من الغريب أن اعتناق الإسلام لهذه المبادىء قد دعم الفكرة العالمية وكانت مسؤولة عن تبجيل الإسلام وتسامحه المثالي تجاه الأديان الأخرى. والإسلام يعلن أن هذه الميزة الكبرى ـ أي دين الفطرة ـ والتي مضمونها الاعتراف بدين الفطرة هي خاصية عالمية تحتوي كل البشر، كما يرى الإسلام أنها لا تخصه وحده فقط وإنما تخص كذلك اليهودية والمسيحية. وعلى هذا فالإسلام لا يدعي لنفسه فضلاً في هذا الشأن ـ أي دين الفطرة ـ بل هو يضع اليهودية والمسيحية معه على قدم المساواة فالجميع لله والكل يمثل

---

(1) ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: 64].

إرادة الله الموحاة إلى أنبيائه وهم جميعاً أهل صدق يبلورون الحقيقة. وهذا لا يمنع أن يكون للإسلام فضل آخر استمده من الوحي لإتمام كلمة الله وتحقيق إرادته[1].

وليس هناك أساس للتقارب الديني يعادل هذا الأساس، فالمؤتمرات التي تسودها المجاملة والدبلوماسية هي أضعف الوسائل كما أن تلك التي تفرضها النفعية ـ سواء أكانت مخططة لمواجهة خطر أو ظرف معين أو للمساهمة المنتظمة للرفاهية والأمن الماديين ـ لا يمكنها أن تقف في وجه أي عاصفة أو أمام أي مشكلة مهما كانت جادة.

ومن ناحية أخرى فإن التقارب الذي يعتمد على هذه الهبة الفطرية سيكون موقفاً عالمياً خالداً يمكن أن تقوم عليه دعامة المستقبل. ودين الفطرة هو أقوى وأحق دعامة عليها يتحقق ذلك التقارب الديني وعليها يقوم ذلك الفهم والتعاون. ولما كانت طبيعته دينية ـ بل هي الدين نفسه، مسيحياً كان أم إسلامياً ـ فإنها لا تحتاج إلى تركيز مجهود خاص من أجل الحصول على ذلك الفهم والإدراك وهنا لا خوف على الباحث من خطر الرجوع إلى مغالطة تجريد الظاهرة لأن دين الفطرة يمد الباحث بالولاء الوحيد وهو الأمر والإرشاد بالتعاون بين الأديان. وللأديان أن تفخر بنتائج التقارب والفهم والتعاون التي يمكن الوصول إليها من خلال هذه القاعدة لأنها أساساً قاعدتها. إنها بالتحديد ما أسماه الأخ/ العقيد معمّر القذافي في لحظة إلهام بـ«الإسلام الإلٰهي» يعني به جوهر العقيدة الإسلامية الخالية من جميع التفسيرات والتصويرات والمقررات التاريخية. فهي هكذا تكُون دين الله «دين الفطرة في أجل معانيه»، الكامن في قلب الأديان والمكوّن لنواة ظاهرة التدين البشري[2]. وعلى هذا الأساس، فإن

(1) ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: 30].

(2) «التصور الإلهي للإسلام» تقرير عن مؤتمر الأخ/ العقيد معمر القذافي المنعقد في باريس والمنشور في الحوار الإسلامي المسيحي في 8 محرم 1396هـ/ 9 يناير 1976م ص 4 ـ 6.

التطورات التاريخية التي ميزت الأديان وفصلت بينها يمكن رفضها على أنها نقط تحول للبعد عن هذا الجوهر الأساسي. وربما يمكن قبولها في حالة ما إذا كانت تعزز عوامل حضارية بمفردها أو ربما يمكن تركيبها أي التوفيق بينها وبين الجوهر بطريقة خلّاقة تبلور من جديد ذلك الجوهر وتعطيه تعبيراً تاريخياً جديداً[1].

ميادين السعي التعاوني

1 ـ في مجال التوعية المسيحية:

لا يمكن أن تكون هناك محاولة للتعاون دون إدراك للقواعد الأساسية والأهداف المشتركة. كما أن هذا لا يجب أن ينحصر في نخبة أو صفوة خاصة بل يجب أن يصبح ميراثاً عاماً لكل طبقات المسيحيين والمسلمين إذا أريد لها أن تنتج ثماراً للتاريخ. وعلى هذا فإن الوعي العام لدى المسلمين والمسيحيين يجب أن يتطور حتى يعترف بحقيقة الأسس المشتركة والرغبة فيما هو أخلاقي والالتزام به[2]. لذلك يجب الارتقاء بمباحث الجوهر المشتركة والمثل المشتركة الكامنة فيه، والتعاون الضروري، كما يجب أيضاً الدفاع عن هذه الأشياء وتوضيحها عن طريق وسائل الإعلام والنشرات العلمية[3]. وقد مهد الفاتيكان في مجلسه الثاني، الطريق في سبيل رد الاعتبار لحقيقة الإسلام في عقول المسيحيين ولا بد من مواصلة هذه الروح في اتصالات الكنيسة المسيحية بأعضائها وبالعالم الذين يجب عليهم من الآن فصاعداً أن يحملوا رسالة الوئام

---

(1) ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: 44].

(2) ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: 25].

(3) ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿150﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿151﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُولَٰئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: 150 ـ 152].

والسلام[1]. وفوق كل ذلك يجب أن توقف الأصوات الصادرة من داخل العالم المسيحي. كأحلاف الصهيونية. والتي تقوم بالدعاية المنظمة ضد الإسلام واستمالة المسيحيين للوقوف إلى جانب الدولة الصهيونية ـ المحتلة والتي تحاول تغيير المعتقدات المسيحية حتى توائم موقفهم المتعاطف مع تلك الدولة. تلك الأصوات التي تعيد تفسير الديانة المسيحية نفسها حتى تتفق مع التفسير الصهيوني لتاريخ فلسطين. يجب إسكات جميع هذه الأصوات فليس هناك شيء أكثر نفوراً لنا ـ مسيحيين ومسلمين ـ وكذلك للشعور العام ولشعورنا التاريخي من محاولات هذه الأصوات وهؤلاء العملاء الذين يحرفون الميثاق المقدس ـ ميثاق إبراهيم ـ فيجعلون موضوعه هبة ملك أو عقار من قبل الله تعالى لجنس من الأجناس والذين يخرقون ميثاقاً لا ينقض ـ أي ميثاق الله الأخلاقي ـ برفعهم جنساً بعينه فوق البشرية جمعاء[2].

وليس هناك ما يضر المسيحية والإسلام أكثر من عبث هؤلاء العملاء بالمفهوم المسيحي ـ الإسلامي بأن عيسى عليه السلام المبشر به عند الأنبياء السابقين هو كلمة الله إلى أمه العذراء مريم لكي ينجز رسالة الله المقدسة على الأرض[3]، ألا وهي تحرير الإنسان من قيود الحرفية والجمود والعنصرية التي فرضها زعماء اليهود على شعبهم، وأن يفتح من جديد أبواب الخلاص والرحمة للناس جميعاً. هؤلاء المسيحيون السذج الذين أذعنوا للدعاية الصهيونية إنما يقوضون المسيحية نفسها فلو كان فهم الصهاينة لعلاقة الله باليهود صحيحاً فإن ذلك يجلب التساؤل والشك في مسألة الرسالة المنسوبة للمسيح أو مسيحية المسيح عليه السلام. والتفهم الصهيوني هذا لا يجيز للكنيسة قط أن تدعي أنها

---

(1) ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَـٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ﴾ [المائدة: 44].

(2) ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ وَٱلصَّـٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: 62].

(3) ﴿وَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَـٰهُنَا وَإِلَـٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: 46].

بمثابة إسرائيل الجديدة[1]. ولو أن كل فكرة هامة جاء بها المسيح عليه السلام يدعيها حاخامات اليهود لأنفسهم ـ كما يعتقد علماء المدرسة التاريخية ـ فإن بعثة المسيح عليه السلام لم تعد مقدسة كما يعتقد المسيحيون اعتماداً على التراث المسيحي[2].

ولحسن الحظ، إنه من المستحيل إثارة الشك أو مهاجمة اعتقاد المسلمين ويقينهم في هذه الأمور لأن مسألة الخلاص المنسوبة للمسيح أو مسيحيته هي بالنسبة لهم مسألة إيمان. كما أن بهتان الصهيونية وادعاءاتها واقع حي يتعرض له العربي المسلم كل يوم عن طريق اعتداءات الدولة المستعمرة وإجحافها المستمر.

ولا يجب أن يقلل هذا من ضرورة تعاطف المسيحيين والمسلمين مع اليهودي المضطهد بسبب دينه فإن الاضطهاد الديني منكر تدينه كل من المسيحية والإسلام. واليهودي المتعرض لهذا يجب أن يُرد له اعتباره وأن يعوض أينما تعرضت حقوقه الإنسانية للانتهاك. ومن الخطأ أن يتهم يهودي اليوم لجريمة ارتكبها زعماء أجداده منذ ألفي سنة. والخطأ الأكبر أن يطالب يهودي اليوم بتعويضات لمظالم ارتكبها المسيحيون خلال القرون[3].

كما يجب على المسيحي ألا يبدي تسامحاً لمحاولة اليهود الرومانية أن يعيدوا تفسير التاريخ واللاهوت المسيحي كله في ضوء مجزرة هتلر. وقد يحق لليهودي هذا الشعور الروماني بين أنداده من اليهود الأوروبيين فقط أما بالنسبة لبقية يهود العالم وبخاصة يهود العالم الإسلامي فلهم حق اعتبار رأي آخر يعتمد أساساً على تجربتهم الخاصة. إذ أنه من المجحف وعدم التسامح الروحي أن

---

(1) Walter Abbott, S.J. ed. **The Documents of Vatican II**, New-York: Guild Press, 1966, P.663..

(2) من المعروف أن هذه الأصوات تعبر عن آراء علماء مستقلين وعلمانيين وليس على أنها أصوات رسمية للكنيسة.

(3) في هذا الخصوص تعد أعمال سكرتير العلاقات الكاثوليكية اليهودية (فرير) إدوارد فلا نرى مثالاً للتعصب المسيحي ـ المناصر للصهيونية.

يفرض رأي يهودي أوروبي على مسيحيي العالم أو يهود العالم[1].

باختصار، فإنه لا يحق للمسيحيين وحدهم وفي عزلة عن المسلمين أن يحددوا علاقاتهم مع اليهود إذ أن الرأي الإسلامي مناسب ولا بد من أخذه في الاعتبار. وقد رأى الفاتيكان في عام 1960 تعديل الطقوس الكاثوليكية ومنها مثلاً محو كلمات اليهودي الخائن من صلاة الجمعة الحزينة وهذه لمحة نبيلة المقصود منها تخفيف حدة التوتر في العلاقات المسيحية اليهودية. ولكن لنا أن نسأل: هل حاول الفاتيكان أن يطالب اليهود بتغيير بعض مراسمهم «قراءة التوراة» عن طريق محو بعض العبارات المثيرة للحقد والتي تتعلق بالجوييم أي بغير اليهود من البشر وذلك يشمل حسب فهم أي يهودي: المسيحي والمسلم بل والجنس البشري كله[2].

---

(1) اعتبر مثلاً سيل الأعمال التي غمرت المسيحي خلال العقدين الأخيرين المنتظر منها كسب العطف ليهود العالم عن طريق تغيير فهم المسيحي لدينه وتاريخه وأهم هذه المفاهيم هو الادعاء المسيحي بأن اليهود قد ارتكبوا جريمة قتل المسيح إذ أن المسيحيين قد اعتبروا جيرانهم اليهود مذنبين شخصياً عن عمل ارتكبه أجدادهم منذ عشرين قرناً، على الرغم من غرابة هذا الأمر. ومن أجل محو هذه السخافة كل ما هو مطلوب تأكيده هو اعتناق مبدأ المسؤولية الفردية لأعمال يرتكبها شخص بعينه من أجل إنكار ذنب فاحش. وبدلاً من هذا فإنهم اختاروا إنكار ما اعتنقوه كحقيقة مسيحية خلال عشرين قرناً من الزمان ألا وهو أن اليهود مسؤولون عن صلب المسيح. وقد ألقوا اللوم على الرومان أو نسبوها للعالم أجمع، انظر:

Gerard Sloyan S.J. and Paul Winter **On The Trial Of Jesus,** Berlin Walter de Gruyter, 1961.

(2) انظر مثلاً أعمال البروتستانتي James Parkes. وخاصة كتابه:

(The Conflict of The Church and The Synagogue New York, Metaphsical Atheneum, 1969).

وكذلك علم A. Roy Eckardt بعنوان:

(**Elder and Younger Brothers The Encounter of Jews and Christians,** New York, Schocken Books, 1973),

وكذلك أعمال الكاثوليكي M. Oesterreicher الذي أنشأ حديثاً معهد الدراسات اليهودية المسيحية في جامعة ستون هول خصيصاً للقيام بهذا العمل واهتمام المسيحيين بعلاقاتهم باليهود تستحق الاعتبار بل والمدح. وينشرح صدر المسلم لكل محاولة توفيق في هذا الشأن ولكنه ربما يعارض أي توافق يكون من نتيجته مساعدة الدولة الصهيونية التي تحاربه يومياً بطائرات =

2 ـ في مجال التوعية الإسلامية:

ليست المسيحية العالم المسيحي، وعلى هذا فالمسلم يجب أن يميز بينهما. وهذا إنجاز ثقافي عظيم وضرورة روحية لو أريد للحوار المسيحي الإسلامي أن يستمر وأن ينجح[1]. وحتى عندما تكون الكنيسة هي المعادي فإن المسلم يجب أن يتذكر أن الكنيسة ليست هي المسيحية، فالكنيسة تتكون من بشر معرضين للخطأ. أما المسيحية فهي دين الله ولهذا لا يمكن إدانتها تحت أي شرط من الشروط، وقد أدان القرآن الكريم بعض المسيحيين كما مدح آخرين مدحاً عظيماً، وهذا لأن المسيحيين بشر قادرون على الخير والشر، على الحق والباطل أما المسيحية، الدين الذي علمه الله لعيسى الذي قام بتبليغه، فهي معصومة من الخطأ.

أ ـ مسألة الاستعمار المسيحي:

إن العالم المسيحي ـ وليست المسيحية ـ هو المسؤول عن ألد أعداء

= الفانتوم وقنابل النابالم وتواجهه باحتلال الأرض العربية وبناء المستعمرات السكينة ومحو الشخصية العربية لفلسطين.

(1) ويقول عالم لاهوت العهد القديم ستانلي بريس فروست في كتابه:

The Beginning of The Promise (London, Society for th nation of Christian Knowledge, 1960).

إن: «مشكلة الحدود السورية، الإسرائيلة (يعتقد الإسرائيليون) قد وجدت حلاً قاطعاً منذ أن حدد لابان ويعقوب أرض المرعى عند الجليل». ثم أضاف فروست كلمة ينصح بها السوريين والإسرائيليين المعاصرين «ونحن لا نستطيع إلا أن نأمل» يقول الكاتب «أن يتفق السوريون والإسرائيليون المعاصرون على هذه المسألة» ص52 ويقول: Oesterreicher في إحدى كتاباته «إن دولة إسرائيل هي التعبير الواضح عن خلود الشعب اليهودي المراد به من الله. ودولة إسرائيل كما هو الحال بالنسبة لليهودية ـ هي شعار إخلاص (صدق) الإله. . . . والوعد بالأرض يسبق وجود الشعب. والمسيحي لا يجب أن يتجاهل أن أسس الدولة أعمق من أن تكون عمل مجتمع عالمي أو مجرد قرار لمستوطني الأرض. . . متى سينطق المسيحيون بكلمة الحق عن أرض إسرائيل؟».

See (The Discovery of Judaism?

South Orange, Institude of Judes-Christian Studies of Seton Hall University, pp.37-38).

المسلم المعاصر، الاستعمار والتبشير. فقد عمل الاستعمار على تفتيت التكامل الشخصي لكل إنسان في البلاد المستعمرة، وعن طريق الاستعمار اغتصب العالم المسيحي ـ وليست المسيحية ـ من المسلم حرية التعبير عن فكرة وحرية الاجتماع مع أنداده وحرية العمل في أي ميدان ومن بينها ميدان التعليم لنفسه ولأبنائه. وفي كثير من الحالات استأصل الإنسان جسمانياً من أرضه ومسكنه وأحضر أجانب ليستوطنوا مكانه، فأنَّى تجولت في شمال أفريقيا وجدت أشلاء الاستعمار ومخلفاته متناثرة في كل مكان ولكن المثال التاريخي الشهير هو فلسطين حيث داست الأقدام على الإنسان البشري ومزقت كرامته وشخصيته تمزيقاً ولا زال الفلسطيني ضحية يعاني أمام أعيننا إلى يومنا هذا. ليس هذا فقط، بل إن الفلسطيني قد أنكر له حق التظلم عن المآسي والاعتداءات التي يتعرض لها. وبالطبع المسيحية تعارض كل هذا، ولكن باقتراف هذه الجرائم كل المسيحي غير مسيحي حتى ولو بارك أسقف كنيسة ما مخاطرته وشجعها.

وإنه لأمر أخلاقي وديني بالنسبة للمسيحيين والمسلمين أن يعملوا معاً لرفع هذا الظلم الشيطاني عن ضحاياه. والمسيحية هنا هي الحليفة الحق للمسلم وصديقته. فالمسيحية تعلم أن حرية الإنسان الشخصية وتكامله حرم لا ينتهك ويجب أن يرد إليه. والمسيحية أيضاً تعلم أن أعمال الاستعمار ـ سواء في شكلها الاستيطاني «في فلسطين، الخليج العربي، روديسيا، جنوب أفريقيا سنغافورة، الملايو، أندونيسيا وقبرص». أو في شكلها الاستعماري الجديد حيث تعمل عن طريق الخونة والحكام الشكليين ـ لا بد وأن توقف بل وتعكس تماماً. ولذلك يجب على الحوار المسيحي الإسلامي أن يعد المسيحيين والمسلمين في العالم لكي يدينوا ويقاوموا أعمال حكوماتهم الاستعمارية باسم المسيحية حيثما كان هذا ممكناً وإن دعوة صريحة باتة في هذا الشأن من قداسة البابا سيكون لها من التأثير العظيم في إثارة الضمير المسيحي لمقاومة هذه العمليات الشيطانية التي تقوم بها الحكومات المسيحية وسيكون من آثار هذه الدعوة تجميع المصادر وتوزيع جهود المسيحيين المخلصين لمساعدة الضحايا

في الحصول على حقوقهم وإعادة كرامتهم المفقودة لهم كآدميين ولا يمكن للفرد المسيحي أن ينفصل عن هذه المسؤولية بدعوى أن دينه شخصي بينما السياسة والحكومة ينتميان إلى قيصر. ومن دواعي السرور أن الفكر المسيحي بعد الثورة الصناعية قد حرَّر نفسه من فرديته القديمة المتطرفة(1).

فالسلام في الأرض وتقدم الشعوب مقالتا البابا المنشورتان عام 1962مسيحي، 1970مسيحي لتقفا آثاراً شامخة عظيمة، دلالة على انغماس المسيحية وتداخلها في مجرى سير المجتمع والتاريخ(2) وإذا كانت المسيحية

---

(1) لقد شمل الغموض كتابات جميع علماء اللاهوت المسيحيين الذين تعرضوا لهذه المسألة خاصة موضوع استمرار اختيار اليهود وذلك ولاء لكلمات بولس Romans 9-11 التي تخص اليهود. ومع ظهور إسرائيل كدولة في عام 1948 والضغوط الهائلة التي تمارسها الصهيونية على المثقفين الغربيين... بجميع أنواعهم، فإن واحداً من جوانب المشكلة ألا هو إبدال إسرائيل بالكنيسة وحلولها محلها يبدو وكأنه في طريقه إلى الزوال وهذا بمثابة انتصار لمذهب الاختيار الأزلي لإسرائيل. انظر في هذا الشأن:

Jakob Jocz.
A Theology of Election
Israel and the Church (London, S. P. C. K., 1958).

في هذا الكتاب يحاول المؤلف وهو يهودي تحول إلى المسيحية أن يثبت: الأهمية القصوى لوجود الشعب اليهودي كشعب لا يستطيع الهروب من علاقات الاختيار (الغلاف الخارجي) وانظر أيضاً:

Otto Piper, et al, **The Church Meets Judaism.**
(Minneapolis Augsburg Publishing House, 1960.

ويكتب Clemens Thoma عن عبارة التوفيق قائلاً أنها: «تؤكد الاعتراف المختص بالتوراة أن دعوة الله وهبته الكريمة قاطعة... وأن الشعب اليهودي لا زال يمثل قضية الله الخاصة... وأن امتياز المسيحيين الخاص كشعب الله إنما هو لأنهم شركاء في الميراث وأعضاء متضامنون وحلفاء لليهود».

(**Kirche aus Juden und Heiden,** Vienna, Herder, 1970, P.16. quoted in John M. Oesterreicher, **The Rediscovering of Judaism.** South Orange, The Institute of Judeo-Christian Studies of Seton Hall University, 1971, P.18).

(2) انظر مثلاً أعمال Elie Wizel الكاتب المسرحي اليهودي، وأيضاً أعمال الفيلسوف اليهودي Emil Fackenheim وعالم لاهوت العهد القديم البروتستانتي J. Coert Rylaarsdam وكذلك John Osterreicher و Edward Flannery وهما عالما لاهوت كاثوليكان تخصصا في موضوع العلاقات اليهودية المسيحية.

قد استطاعت أن تدفع الإنسان بنجاح للسعي في سبيل العدالة وحماية التكامل الشخصي للأفراد المسيحيين في ديارهم، فإن نفس هذا الإنسان صاحب ذلك العقل قادر على القيام بهذا الواجب تجاه المسلمين في آسيا وأفريقيا وهو واجب تحتمه فكرة العالمية والبعد عن العنصرية والأمانة لتعاليم المسيح عليه السلام والتي بدونها لا يكون المسيحي مسيحياً[1].

ب ـ مسألة التبشير المسيحي:

التبشير هو الجبهة الثانية التي عليها ارتكب العالم المسيحي ـ وليست المسيحية ـ ذنباً ضد الحرية الإنسانية والتكامل الإنساني. والتبشير في حد ذاته أمر أخلاقي وديني لأنه سعي الإنسان لإتاحة الفرصة للآخرين لكي يستفيدوا من الحكمة العظمى والحقيقة الدينية التي يمتلكها المبشر. ومن طبيعة الحقيقة والدين ـ وعليه فهي طبيعة المسيحية والإسلام ـ أنهما يسعيان في سبيل الإعلام عن مضمونها وتأمين الاعتقاد بهذا المضمون وممارسته بواسطة أكبر عدد ممكن من الأفراد. والتبشير جزء لا يتجزأ من دين الفطرة. والمسيحية والإسلام ديانتان تبشيريتان من الدرجة الأولى إذ ينتمي لهاتين الديانتين العقلية النبيلة التي تسعى لتشارك ما تملكه روحياً مع غيرها لأنها تعلم علم اليقين أن ما تملكه من تراث روحي صحيح وخير مطلق. والحقيقة دائماً مبشرة بمعنى أنها ترغب في أن تكون معروفة.

لقد خان العالم المسيحي ذلك المثال النبيل عندما وجه بعثاته التبشيرية إلى المسلمين. وهذه الخيانة ليست من عمل المسيحية ولكن من عمل ممثليها البشريين المعرضين للخطأ والسذج إذ كثيراً ما وقع المبشرون المسيحيون في شبكة أعمال القوى الاستعمارية. وقد استخدمتهم تلك القوى لتحقيق مصالحها. وحينما تعاون المبشرون مع الاستعمار وساعدوه على تحقيق

(1) انظر تحليلاً لموضوع المجتمع في الأخلاق المسيحية في:

I. R. Al-Faruqi, **Christian Ethics A Historical and Systematic Analysis of its Dominant Ideas**, Montred Mc Gill University Press.

أغراضه الاستعمارية فهم قد أذنبوا في رأي المسيحية والإسلام. وبعد حصول البلد المستعمر على استقلاله وطرده للمستعمر غيَّر ذلك المبشر المنافق ثيابه وعاد كخبير في الطب والتعليم والزراعة والعمل الاجتماعي وخطط التطوير مستغلاً حاجة العالم الناشىء الماسة لهذه الخدمات أو منتهزاً لظروف التوتر الداخلي والاضطرابات والفتن السابقة أو التالية للحصول على الاستقلال القومي. في مثل هذه الحالات لم يكن سعي المبشر وراء الحقيقة الإلٰهية بل كان الغرض الإلٰهي بالنسبة له هبة أساسية لتحقيق النفع السياسي والاقتصادي والثقافي القومي والذي أصبح الآن هدفه الأسمى.

ولسوء الحظ، فإن المجهود التبشيري للعالم المسيحي في العالم الإسلامي لا يقوم على نية سليمة إطلاقاً. فإن العلاقة الحتمية بين التبشير والاستعمار في الماضي وتدبير الاستعمار الجديد للدسائس المخربة في الحاضر وحقيقة أن أجزاء من العالم الإسلامي كفلسطين والخليج لا تزال تحت حكم الاستعمار، كل هذه تجعل من حركات التبشير المسيحية في جيلنا حركات مشكوكاً فيها ومسببة للنفور والكراهية، هذا بالإضافة إلى أن العالم الإسلامي لا زال مختلفاً إلى حد كبير وفي حاجة ماسة إلى التنظيم وإلى التكامل والوعي القوميين وإلى التطور الاقتصادي والسياسي، وهذه جميعاً تجعله مسرحاً متقبلاً لعمليات التخريب. كل هذه الأمور تجعل الوجود التبشيري في العالم الإسلامي شيئاً نشازاً لا يتناسب ووقائع «حقائق» التاريخ. لهذه الأسباب لا بد من إزالة الوجود التبشيري وإنهائه تماماً من العالم الإسلامي كله، فإن وجود المبشرين ونشاطهم المستمر بمثابة قرحة شنيعة وعقبة في سبيل التفاهم والتعاون المسيحي الإسلامي. ويجب على البعثات التبشيرية ـ من أجل أن تحافظ على كيانها أن تؤجل نشاطها إلى وقت آخر. فالنتيجة الهائلة للتبشير المسيحي في العالم الإسلامي هو ما أطلق عليه بحق «طائفة الشلن» وهذه إساءة حقيقية لله. ولذا يجب على هؤلاء الذين يتحدثون باسم المسيحية ويديرون بعثاتها التبشيرية أن ينقذوا ذلك حتى يفصلوا المسيحية دين الله من استغلال العالم المسيحي وإفراطه وكفره.

ج ـ مسألة الاستشراق المسيحي :

المسيحية أيضاً بريئة من الاستشراق الذي هو مجهود العالم المسيحي في سبيل فهم الإسلام ثم تدميره في نفس الوقت. فمع ظهور الجامعات الأوروبية في القرن التاسع عشر اتحد الكثيرون من اليهود والملحدين والمفكرين المتحررين من القيود الدينية ـ أفرادٌ هم أبعد ما يكونون عن المسيحية ـ اتحد هؤلاء مع المسيحيين في دراسة دين وحضارة الإسلام. ولا شك أن الاستشراق مسؤول عن منجزات علمية كثيرة وبخاصة في اكتشاف وإقامة وتحقيق النصوص الإسلامية الكلاسيكية. ولكن الاستشراق كشارح للإسلام ومفسر له قد ساعد على تدمير ثقة المسلم بالعالم المسيحي[1] ويعمل المستشرقون ـ مع بعض الاستثناءات النادرة ـ لتحقيق هدف مزدوج: تدمير الإسلام في عقول معتنقيه ثم تسويد وجه الإسلام في عقول المسيحيين.

ولتحقيق الغرض الأول، هاجم الاستشراق شخصية القرآن الكريم والسلوك الشخصي للنبي عليه الصلاة والسلام كما أثاروا الشك حول صحة الحديث ونسبوا إلى صحابة النبي دوافع الانتقام الدنيئة في سبيل الكسب (الشخصي) والقوة، وقد عظم الاستشراق الانشقاق بين المسلمين وذلك بالدفاع عن البدع الدينية وزيادة التأكيد على التصوف الذي من خلاله فقد الإسلام جوهره وأصبح لا يمكن تمييزه عن بقية الأديان. وكذلك تنكر المستشرقون لعظمة الحضارة الإسلامية ففسّروها على أنها صورة ملفقة من بيزنطة وفارس. ومع أنهم بذلوا جهداً كبيراً لاقتناء أعمال الفن الإسلامي وتحديد تواريخها

---

(1) يمكن قراءة التاريخ المكتوب لهذا التفسير في أعمال:

Norman Daniel, **Islam and The West the Making od an Image,** and **Islam, Europe and Empire.**

وقد نشرت هذين الكتابين جامعة ادنبرج سيتي 1960، 1966 على التوالي. انظر أيضاً:

A. L. Tibawi, «English-Speaking Orientalists

A Critique of their Approach to Islam and Arab Nationalism», **The Muslim World,** Vol. 53 Nos. 3,4 1963, PP. 185-204, 298-313.

وتصنيفها وعرضها في متاحف الغرب، إلا أنهم قد فسروها بحقد واحتقار تارة على أنها أعمال أنتجت رغم الإسلام ودون رغبته وتارة أخرى على أنها مأخوذة من فنون ما قبل الإسلام ومن ثم فقد حكموا عليها بأنها غير أصيلة، ومع أن هذه الأضرار وتلك الإساءات صحيحة بلا إنكار فإنه ليس من الصواب نسبتها إلى المسيحية. وعلى المسيحية والمسيحيين الأمناء أن يتقدموا بفضح أمر هذه الإساءات وأن يتعاونوا مع المسلمين على إنكارها والتبرؤ منها.

ومع أنه من الممكن إيقاف وتصفية البعثات التبشيرية التي تمولها وتقوم بتنفيذها دولة الفاتيكان فإنه من الصعب إيقاف أعمال المستشرقين بحكم أنها أعمال فردية وغالباً ما تمولها كليات ومؤسسات مستقلة. ولكن ما يمكن عمله في هذا الشأن هو منع تداول هذه الأعمال وذلك عن طريق إنتاج ونشر الأعمال العلمية الأمينة التي تفسر الإسلام تفسيراً سليماً والتي يؤلفها معاً علماء مسلمون ومسيحيون. مثل هذه الأعمال ستكون خدمة للعمل العلمي ولعالم المعرفة كأعمال إنسانية من شأنها أن تُثري كل ثقافة وترفع من شأن التفاهم والاحترام والتعاون المسيحي الإسلامي. وسيساعد هذا على التخلص من التعصب الذي زرعته وغذته قرون من الضغينة والحرب ضد الإسلام هذا بالإضافة إلى التحريف الذي قام به المبشرون والمستشرقون.

في مجال الشؤون الإنسانية العامة:

إنه لمن سوء حظ الإنسانية أنه ليس هناك بعد أي جهة مسؤولة تتحدث وتعمل من أجل الرجل العادي الذي يشغل قارات العالم الست. ولقد شهد العقد الحديث أكثر من حركة زعمت أنها تتكلم من أجله ولكنهم تلاشوا دون أن يحققوا الكثير مما ادعوا. وقد انتهت حركة التنوير الأوروبي بسرعة إلى الرومانسية التي مجدت العنصر والمشاعر والأرض وشوهت بذلك أصول القومية وثقافة العصور الوسطى.

ولقد فقدت الثورة الفرنسية خصائصها عندما أصبحت أمبراطورية ولم

يقدم الفكر الاشتراكي والمثالي الصادر عن الثورة الصناعية شيئاً بينما كانت الآلات داخل أوروبا تستغل الآدميين. أما خارجها فكان العمل الدائب لامتلاك أسواق المستعمرات والمواد الخام. ولقد تنكرت الثورة الأمريكية لنفسها عندما عملت في احتكار العالم الجديد وأنشأت مستعمرات في آسيا وتنصلت الثورة الشيوعية أيضاً من مثاليتها وعالميتها وتمثيلها للرجل العادي عندما بدأ اثنان من أكبر أقطابها إعطاء الأولوية للاستهلاك الداخلي وناديا بدعوى روسيا الأم والصين الأم، وأخذا يلعبان لعبة الأمم في العالم، ثم قام رجال مثل نهرو وسوكارنو وتيتو وعبد الناصر ليمثلوا مصالح الرجل العادي في العالم ولكن لم يكتب لهم طول البقاء.

لقد حان الوقت لأن تحمل جهة مسؤولة راية الإنسان العادي في العالم. وإنه لمن المعروف أن هذا المؤتمر يمثل الشعور الديني والخلقي للبلاد المسيحية والإسلامية خير تمثيل. وهذه الجهة المسؤولة يجب أن تعلن عن نفسها كأساس روحي عالمي وتدعو الناس جميعاً للالتفاف حولها حتى يكون لها الصفة الرسمية. هذه الجهة المسؤولة التي تعتمد في أسبابها على الإسلام والمسيحية وتستمد إلهامها من إيمانهم المشترك بالله الواحد الصمد والشعور بتقواه ومن احترامهم للمبادىء الإنسانية، بكل هذا تستطيع أن تتكلم في العالم على أنها الأساس الأخلاقي والروحي للوجود. إنها تستطيع أن تدافع عن الإنسان العادي ضد الظلم في كل شيء وتقف ضد العدوان والاستعمال والاستغلال والتخريب وعمليات غسيل المخ والسيطرة والتحكم في الإنسان العادي. هذه الجهة المسؤولة يمكنها أن تدفع الرجل العادي إلى احترام نفسه والفخر بتراثه ومحاولة تنميته. وإلى تقبل دول الإسلام والمسيحية كقوى حضارية فعالة.

وبطبيعة الحال فإن عمل هذه الجهة المسؤولة يقع في أقسام تحاول الإجابة عن الحاجة الإنسانية لحل مشاكل الإنسان في العصر الحديث. هذه المشاكل المنذرة بسوء كبير منها ما يتعلق بالمعرفة والسلوك الخلقي والأسرة والعنصرية والمادية والاستعمار والتنافس بين الأمم والعدمية.

أ ــ مشكلة المعرفة:

يتبدى الموقف المعاصر الآن مغايراً لما كان عليه في أثينا أيام السفسطائيين فالفلسفة الشكية الغربية الحديثة لها جذورها المستمدة من دعوى تحرير العقل الغربي من سلطة الكنيسة واللاهوت. ولعل سبب ازدهارها أنها حققت انتصارات هائلة في مجال العلوم الطبيعية حيث خاض العقل معركة حاسمة في القرن السادس والسابع عشر من أجل حق الإنسان في أن يفكر خارج نطاق تسلط الكنيسة ومقولات أرسطو. وفي مقابل الهجوم المتوالي من جانب الفلسفة التجريبية الإنجليزية أخذ العقل في الغرب في التأمل ممتزجاً مع تيار الرومانسية وبهذا جعل نفسه في مكانة أضعف وأكثر قابلية للنقد والتجريح. وجاء الإخفاق النهائي للفلسفة مع الحرب العالمية الأولى التي ضربت بالمثالية عرض الحائط في جامعات أوروبا حيث كانت وقتئذ يغلب عليها الفكر الهيجيلي. وقد وسم الفكر الفلسفي الغربي منذ الحرب العالمية الأولى بالفلسفة الشكية. وهي في حقيقتها فلسفة تجريبية متطرفة لا تعترف بأي حقيقة إلاّ تلك التي مصدرها الحس. وعلى الرغم من أن الحسّ يستطيع فقط أن يعطي الاحتمالات والتي بدورها لا يمكنها أن تقيم أساساً أو قاعدة للميتافيزيقا والأخلاقيات والجماليات. ولقد فقدت الفلسفة بذلك أعظم اهتماماتها وانحصرت في المنطق والتركيبات اللغوية. أما عن مشاكل المضمون فإنها انتهت إلى أن تكون مسائل للأشكال الخطابية والاصطلاحية. وبدلاً من الاهتمام بالحكمة اقتصرت الفلسفة على «التحليل».

وبدأت مدارس أثينا، وبمعنى أصح صورة هزلية منها، تظهر مرة أخرى لتبرز نزعة فكرية لا يحكمها مبدأ عقلي، تسربت الفلسفة الشكية في الغرب في كل الميادين، وكان أكثر من عانى من ذلك هو الأخلاق ونظرية القيم حيث أصبحا مفارقات حول الفلسفة النفعية بجانبيها الفردي والديمقراطي، كما عانى التاريخ منها أيضاً. فقد تنصل التاريخ الذي يتحرك بالدعاوي الرومانسية من البحث عن حقيقة الماضي أو الواقع المستمر وأخذ يقترب من الكتابات الخالية

وكتابات الدعاية. ولم يكن الدين بمنأى عن تلك الفلسفة. فهو أيضاً انحصر في دائرة الأمور الشخصية التي ليس لها من قيمة إلا الوهم والتقليد. وعكست الفنون بدورها هذا الاضمحلال ووجدت نفسها حرة من كل المقاييس، وبدأت تتبنى الصور والأفكار الفاسدة للإنسان. وتبرر انحلالها بدعوى استقلال العمل الفني تارة وحرية الفنان تارة أخرى.

ويجب على الإسلام والمسيحية أن يثورا ضد هذا التطور المحزن وكلاهما يزعم تفرده بالحقيقة ويجزم بأن الحقيقة النظرية والقيمية موضوع للمعرفة الإنسانية واليقين. وهذا لا يتفق مع الفلسفة الشكية في أي شيء، ولن تقوم لدعواهما قائمة إلا عن طريق إثبات صحة ما يدعيان، ومن ثم فإن أعمال العصور الوسطى المسيحية والعقلية الإسلامية لتفسير الدين والحياة يجب أن يعترف بقيمتها وتستمر. ولم يعترف الإسلام بصفة خاصة بالعقل فقط بل عدّه «كمالاً». أنعم الله به على الإنسان حتى يكتشف به حكمة الله في خلقه. كذلك فإن للعقل قيمة أخرى في الإسلام وهي أنه يساعد الإنسان للتحقق من صحة ما جاء بالوحي. ومعرفة الإنسان لله نفسه لا يمكن أن تتم دون العقل. ففي القرآن الكريم، قامت قضية الدين لا على أنها أسطورة أو حجر عثرة في طريق الإنسان ولكن على أنها حقيقة ضرورية لها صفات عقلية ونقدية[1].

ب ـ مشكلة السلوك الخلقي:

كانت حركة النهضة الأوروبية انتصاراً للنزعة الإنسانية والطبيعية اليونانية ونكسة للمسيحية فهي استبدلت الإنسان بالله وجعلت منه مقياس الأشياء جميعاً. وقد تأصلت هذه النزعة في النفس الأوروبية ولم تتركها قط ونمت ودعمت نفسها بكل ما هو قوي وسائد. وقويت هذه النزعة الإنسانية بالتأكيد الخاص على الرغبات الإنسانية كحقائق وضعية وكان لسباق المفكرين فيما

(1) هذا الموقف قد مثل خير تمثل في قصص ألف ليلة وليلة، فهو معروف بالنسبة للإسلام والثقافة الإسلامية وعلى سبيل المثال انظر ابن عبد ربه جامع بيان التعلم والفضيلة.

بينهم لجعل النظريات الأخلاقية أكثر وضعية أن الرجل المتعلم المسيحي لم يذهب في تفكيره الخلقي أبعد من رغباته الخاصة وما يجب أن يكون كذلك ما هو في الحقيقة معياري. انتهى إلى أن يكون وظائف للرغبة الإنسانية[1].

وتابع التفكير الأوروبي العلوم الطبيعية في نهاية القرن في تأسيس الأخلاق على حقائق مستمدة من المادة والحياة والقوة. وفقدت هذه بسرعة عالميتها وأصبحت محلية مثلها في ذلك مثل الرومانسية. فقد كانت الرومانسية مالكة لإحساس الفرد والأمة. وقد أكدت أن الغرائز والرغبات متساوية مع القيم الأخلاقية وإن إشباعها بالتالي ضروري. وترفض أن يكون هناك أي مبدأ يستطيع أن يتغلب على تلك القوى المتصارعة. ومع عدم وجود هذا المبدأ المتسامي على الغرائز فليس هناك تفاضل بين الغرائز والقيم. وهذا يشبه ما كان سائداً بين آلهة اليونانيين، أي الغرائز المؤلهة وما حصل بينها من تآمر وانقلابات مضادة بينها. فهي قوى بغير ضابط تُشير نحو مصير أعمى حيث لا ضوابط على الأخلاق إلا مصلحة الإله الشخصية. وهكذا مزقت الشهوات الفرد إلى أجزاء متعددة دون أن تقدم له وسيلة لحل هذا الصراع.

وبينما كانت اليونان القديمة تعتمد على Paideia أي الأدب وتهذيبه لتنقية وتجميل واستبدال الصراعات التي يعيشها الإنسان، وكذلك كان إنسان النهضة خاضعاً لنواميس الكنيسة المسيحية، فإن الرجل الغربي يعيش اليوم الصراعات دون تطويع أو تهذيب. ولقد ذهب نيتشه في تعاليمه إلى الادعاء بأن للإنسان الحق في صنع أخلاقه واضعاً الغرائز فوق كل اعتبار ومضفياً عليها صفة الصدق والصواب.

وللرومانسية أيضاً استبدادها الخاص، فهي ترى أن الأمم تستطيع أن تؤكد

---

(1) انظر تحليل المؤلف المقارن في مقالته بعنوان:
«The Problem of the Metaphysical Status of Values in the Western and Islamic Traditions».
Studia Islamcia Vol. xxx viii PP 29-62.

الإرادة القومية أخلاقياً حتى ولو أدى بها ذلك إلى أن تقتل وتنهب وتغش وتستغل ضحاياها.

وقد تراجعت الأخلاق المسيحية ومُثُلها المتمثلة في المسيح داخل نفس الرجل الغربي. ومن ثم، فلقد أثرت على شعوره وليس على فعله، لذا أصبح الرجل الغربي منقسماً على ذاته[1] هذا وإن إبعاده الوصايا الإلٰهية من ميدان سلوكه وكذلك مبدأ إبعاده لأي مبدأ مثالي كان من الممكن أن يحل صراعاته الشخصية أدى به إلى الانغماس بين الاسترخاء والملل من جهة ومحاولة اتباع شهوته والشقاء بها من جهة أخرى. وفَقَدَ بذلك أي هدف سامٍ إذ لم يعد فكره النبيل إلا آلة تحسب بها درجات لذاته ومما لا شك فيه أن الرجل الغربي يملك نزعة إنسانية ولكنها للأسف تردت في السوء.

ولحسن الحظ لم تمر الأخلاق في الإسلام بهذا التغيير الكبير لكن مرض الرجل الغربي أخذ في الانتشار بين الشباب المسلم المتعطش للتقليد الغربي. وقد قامت الرغبة في التحضر والتقدم على أساس من الاندفاع وعدم الوضوح وأدت بالمسلم إلى التقليد دون أن يدرك المسلَّمات المتضمنة لهذا التقليد.

ولعل هذه العملية قد انتشرت إلى حد كبير ولكنها إلى الآن ليست منذرة بالخطر لذا يجب أن تحدَّ بسرعة.

والتعاون الإسلامي المسيحي يواجه عملاً مضاعفاً في الجبهتين الإسلامية والمسيحية فكلاهما يحتاج إلى مقاومة التطور الغربي. ويمكن أن يتم ذلك عن طريق إعادة توجيه الشباب في العالم إلى الله وقانونه وتقوية الشعور بخشية الله حتى يمكن للضمير أن يسيطر على كل ما يصدر من أفعال وعلى الحياة نفسها. وفي هذا المجال فإن أخلاقيات الإسلام لها أكبر مقام حيث يمكنها أن تساعد المسيحيين والمسلمين على الخروج من مأزقهم.

---

(1) انظر تحليل المؤلف لموقف الإنسان الغربي في مقالته بعنوان:
«On the Significance of Niebuhr's Ideas Of Society» **Canadian Journal of Theology** Vol. vii (1961) No. 2, PP. 99 - 107.

ولم يتنصل الإسلام بالمرة للطبيعة البشرية في ذاتها بما فيها من غرائز وشهوات. كذلك لم يسمح الإسلام بأي محاولة لتأليهها. فالإسلام يمتدحها[1] ويعد الحرمان منها نوعاً من أعمال الشيطان[2]. بل هو يرى أن الدين يحتوي على السعادة في الدارين، في الحياة الدنيا وفي الآخرة[3] وطلب السعادة في هذه الدنيا في ظل الإسلام هو موضوع القانون الخلقي. ويتحقق ذلك عن طريق خشية الله. وفي الماضي أعطى ذلك لمنهج المسلم في الحياة نوعاً من الصفاء والتنوير والأخلاقية والروحانية ويجب أن يكون هدف التعاون الإسلامي المسيحي إحياء تلك الأخلاق، وإعلاء النزعة الأخلاقية للإنسان، فهي وحدها سبيل القوة الحضارية الخلاقة...

ج ـ مشكلة الأسرة:

ولقد أثرت التطورات الأخلاقية في الغرب تأثيراً سيئاً في الأسرة. فالإشباع لنداء الطبيعة والغرائز ليس إلا مسألة فردية بحتة. وعليه برزت فكرة النسبية في الأخلاق وهذا ما هو متوقع، أما الأسرة فقد بنيت على الشعور بالعطاء أكثر من الأخذ. فلا يمكنها إذاً أن تعيش في جو يقوم فيه ميزان الأخلاق على اتباع الغرائز الطبيعية والنزعات وحدها. فبما أن الإشباع فردي فلا بد له من أخذ شكل النسبية، ولهذا فإن مطلبه نابع من الذاتية. وبالتالي فالمبدأ في صميمه معارض لأسس الحياة الأسرية.

وقد هزت التقاليد وقيمها نتيجة الفلسفة الشكية والتحلل العام من السلطة في الغرب. كما اقتلعت الحياة الحضرية والتصنيع ملايين من الآدميين وألقت بهم في مدن لا يعتبر فيها المجتمع نفسه مسؤولاً عن القيم التقليدية وقد أدت المطالب الملحة للكسب المادي إلى سحب الآباء من أطفالهم والشباب الصغار من أسرهم، فظهرت فجوات حضارة الغرب أكثر فأكثر. وبسبب عدم وجود أي

(1) الأعراف: 32.
(2) البقرة: 268.
(3) البقرة: 201، الأعراف: 155، الإسراء: 122.

مبادىء تتسامى عن الطبيعة فإن تلبية السعادة الطبيعية الفردية غالباً ما تتعارض مع صفاء الأسرة. ويترتب عليه أن نظام الأسرة آخذ في التحلل وقد غيرت الأسس الأسرية وحلت الكارثة التي يعاني منها الغرب نتيجة حركة تحرر المرأة وفقدان الوازع الاجتماعي بالنسبة للزنا وتحديد النسل والإجهاض والطلاق والضغط على المرأة ليكون لها وظيفة خارج منزلها تعتمد عليها وتشويه سمعة الأمومة والأجداد والأقارب.

وعندما بدأ العالم الإسلامي يتحرك بقوة نحو التصنيع أخذ يتأثر بنفس المرض وبدأت مظاهر الانحلال تأخذ طريقها إليه. وكان أول هذه المظاهر هو تفتت الأسرة الكبيرة. فلقد كانت الأسرة الكبيرة الحارس على أخلاقيات الأسرة الصغيرة. وكانت مصدر الحنان للطفولة والتعليم وملء الفراغ والأنشطة وكان نبعها الكبير التواسي في الآلام والشدة وكانت ربطاً للماضي والمستقبل. وفي الحقيقة فإن الأسرة الإسلامية الكبيرة تعاني في الوقت الراهن أزمة. ولو تفتتت فإن هذا يعني أن عواصف الانحلال والفساد التي هبت من الغرب لا يمكن إيقافها.

وعلى التعاون الإسلامي المسيحي أن يحد من هذه الكارثة ويوقف انتشارها في العالم الإسلامي. ويجب أن يعبىء ويستغل مساهمة الإسلام في مجال الأسرة ـ مثل براءة المرأة ومدنية عقد الزواج وتقديس احترام الكبار وقانون الطلاق المتزن وتدعيم أساس الأسرة الكبيرة بقوانين الميراث والضبط المحكم من الشريعة وخشية الله ـ حتى يمكن إنقاذ الأسرة المسلمة. ويجب أن نقدم هذا كله إلى أخواتنا وإخوتنا المسيحيين فإنهم سيجدون في الشريعة الإسلامية العون ضد المأساة المستفحلة في مجتمعاتهم.

د ـ مشكلة العنصرية:

ولعل الرومانسية وما أدت إليه من نسبية الأخلاق هما من نتائج فشل عصر التنوير في الوصول إلى إقامة نموذج عقلي مثالي للمجتمع العالمي. ومن المعروف أن الكنيسة، فيما سبق، قد قدمت مثل هذا النموذج. وربما كان كسر

سلطة الكنيسة الذي جاءت به حركة الإصلاح قد أدّى إلى فقدان المثال الكنسي تماماً واستبداله بالمثال الرومانسي وذلك مما شجع حركات القومية القائمة على أساس العنصر فقط. وكان الشعور العنصري هو المُسكت للضمير المسيحي عندما أدانت تجارة الرقيق، وتمزيق الهنود الحمر وغزو واستغلال الآسيويين والأفارقة واستعمار أراضيهم وحرب المخدرات. هذه العنصرية هي التي أدت إلى مذابح هتلر واضطهاد السود في أمريكا على الرغم من لنكولن والحرب الأهلية التي حمل لواءها. ومن سوء حظ المسيحيين والمسلمين أن العنصرية ما زالت النظام السائد في عالم اليوم ومصدر كل شروره السياسية. فإنها الأساس الدفين لكل قرارات الدول المتقدمة في علاقتها مع الدول المتخلفة(1).

والآن ما أشد حاجة العالم إلى عالمية الأديان السماوية والوقت لا زال سانحاً لدعوتهما العالمية فإن الناس جميعاً مخلوقات متساوية أمام الله، وإن الناس جميعاً من تراب وإليه يعودون. ولا فضل لإنسان على آخر إلا بالتقوى فالفرصة مواتية للإسلام والمسيحية كي يقوما بدورٍ سامٍ في هذا المجال. والحق أنهما الديانتان الوحيدتان القادرتان على القيام بذلك الدور(2).

هـ ـ مشكلة المادية:

غالى الرجل الحديث باهتمامه بالماديات بالرغم من أن الدين يقف موقفاً

---

(1) ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: 13]. ولقد قال الرسول ﷺ في خطبة الوداع: «أيها الناس كلكم من آدم وآدم من تراب، لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى» وكذلك قال بولس «يريد الله للناس جميعاً الخلاص وأن يصلوا إلى المعرفة الحقة» (يتموثاوي الأول: 2: 4).

ولقد بين المؤلف كيف أن رسالة المسيحية معارضة في جوهرها للعنصرية اليهودية.

(2) وتوجد آراء قيمة عن أمنيات المسيحية للقيام بهذا الدور في أعمال:

Paul VI, Their Cardinal G.B. Moutinig **The Mind of Paul VI on the Church and the World.**

Milwaukee: Brince Publishing Co., 1964. And **The Christian in the Material World:** Ballimre: Hebicon Press, 1964; and **Dialogues: Reflection on God and Man,** New York: Trident Press 1965.

متزناً منها، فالدين لا ينقص من قيمة الحياة المادية شيئاً ولا يخرج عن هذه القاعدة إلا الديانة الهندوسية والبوذية فإنهما لا يعطيان قيمة للحياة المادية. ولقد اتهم الإسلام والمسيحية دون وجه حق بتحقيرهما من قيمة هذا العالم بينما العكس هو الصحيح. فكلا المسيحية والإسلام باركا الدنيا وما فيها ولم يقفا أمامها إلا عندما رأياها تسيطر على الحياة الإنسانية وتحتكر تقرير مصيرها. وقد أكدت الديانتان أن هناك نسقاً قيمياً أعلى من النسق المادي وأن هذا النسق روحي ويجب أن تكون له السيطرة الكاملة. وفي مسيحية الغرب فإن التطرف والغلو من جانب الدينيين والعلمانيين أدى إلى الصراع والدفع برجل الشارع إلى عدم اعتبار القيم الروحية أثناء تلبية مطالب هذا العالم.

وقد وصل اطمئنان الرجل الغربي إلى ماديته الذروة نظراً للفلسفة التجريبية التي حاولت أن تقدم له تبريراً على كل ما يفعل إيديولوجية إيجابية لتشجيعه، ولازدهار العلوم الطبيعية والتكنولوجيا التي أرضت كل نزواته. ولقد انقاد الإنسان لمطالب المادية وذهب إلى أبعد من هذا باعتباره أن المادة هي المبدأ الأول والأخير المسيطر على الوجود والتنازع. وقد أثر السَّقَم العقلي بشقيه المعتدل والمتطرف على البلاد المسيحية والإسلامية.

ولا يستقيم التشخيص الحقيقي لهذا المرض إلا بموازنة تنقّي روحه، وتهذب نفسه، وتلهم قلبه، وتجلو عقله، ومن ثم يستطيع أن يدرك أن لهاثه وراء المادة سينقلب وبالاً عليه في النهاية.

و ـ الاستعمار والتنافس القومي:

إن الاندفاع المجنون وراء الاستثمار المادي ـ داخل أوروبا ـ لم يكن يرتبط بأية قوانين أو قيم أخلاقية، ومن ثم أدى إلى التناحر والتنابذ، وانهيار كثير من القيم الروحية. وحاولت القوانين الاجتماعية، والتشريعات الاقتصادية أن تقوم بدور في رأب الصدع، والتخفيف من أثره على الذين قاسوا، وما زالوا يقاسون، ولا شك أنها قد فعلت الكثير، ولكن الذي لا شك فيه أيضاً، أن الذين يعانون ما زالوا يعانون.

ولقد وقع أكثر من نصف العالم فريسة بين أنياب الاستعمار الأوروبي طيلة قرنين من الزمان، وقاست شعوب إفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية من جشع استثمارات أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية، وما زال كثير من شعوب العالم اليوم، يعيش تحت نير الاستعمار البغيض ووطأة عملائه.

ولعل فلسطين أوضح مثال لمأساة استغلال الإنسان، واحتقار أبسط حقوقه الإنسانية، وانتهاك حرمته، ونهب لقمة عيشه، وإنكار حقه في حاضر يبني فيه حياته، ومستقبل يأمل أن يحقق فيه ما فاته في حاضره. وليس حال شعوب روديسيا أو جنوب أفريقيا، أو حال المسلمين في الاتحاد السوفياتي أو الفلبين أقل بشاعة من حال الفلسطينيين، فما يحدث في فلسطين، وفي غيرها امتداد للأشكال الاستعمارية القديمة. ولكن هناك أيضاً أشكالاً معاصرة من الاستعمار تناسب التطور الذي يحدث في عالمنا. تسعى الدول الغربية لكي ترث التركة التي تركها الاستعمار القديم الذي عرقل نمو الشعوب المستعمرة اجتماعياً واقتصادياً لكي تظل عاجزة ضعيفة في حاجة دائمة إلى العون من قبل المستعمر، ومن ثم سرعان ما وقعت الشعوب التي نجحت في نيل استقلالها السياسي الشكلي، في فخاخ أخرى وتحت نير عبودية من نوع جديد. وعاد المستعمرون الجدد في ثياب الخبراء والمستشارين، سواء كانوا يحملون أسماء بلادهم، أو أسماء منظمات دولية يسيطر عليها الأسياد القدامى.

ولعل أكثر ما يستثير الرثاء، تطلع الأفارقة والآسيويين للتغريب، لغة، وفناً وأسلوب حياة مما أدى إلى عزلهم عن تراثهم القومي وثقافتهم الوطنية، وهو ما يحدث الآن للأسف الشديد ـ بشكل أكثر وضوحاً، وبسرعة أكثر مما كان يحدث من قبل عندما كانت أوطانهم ما زالت ترزح تحت نير الاستعمار.

لقد أدى الاستعمار ـ خلال هذا القرن ـ إلى الزج بالعالم في حربين عالميتين، وإلى اشتعال عدد كبير من الحروب الصغيرة، في أنحاء كثيرة من العالم كما كان الصراع الاستعماري حول مصادر المواد الخام، والأسواق،

والمناطق الاستراتيجية التي تسهل التحكم في العالم، أسباباً رئيسية أخرى للصراع بين القوى العالمية المختلفة.

والقومية، باعتبارها علاقة أخلاقية نسبية «أو حقيقة اجتماعية نسبية» وباعتبارها لوناً من ألوان المادية التي لا تحدها قيود أو ضوابط لا بد من أن تؤدي بالضرورة إلى الصراع بين القوميات فقد كانت الأمم المتحدة أداة ضغط وتحكم في يد القوى الكبرى على القوى الصغرى طيلة ربع قرن، بدلاً من أن تكون قوة حقيقية تحقق السلام وتصونه أما وقد تغيرت موازين القوى الآن، وأصبح لدول العالم الثالث صوت مسموع ومؤثر في الأمم المتحدة فقد قامت القوى الكبرى وعلى رأسها أمريكا خاصة، تشكو من أن الأمم المتحدة فقدت الفائدة منها، وأصبحت عديمة الجدوى. إن الإسلام والمسيحية مسؤولان عن تحقيق السلام والعدل بين الأمم، فمما لا شك فيه أن إسهام الإسلام في القانون والنظام العالمي عظيم جداً لم يرقَ العالم إليه حتى في عصرنا الحديث.

إن العالم ـ في عصر الذرة ـ سوف ينتهي إلى الهلاك يوماً ما، ما لم تؤثر القوانين الأخلاقية في الاستراتيجية والسياسية العالمية، أو كما يدعو الإسلام، أن يقوم نظام عالمي أو حكمة عالمية، يمكنها أن تحاسب الأفراد والدول على أفعالهم. ويمكن للتعاون الإسلامي المسيحي أن يؤدي دوراً كبيراً في هذا المجال بالإعلاء من شأن الدين، وصوت الضمير وتعميق تأثيرهما في الشؤون العالمية، فلعل هذا أن يخفف من أثر العدوان والظلم، ويساعد على استرداد حقوق المظلومين، والقصاص من الظالمين، والمعتدين، كي يتحقق العدل الذي تهفو إليه البشرية.

ز ـ العدمية:

إن عمق هذه الأمراض التي سبق ذكرها، ورسوخها في نفس الإنسان، قد أدى إلى ما هو أسوأ من الأمراض في حد ذاتها. لقد أدى إلى العدمية وتحت هذا الضغط الهائل، أصاب الضلال والانحراف مثل الإنسان

وأخلاقياته، وتحطمت معنوياته، مما أدى إلى أن يقع الإنسان في كل مكان، وفي الغرب خاصة ـ في وهدة اليأس، وينتهي به الأمر إلى الانتحار، بعد أن أخذ يعي في مرارة، التأثير الساحق للقوى «أو المؤسسة» الاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية والعسكرية التي تحيط به، ناسياً أن ابتعاده، وسباته العميق، هما المصدر الأساسي لكل القوة التي تتمتع بها هذه المؤسسات التي تشبه أصنام إبراهيم عليه السلام تستمد قوتها مما نمنحه لها أو نسبغه عليها فقط لا غير.

إن الإنسان يقف وحيداً، دون سند، غير واع أو مدرك سوء النظام الذي أبعده عن أقاربه وأصحابه وجيرانه. فهو هو ذاته، هو الذي توحد، وذلك بتفضيله للعزلة، والحرية الفردية، والأسرة الصغيرة، والمسكن المرفه على العائلة الكبيرة وعلى الانتماء مما أفقده الإحساس بقيمة الحياة ومعناها، كما فقد كل شيء حوله بريقه عندما تحول إلى تجارة. . . فحتى الموت والميلاد أعظم أسرار الوجود، فقدا معناهما، وقيمتهما. . . وسلب الزنا وما يسمى بالثقافة الجنسية وحبوب منع الحمل، الغريزة طهارتها وجمالها. وشجعت الحروب، وروح التهاون، والإحساس العميق بالفردية، والاغتراب النفسي، الرغبة في الموت، وأفقدت الإنسان الأمل في حل أزمته. ومنذ الحرب العالمية الثانية، فقد الشباب، وهم مورد الأمل وصنّاعُهُ، مثاليتهم، ونضارتهم ولوثتهم أدران الحياة التي قذفتهم بها المدرسة والشارع ووسائل الإعلام، وغيرها مما يحط بهم. ومسرحية «صامويل بيكيت» في «انتظار جودو» ليست في حقيقة الأمر مسرحية فحسب، بل إنها عرض واقعي للحقيقة الإنسانية.

إن الإسلام والمسيحية يمثلان ديانتي الأمل والتفاؤل والابتهاج، خير تمثيل ذلك أن الله لم يخلق الإنسان يائساً أو لكي يعاني من الشعور بالنقص فقد بشرت الديانتان بحياة سعيدة، وثبتتا الأمل في قلوب هؤلاء الذين يعلمون بأن الله معهم، وسينصرهم، فكيف حدث هذا الذي أصاب الإنسان المعاصر من

اليأس... ربما سيظل ذلك لغزاً يستعصي على الحل... ولكن الحقيقة أن هذا هو التحدي الحقيقي لهاتين الديانتين العظيمتين... وهو فيما أعتقد سبب انعقاد هذا المؤتمر... الذي نأمل أن تخرج منه الديانتان الكريمتان لتسرعا الخطى، بكل الحيوية والنشاط، لكي يحلا مشكلة الإنسان... وتعودا أقوى مما كانتا....

بحث:

«الأسس المشتركة» بين الديَانتَين في المُعتقدات ومَواطِن الالتقَاء في ميَادِين الحيَاة.

للباحث المسيحي: الأب موريس بورمانس

إخواني

1 ـ للمسيحيّين والمسلمين، مبدئيًا ودائماً، تراث دينيّ واحد إذ يقولون كلّهم أجمعون بصوت واحد إنّ الله موجود وهو واحد فهكذا يشهدون أنّ المادّة والحياة والروح لا تنبثق من الضرورة ولا من المصادفة بل من خلق خالق هو روح وحياة.

1 ـ تراث مشترك:

أ ـ الله والطرق إلى معرفته:

يعلمون وهم على خبرة بذلك أنّ هذا العالم لم يُصنَع وحده وأنّ البشريّة لم تبن تاريخها وحدها فيعترفون بأنّ المسكونة والتاريخ بما فيهما من أعاجيب وأعمال عظيمة وتقدّم علميّ جبّار تتطلّب بل تقتضي وجود من دبّر كل ذلك كما يؤكدون أن الروح البشريّ قادر على أن يكتشف بأن الله موجود وأنه يتّصف بصفات الكمال كلها، أليست هذه القدرة من العطايا التي أنعم الله بها علينا؟

(2) لقد ثبّت علماء علم اللاهوت في المسيحيّة وعلماء علم الكلام في الإسلام، من خلال مناهج مختلفة ومتشابهة في الوقت نفسه ما هي الدلائل القاطعة على وجود الله ودعت كذلك الكتب المقدّسة لكل من الديانتين إلى

التأمّل أمام الآيات والعلامات التي تحدثّنا عن الخالق في العالمين حيث يقف الإنسان متسائلاً: كلّ ما يبتدىء في الزمان يسلتزم ما هو أبدي أزلي وكل حادث ممكن الوجود يقتضي كائناً واجب الوجود والعوالم المنسّقة والمنسجمة تفرض خالقاً لهذا التنسيق وهذا الانسجام، وفطرة الإنسان نفسها ترغّبه في اكتشاف وجه من خلقه فيرشده وينتظره أمّا المسيحيّون من ناحيتهم فقد ذكّرهم من جديد المجمع المسكوني الفاتيكاني الأول (1869 ـ 1870) بهذا الفضل الجوهريّ للعقل البشريّ القادر على أن يلتحق بمن برأه من خلال الآيات المخلوقة التي جعلها له كثيرة في كل مكان[1].

(3) يعلم المسلمون والمسيحيّون بالاختبار أن الإنسان في الواقع غير قادر على تنفيذ هذا البرنامج البديع فكثيراً ما فضّل الإنسان في التاريخ ولا يزال يفضّل حتى اليوم الباطل على الحق والظلم على العدل والموت على الحياة. إنه يرفض الحقيقة ويقتل أخاه أو يستعبده ويصنع لنفسه أوثاناً تشابهه كل المشابهة فسواء أسمّى المسيحيّون ذلك «الخطيئة الأصليّة» أم رأى المسلمون في ذلك آثار «النفس الأمّارة بالسوء» فالواقع واحد ويتلخّص فيما يلي: لا يستطيع الإنسان بقدرته الذاتيّة أن يلتحق بكماله فكأن فيه جرحاً بليغاً يحمله على الانطواء على نفسه ورفض كل ما يمنحه الخالق من الآيات والوصايا فهذه هي

---

(1) «فالكنيسة المقدسة وهي أمّنا، تعتقد وتعلم أن الله بكونه مبدأ جميع الكائنات ومعاذها، يمكن للإنسان أن يعرفه حق المعرفة على ضوء الطاقة الطبيعية للعقل البشري بواسطة مخلوقاته لأنه منذ خلق العالم لا تزال صفاته الخفيّة ظاهرة للبصائر في مخلوقاته (إلى أهل رومية 1: 20) غير أن الله في حكمته العظيمة ولطفه الواسع قد طاب له أن يوحي بذاته وبأحكام مشيئته الخالدة بطريقة أخرى تفوق الطبيعة كما يقول الرسول: «إنّ الله الذي كلّم الآباء قديماً في الأنبياء كلاماً متفرّق الأجزاء مختلف الأنواع كلّمنا أخيراً في هذه الأيام في الابن» (إلى العبرانيين 1: 1 ـ 2) (الدستور العقائدي في الإيمان الكاثوليكي، فصل 2).
إنّ مجموع النصوص والأحكام للمجامع الكنائسية المسكونية قد نُشِر أخيراً وهو محقق ومنقح في لغتها الأصلية تحت إشراف معهد العلوم الدينية ببولونيا (إيطاليا) وعنوانه اللاتيني (بفهارس مختلفة):
Italie, Bologna, Conciliorum Oecumenicorum Decreta Istituto per le Scienze religiose, 1973, 1135 P.

خطيئة الإنسان التي يعتبرها المؤمنون عصياناً وخيانة فمنبعاً رئيسيّاً للانهيار الشخصي والانهدام الاجتماعي.

(4) فلهذا يتأمّل المسيحيّون غير مرّة ما كتبه القدّيس بولس في رسالته إلى أهل رومية إذ يقول: «إذ معرفة الله ظاهرةٌ فيهم لأنَّ الله أظهرها لهم، لأنَّ أموره غير المنظورة تُرى منذ خَلَق العالم مُدْرَكة بالمصنوعات قدرته السرمدية ولاهوته حتى إنهم بلا عذر لأنهم لمَّا عرفوا اللَّه لم يمجِّدوه أو يشكروه كإله بل حَمِقُوا في أفكارهم وأظلم قلبهم الغبيّ، وبينما هم يزعمون أنهم حكماء صاروا جهلاء، وأبدلوا مجد الله الذي لا يفنى بشبه صورة الإنسان الذي يفنى والطيور والدَّواب والزحافات، لذلك أسلمهم الله أيضاً في شهوات قلوبهم إلى النجاسة لإهانة أجسادهم بين ذواتهم، الذين استبدلوا حقَّ الله بالكذب واتقوا وعبدوا المخلوق دون الخالق الذي هو مبارك إلى الآبد ـ آمين». (رسالة بولس إلى أهل رومية، الإصحاح الأول (19 ـ 26)).

(5) فالفكر المسيحيّ قد أكّد دائماً على مَرِّ القرون أنه توجد طريقتان تؤدّيان إلى معرفة الخالق فأولاهما هي العالم المخلوق وثانيتهما هي الوحي الإلهي والدليل على ذلك على ما ذكره المجمع المسكوني الفاتيكاني الأول بعبارات واضحة جدّاً إذ قال: «ترى الكنيسة أنّه توجد طريقتان للمعرفة تتباينان لا في أصلهما فقط بل أيضاً في مقصدهما إنهما تتباينان في أصلهما لأنّنا نعرف في الأولى بواسطة العقل الطبيعيّ وفي الثانية بواسطة الإيمان الإلهي كما تتباينان في مقصدهما لأنّ الكنيسة تعرض للإنسان فضلاً عن الحقائق التي يستطيع العقل الطبيعيّ أن يدركها حقائق أخرى وهي سريّة محجوبة عند الله لا تُعرفَ إلاّ بواسطة الوحي الإلهي»[1] فلهذا يكون المسيحيون والمسلمون في حين واحد

(1) الدستور العقائدي للإيمان الكاثوليكي، فصل 4 وكان الدستور نفسه يذكر في فصله الثالث: «بما أن الإنسان بكامله يتعلّق بالله لأنه هو خالقه ومولاه وبما أن العقل المخلوق يخضع تماماً للحقيقة غير المخلوقة، يجب علينا إذا ما أوحى الله إلينا بشيء أن نُخضِع له عقلنا وإرادتنا إخضاعاً كاملاً وذلك بطريقة الإيمان».

من أهل العقل وأهل الإيمان. نعم، نحن كلّنا مؤمنون فيمكننا أن نرى بحق أن لنا معتقدات مذهبية مشتركة.

ب ـ التراث المشترك للمسيحيين والمسلمين:

(6) ما هي هذه المعتقدات المذهبيّة المشتركة التي تمنح المسلمين والمسيحيّين الحقّ في أن يعتبروا أنفسهم يشارك بعضهم بعضاً تراثاً دينياً واحداً؟ إنّهم يتّحدون كلّهم في الإيمان بالله وملائكته وفي الإيمان بمصير لا نهاية له بعد الموت والقيامة كما يتّحدون في العلم اليقين بأنّ الله قد أرسل بعض الأنبياء وفي ما هي الكتب المقدّسة وإن اختلفت الديانتان في من هم الأنبياء وفي ما هي الكتب المقدّسة، نعم إنّ المسلمين والمسيحيّين مؤمنون على السواء فيجدون في سرّ هذه المعتقدات المبرّرات النهائيّة لمعاملاتهم الدنيويّة والتزاماتهم البشريّة فإن كان من المعلوم أن معتقدات المسيحيّين والمسلمين تختلف في كثير من المواطن الجوهريّة كان من الواضح أيضاً أنها تتقارب تقارباً موحّداً في الحقائق الأساسيّة.

(7) فلنأخذ بعين الاعتبار، وفي جو ملؤه التآخي، هذه الحقائق الإلٰهية التي توحّد صفوفنا وإن اختلفت الأسماء التي نطلقها عليها وانتسبت تسميتها إلى نظرات وحساسيات قد تتباعد أكثر مما تتقارب[1] فليُسمَح لنا هنا أن نلفت أنظاركم إلى النصّ الذي أجمع عليه المسيحيّون أثناء المجمع المسكونيّ الفاتيكاني الثاني إذ أتى في **التصريح عن علاقات الكنيسة بالأديان غير المسيحية** حيث أعلن المشاركون في المجمع أنّ «الأمم كلها أسرة واحدة تنحدر من أصل واحد إذ إنّ الله قد أقام كلّ أمة من البشر على وجه الأرض كلّها كما أن لها في

---

(1) إنّ هذه المشاكل العويصة في الحوار الإسلامي ـ المسيحي قد تناولها فدرسها الأستاذ علي مراد والأستاذ روجي أرنالديز في مجلة المعهد البابويّ للدراسات العبريّة بروما Islamochristiana (إسلاميّات مسيحيّات، روما، 1975، عدد 1)، الأوّل في بحثه عن كلام مشترك في الحوار (ص1 ـ 10) والثاني في دراسته عن علاقات الحوار الإسلامي المسيحي مع الحسّاسيات الدينية (ص11 ـ 42) وقد يكون من المفيد هنا ذكر بعض صفحاتهما لولا ضيق المجال.

النهاية هدفاً واحداً هو الله الذي يشمل الجميع بعنايته وآيات لطفه وتدابيره الخلاصية إلى أن يلتئم شمل المختارين في المدينة السماويّة التي سينيرها الله بسنائه والتي ستمشي الأمم في نورها» (فقرة 1)[1].

(8) ويعترف النصّ نفسه فيقرّ أن «الناس يلتمسون، في مختلف الأديان، الجواب عمّا تنطوي عليه حياة الإنسان من غيوب لا تزال اليوم كالأمس تقلق البشر في قرارة قلوبهم فما الإنسان وما كنه الحياة ومصيرها، ما الخير وما الخطيئة، ما مصدر الألم وهدفه، ما السبيل إلى السعادة الحقيقية، ما الموت وما الحساب والجزاء اللذان يعقبان الموت وما هو أخيراً ذلك السر البعيد المذهل الذي يحيط بوجودنا والذي منه أتينا وإليه المعاد؟» وفي الحقيقة يجيب الإسلام على هذه الأسئلة كلّها بأجوبة تشابه أجوبة الكنيسة مشابهة غريبة فهذا ما حمل نفس التصريح على أن يضيف فيؤكّد «أنّ الكنيسة تنظر أيضاً بعين الاحترام إلى المسلمين الذين يعبدون الله الأحد الحيّ القيّوم الرحمان القدير فاطر السماء والأرض الذي كلّم البشر» (فقرة 3).

ت ـ الله واحد وهو الحيّ القيّوم:

(9) إنّ المسيحيّين ومن جاؤوا قبلهم قد آمنوا دائماً بالله الحيّ القيّوم فتشهد كتبهم المقدّسة بالتوحيد في كلّ صفحة من صفحاتها. ألا يحبُّ اليهوديّ

---

(1) سيُراجَع الكتاب المذكور في الملاحظة الأولى أعلاه للاطلاع على مجموع الدساتير والمراسيم والتصريحات للمجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني في لغتها الأصليّة وهي اللغة اللاتينية أما الترجمة الفرنسية الرسمية (مع النص اللاتيني مقابلاً) فقد جاءت في كتاب:

Concile Oecuménique Vatican II (Constitutions, décrets, déclarations, messages Paris, Ed. Du Centurion, 1967, 1012 P. Avec index nombreux)

ومن المعلوم أن ترجمة عربية رسميَّة صدرت في القاهرة إذ صدق عليها رؤساء الطوائف الكاثوليكية في الجمهورية العربية المتحدة فجاءت في صورة كتيبات متسلسلة وزّعتها دار العالم العربي بدون تأريخ.

أما الدراسات في نصوص المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني فهي لا تعد ولا تحصى فكفانا أن نذكر هنا مجموع الكتب الضخمة التي صدرت في باريس في سلسلة «كنيسة واحدة» [(Unam Sanctam), Paris, Ed. Du Cerf] وسيُراجَع بالخصوص الجزء الذي يقدّم فيفسر نص التصريح في علاقات الكنيسة بالأديان غير المسيحية (تحت إشراف أ. م. هانري، 1966، 325ص).

تكرار هذا الدعاء: «اسمع يا إسرائيل إنّ الربّ إلٰهنا ربّ واحد» (تثنية الاشتراع: 4 ـ 6). ألا يؤكّد المسيحيّ في عقيدته: «نؤمن بإله واحد، آب ضابط الكل، خالق السماء والأرض، كلّ ما يرى وما لا يرى»، لأنّ يسوع المسيح قد ذكره أن أوّل الوصايا وأعظمها هي هذه: «أحبب الرب إلٰهك بكل قلبك وكل نفسك وكل قدرتك وكل ذهنك» (لوقا 10: 27 ـ تثنية الاشتراع 6: 5) فيقول القدّيس بولس مفسِّراً: «للجميع رب واحد وإيمان واحد ومعمودية واحدة وإله واحد وآبٌ واحد هو فوق الجميع وفي الجميع» (إلى أهل أفسس 4: 5 ـ 6) ولهذا عندما يرنّم المسيحيّون مع صاحب المزامير: «من إله غير الربّ ومن صخرة سوى إلٰهنا» (المزامير 17: 32) يظهرون كأنهم إخوان للمسلمين الذين يشهدون أنه «لا إلٰه إلا الله».

(10) لقد ذكّر بإلحاح كلّ مجمع من مجامع الكنيسة على مَرِّ القرون أنّه لا إلٰه إلاّ الله فجاء المجمع المسكونيّ الفاتيكاني الأوّل يوضّح التعبير عن التوحيد قائلاً: «إنّ الكنيسة تؤمن وتعلّم بأنّ الله واحد وهو الحقّ الحيّ خالق السماء والأرض وربهما على السواء، إنّه القدير السرمديّ الذي لا حدّ له ولا يحيط به غيره علماً وليس أيّ حدّ لعقله ومشيئته وكماله وبما أنّه جوهر روحيّ واحد في طبيعته لا يتركّب ولا يتغيّر أبداً يجب على الجميع أن يقولوا أنّه يتباين عن مخلوقاته في الواقع وبذاته إذ أنّه يجد رضوانه في ذاته وبذاته لأنّه متعال عن كلّ ما هو سواه ممّا هو موجود في الدنيا أو ممكن الوجود»[1].

(1) الدستور العقائدي للإيمان الكاثوليكي، فصل 1. فتعلن «عقيدة الرسل»: «أؤمن بالله الآب الضابط الكل خالق السماء والأرض» ثم تقول «عقيدة مجمع نيسي» (325 م): «نؤمن بإله واحد آب ضابط الكل، خالق كل ما يُرى وما لا يُرى». أما المجمع الأول بمدينة بكوستانتينوبولي (381 م) فيكرر قائلاً: «نؤمن بإله واحد آب ضابط الكل خالق السماء والأرض، كل ما يُرى وما لا يُرى». ثم يعلن مجمع فلورانس (1442 م) أن الكنيسة: «تؤمن إيماناً ثابتاً فتعتقد وتعلّم بإله واحد حق وهو الآب والابن والروح القدس، خالق جميع ما يُرى وما لا يُرى إذ عندما طاب لمشيئته خلق مجموع الكائنات الروحية منها والجسمانيّة من جراء لطفه الواسع فخلقها حسنة لأنها خلقها من هو الخير الأعظم ولكن خلقها قابلة للتغير إذ خلقها من العدم فلهذا تعلن الكنيسة أنه لا طبيعة للشر لأن كل الطبيعة بكونها طبيعة هي حسنة جداً . . .».

(11) نعم، عندنا أجمعين، «الربّ هو الله ليس إله سواه» (تثنية الاشتراع 4: 35) لأنّنا «نحن لا نعرف إلهاً غيره» (يهوديت 8: 19) إنّه الواحد: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ * ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ كما قيل في القرآن (سورة الإخلاص: 1 ـ 2) وفي كتاب المزامير (17: 32) اللذين يقولان أيضاً: «من مثل الربّ إلهنا ساكن الأعالي؟» (المزامير 112: 5) ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ (الإخلاص: 4) فهو الأوّل والآخر» (نبوءة إشعياء 41: 4) كما قيل أيضاً في نبوءة ملاخي: «إنّي أنا الربّ لا أتغيرّ» (نبوءة ملاخي 6: 3) لأنّ الله هو القيّوم المتين «لا يتعب ولا يعيى» «إشعياء 40: 28) فهو السرمديّ (إشعياء 40: 28) الذي يبقى وجهه إلى الأبد لأنّه هو الحقّ والغنيّ و«الحي بالحق» (نبوءة أرميا 4: 2 ـ قرآن 2: 255) «إلى دهر الدهور» (رؤيا 1: 18) إذ هو ﴿ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ (قرآن: 58 ـ 25) كما قيل في القرآن فيبقى الوارث الواحد لجميع المخلوقات لأنّنا يمكننا أن نقول مع صاحب المزامير: «من قبل أن ولدت الجبال وأنشأت الأرض والمسكونة، من الأزل إلى الأبد، أنت الله» (المزامير 89: 2).

ث ـ الله خالق السماوات والأرض:

(12) إنّ الله هو الحيّ ولهذا تجلّى لنا خالقاً «خلق في البدء السماوات والأرض (التكوين 1: 1) إذ هو ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ (قرآن: 2: 117) إنّه هو الخلاّق أحسن الخالقين البارىء المصوّر الذي يعمل ما يشاء من غير أن يجبره على ذلك سواه[1] فيقرّ صاحب المزامير قائلاً: «يداك صنعتاني وكوّنتاني» (المزامير 118: 78) ثمّ يضيف: «الجميع يرجونك لترزقهم أكلهم في أوانه. . . تحجب وجهك فيفزعون، تقبض أرواحهم فيموتون. . . ترسل

(1) هذا ما عاد فأعلنه المجمع المسكوني الفاتيكاني الأول إذ قال: «إن الله وهو الواحد الحق قد شاء أن يصنع من اللاشيء الكائنات الروحية والجسمانية أي الملائكة والمسكونة ثم خلق الإنسان الذي يتركب تركباً موحداً من الروح والجسم وذلك في لطفه وقدرته ليظهر كماله في الخيرات التي ينعم بها على المخلوقات بحسب مشيئته المطلقة غير المقيدة ولا ليزيد شيئاً لسعادته أو ليكتسب له سعادة ما» (الدستور العقائدي للإيمان الكاثوليكي، فصل 1).

روحك فيُخلقون وتجدّد وجه الأرض» (المزامير 103: 27 ـ 30). نعم، هو البرّ الرحيم المقيت الوهّاب الرزّاق فقد قيل عنه في القرآن ﴿وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ﴾ (قرآن 23: 17) وقد قيل عن البشر في أعمال الرسل: «إنّا به نحيا ونتحرّك ونُوجد» (أعمال 17: 28).

(13) والمؤمن من ناحية أخرى لن يمكنه أبداً أن يجعل حداً نهائياً لإعجابه بما خلق الله في الكون والتأريخ، ألا يقول صاحب المزامير: «إنّي أرى سماواتك عمل أصابعك والقمر والكواكب التي كوّنتها فما الإنسان حتّى تذكره وابن البشر حتّى تفتقده؟ نقصته عن الملائكة قليلاً وكلّلته بالمجد والكرامة، سلّطته على أعمال يديك وأخضعت كلّ شيء تحت قدميه. . . أيّها الربّ سيّدنا ما أعظم اسمك في كلّ الأرض» (المزامير 8: 4 ـ 7، 10) فعندما يتأمّل صاحب المزامير أعاجيب المسكونة وذلك الإنسان الذي هو أعجوبة الأعاجيب يكون على حقّ إذ ينشد «ما أكثر ما صنعت لنا أيها الرب إلهي من معجزاتك وأفكارك إنّه لا شيء يعادلك فإن أخبرت وتحدّثت بها فهي أعظم من أن تُحصى» (المزامير 39: 6) نعم، «حَسَنٌ هو الحمد للربِّ والتَّرَنُّمُ لاسمك أيها العليّ والإعلان برحمتك في الغداة وبأمانتك في الليالي» (المزامير 91: 2 ـ 3) فهكذا ليس للمؤمنين إلاّ أن يكونوا من الشاكرين على الدوام.

ج ـ الله محب للبشر:

(14) الله هو العليم الحكيم الذي يعلم خليقته حق العلم في ظاهرها وباطنها كما يعترف له بذلك صاحب المزامير قائلاً: «يا ربّ قد فحصتني فعلمتني، علمت جلوسي وقيامي، فطنت لأفكاري من بعيد، اختبرت سعيي وسكوني واطلعت على جميع طرقي، قبل أن يكون كلامي على لساني أنت يا رب عالم به كلّه، من وراء ومن قدّام أحطت بي وجعلت عليّ يدك» (المزامير: 138: 1 ـ 5) نعم، هو الأكرم اللطيف الخبير الوليّ المهيمن إذ جاء في مزمور من المزامير: «رأى الربّ جميع بني البشر، من مقرّ جلوسه راقب سكّان الأرض أجمعين، هو جابل قلوبهم جميعاً وعالم بأعمالهم كلّها» (المزامير 32:

13 ـ 15) فلهذا نتّفق نحن المسيحيّين والمسلمين على أن نسميه البصير السميع الرقيب العليم، أما جاء في القرآن ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَسِيبًا﴾ (قرآن 4: 86) وأنه ﴿وَأَحۡصَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ عَدَدَۢا﴾ (قرآن 72: 28).

(15) فعلى الإنسان أن يعترف بأنّ مصيره يتوقّف تماماً على ما قدّر الله في شأنه، إنّه هو الحكم والحاكم الرهيب الذي يقول عنه المسلمون إنّه هو العدل المقسط والذي يعلن فيه صاحب المزامير بأنّه «يحبّ البرّ والعدل» (المزامير: 32: 5) فلا يخاف المؤمن من قبل خالقه شيئاً لأنّنا على حسب قول القدّيس بولس «نعلم أنّ الذين يحبّون الله كلّ شيء يعاونهم للخير. . . فإذا كان الله معنا فمن علينا؟» (إلى أهل رومية: 8: 28 ـ 31) فيقبل المؤمن أن يكون الله هو القابض والباسط، النافع والضارّ، المقدّم والمؤخّر لما يحدث لنا لأن المسيحي كثيراً ما يتأمّل في دعاء حنّة إذ قالت: «الربّ يميت ويحيي، يحدر إلى الجحيم ويصعد، الربّ يفقر ويغني، يحطّ ويرفع، ينهض المسكين عن التراب، يقيم البائس من المزبلة ليجلسه مع العظماء. . . هو يحفظ أقدام أتقيائه والمنافقون في الظلمة يصمتون» (سفر الملوك الأول 2: 6 ـ 9) فهذا هو سبب إشادة صاحب المزامير إذ يقول: «بمراحم الربّ أرنمّ إلى الأبد، إلى جيل فجيل أعلن أمانتك بفمي» (المزامير: 2 88).

ح ـ الله ذو الغفران والرحمة:

(16) إن كان الله عند جميع المؤمنين هو ربّ الانتقام فهو أيضاً وخصوصاً على كلّ شيء شهيد فيناديه صاحب المزامير منشداً: «يا إله النقمات تجلَّ، ارتفع يا ديّان الأرض كافىء المتكبّرين بصنيعهم، إلى متى يا ربُّ المنافقون يفتخرون. . . إنّ الربّ يعلم أفكار البشر أنّها باطلة» (المزامير 93: 1 ـ 3، 11) فالله لم يخيّب أبداً مخلوقاً من مخلوقاته لأنه كفى به وكيلاً وهادياً ونصيراً، نعم هو المؤمن لأن المسلمين كثيراً ما يردّدون أنه هو الرحمٰن الرحيم، أرحم الراحمين ولأن المسيحيّين ومن جاؤوا قبلهم قد تعلّموا من الله نفسه أنه «إله رحيم ورؤوف طويل الأناة كثير المراحم والوفاء يحفظ الرحمة لألوف ويغفر

الذنب والمعصية والخطيئة ولا يتزكّى أمامه الخاطىء» (الخروج 34: 6 ـ 7).

(17) لذلك لا يخاف المؤمن إذ ما اعترف بخطيئته لأنه يقول مع صاحب المزامير: «من الأعماق صرخت إليك يا رب، يا سيِّد استمع صوتي، لتكن أذناك مصغيتين إلى صوت تضرّعي، إن كنت للآثام راصداً يا رب، يا سيّد فمن يَعْفُ» (المزامير 129: 1 ـ 3) «ارحمني يا الله بحسب رحمتك وبحسب كثرة رأفتك امحُ معاصي، زدني غسلاً من إثمي، وطهّرني من خطيئتي... إليك وحدك خطئت وأمام عينيك صنعت الشرّ.... قلباً طاهراً أخلق فيّ يا الله روحاً مستقيماً جدد في داخلي ولا تنزع منّي روحك القدّوس» (المزامير: 50: 3/6، 12/13) فالمسلمون على علم وخبرة بـ﴿۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾ (قرآن 70: 19) وأنّه ﴿لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ (قرآن 14: 34) إذ ﴿كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ (قرآن 33: 72) على حسب ما قيل في القرآن لكن جميع المؤمنين على علم أيضاً بأنّ كلاً منهم يستطيع أن يدعو الله قائلاً: «التفت إليّ وارحمني» (المزامير 85: 16) لأنّه هو التوّاب يتوب إلى البشر قبل أن يتوبوا إليه فيغفر لهم ذنوبهم وخطاياهم إذ كان غفوراً وعفوًّا وإنه الحليم والصبور، الرؤوف والودود، ألم يحرّض القرآن قائلاً: ﴿وَٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ (قرآن: 11: 90) لأن الله قد كتب على نفسه الرحمة (قرآن 6: 12) ولأنّ الحديث القدسي ينص عنه «إن رحمتي سبقت غضبي».

خ ـ الله هو الحميد المجيد:

(18) فمن هو ذلك الخالق الكريم والحاكم الرحيم الذي هو ﴿نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾ (قرآن 24: 35). لقد أخبرنا صاحب المزامير بأنّه «ملك ولبس البهاء، لبس الربّ العزّة وتنطّق.... ما أعظم الربّ في العلى، شهاداتك صادقة جداً، ببيتك تليق القداسة يا رب طول الأيام» (المزامير 92: 1/5) إذ هو ذو الجلال والإكرام لأنه «صنع كلّ ما يشاء» (المزامير 113: 11) فيردّد المسيحيّون والمسلمون من جيل إلى جيل أنّه هو القدوّس العظيم العلي الجليل الواسع وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو، على حسب ما قيل في

القرآن (6: 59) نعم، هو المتعالي، الحميد المجيد وكيف لا يستحقّ هو جميع هذه الأسماء الحسنى إذ هو الكبير العليّ، على كلّ شيء قدير، فهو ﴿ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَـٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ. . . ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ (قرآن 59: 23 ـ 24) إنّه هو الفتّاح على الدوام.

(19) كلّ ذلك من شأنه أن يؤدّي بالإنسانيّة إلى معرفة أعمق لذلك الكائن القريب والبعيد الذي يعترف المسيحيّون بأنّه هو الآتي، فليُسمَح لهؤلاء أن يتّخذوا صلاة لهم ذلك الدعاء الذي يرفعه المسلمون إلى الله في نهاية ذكر الأسماء الحسنى التسعة والتسعين في سبيل التقرّب من ذلك الغيب الرهيب «بكلّ اسم هو لك، سميّت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علّمته أحداً من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك»، ألم يترك لهم يسوع المسيح هذه الوصيّة التي تروي أنّ الحياة الأبديّة أن «يعرفوك أنت الإله الحقيقيّ وحدك» (يوحنّا 17: 3)، ألم يروا بكونهم مسيحيّين أنّ ذلك المسيح قد استودعهم بعض الأسماء الحسنى لذلك السرّ المكتوم «منذ الدهور والأجيال» (إلى أهل كولوسيّ 1: 26).

د ـ أنبياء يرسلهم الله:

(20) هذا هو جوهر التراث الديني المشترك بين المسيحيين والمسلمين فيصدر منه حقائق أخرى وهي كثيرة قد يمكننا أن نعتبرها مشتركة أو متقاربة فيما بينها فكل منّا يؤمن بأن الله قد كلّم البشر أثناء التأريخ «في الأنبياء كلاماً متفرّق الأجزاء مختلف الأنواع» (إلى العبرانيّين 1: 1) ﴿وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ﴾ (قرآن 42: 50 ـ 51) فالمسيحيّون والمسلمون على السواء يسمّون سيّدنا إبراهيم خليل الله وسيّدنا موسى كليم الله فيتّخذون حياة الأوّل والثاني أسوة حسنة ومثالاً أعلى لإيمانهم وطاعتهم فقد اعترف بذلك المجمع المسكونيّ الفاتيكانيّ الثاني مرتين، أولاً عند تأمّله في تأريخ الخلاص إذ قال: «تشمل أيضاً مشيئة الله الخلاصيّة من يعترفون بالخالق وفي أوّلهم المسلمين الذين يقولون بأنّ إيمانهم إيمان إبراهيم فيعبدون الله معنا» (دستور

عقائدي في كنيسة المسيح، فقرة 16) وثانياً في التصريح عن علاقات الكنيسة بالأديان غير المسيحية إذ أقرّ فيه أنّ «المسلمين دأبهم الاستسلام من صميم نفوسهم لأحكام الله الخفيّة كما استسلم لله إبراهيم الذي يتّخذونه لإيمانهم أسوة مستحبة» (فقرة 3).

(21) المسيحيّون والمسلمون من غير شك يختلفون في مقاييسهم للنظر في النبوة الكاملة النهائيّة فيرى المسيحيّون أن كمال النبوة قد تحقّق في يسوع المسيح غير أنّهم يعتقدون أنّ روح النبوّة لا يزال يظهر من جيل إلى جيل أمّا المسلمون فيرون في محمد خاتم الأنبياء وإن اعترفوا أنّ حياة يسوع المسيح لها أبعاد خارقة للعادة تجعلها متّصلة بالغيب فالحوار الصحيح يقتضي هنا أن يحترم كلّ من الطرفين رأي الطرف الآخر في شموله وكماله فيصبر صبراً جميلاً مستودعاً لله التدخّلات اللازمة حتى يتصفّى هذا الرأي فيستنير ويتكامل: كما لا يحقّ للمسيحي أن يطلب من المسلم أن يعترف للمسيح بجميع الأوصاف التي يتّصف بها في المسيحيّة كذلك يُدعى المسلم فيما يخصّ محمداً ألاّ يطالب المسيحي بالاعتراف بجميع الأوصاف التي يتّصف بها محمد في الإسلام، أمّا الكتب المقدّسة فيمكننا أن نأتي بنفس الملاحظة في شأنها وإن علمنا جميعاً أن المسلمين والمسيحيين يعتقدون أنّ كلام الله قد جاء وديعة عند الأنبياء فنصّاً منزلاً سجّل في كتب مقدّسة يجب على كلّ مؤمن أن يقرأها ويتأمّلها فيفسّرها حتى يفهم من معانيها ما هو ظاهر وما هو باطن[1].

(1) إنّ الحوار الحقيقي أصله الأول الاحترام الكامل لمعتقدات الغير ومعاملاته فمقصده تحسين التعارف والتفاهم في البحث عن مقاصد الله الخفيّة فيتطور وينشأ في المودة والوضوح والوداعة والثقة المتبادلة وأخيراً في الصبر الجميل إزاء المراحل الضرورية.
وللاطلاع التمهيدي على مواقف المسيحية ومبادئها في ميدان الحوار، ستراجع إرشادات البابا بولس السادس في رسالته العامة «كنيسة المسيح» (آب 1964) Ecclesiam Suam (النّصان اللاتيني والإيطالي في جريدة L'Observatore Romano بتاريخ 10 ـ 11 ـ 8 ـ 1964 والنص الفرنسي في La Documentation Catholique باريس بتاريخ 6 ـ 9 ـ 1964، ص1058 ـ 1093) وتراجع كذلك التوجيهات للحوار بين المسيحيين والمسلمين Orientations pour un dialogue entre Chrétiens et Musulmans للسكرتارية لغير المسيحيين (فاتيكان، روما)=

ذ ـ الله يحيي الأموات ويرضي الأنفس

(22) لا تزال حقائق أخرى تظهر مشتركة بين جميع المؤمنين فيعتبرون كلهم على السواء أنّه تُوجد مخلوقات أخرى من ملائكة وشياطين لهم مهمّاتهم يعيّنها الله ويجعلهم شهداء على تأريخ البشر يساوون الناس عدداً وحساباً، كما يعتقدون كلّهم أيضاً أنّ هذه الدنيا ستكون لها نهايتها في الزمان كما كانت لها بدايتها فلن يبقى إلاّ وجه الخالق وستعود إليه جميع المخلوقات في حشر كبير ونشر عظيم تتحدّث عنه الكتب المقدّسة كلّها في صور خياليّة وأوصاف متعددّة فلهذا يجرؤ صاحب المزامير فيطلب من الله: «يا ربِّ أعلمني أجلي ومدّة أيّامي كم هي فأعلم كم لي حتى أزول، إنّك جعلت أيّامي أشباراً وعمري كلاشيء أمامك» (المزامير 38: 5 ـ 6).

(23) يعترف أيضاً المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني بأنّ المسلمين على غرار المسيحيّين يترقّبون يوم الدين يوم يجازي الله جميع الناس بعد إذ يُبعثون» (فقرة 3) فستأتي التي لا يعلم أحد وقتها بالضبط غير أن بعض العلامات قد تُعرف ومنها عودة يسوع المسيح لأن المسيحيين يعلنون في عقيدتهم أنه «سيأتي بمجد عظيم ليدين الأحياء والأموات» ولأنّ حديثاً من الأحاديث يقول: «لا مهدي إلا عيسى» فيكون يوم القيامة وهو اليوم الآخر، يوم الحساب ويوم الدين ولو اعتمد المسيحيّون والمسلمون على أدلّة وبراهين مختلفة في اعتقادهم بالقيامة. نعم، سيكون يوم الجمع العظيم حيث «تجمع لديه كل الأمم فيميّز بعضهم من بعض» (متّى 25: 32)، ألا يقول القرآن:

= Ancora, Roma 1969 (144 ص) في اللغة الفرنسية مع ترجمات إنجليزية وإيطالية وإسبانية. وقد جاء استعراض أول الجهود والنتائج للحوار الإسلامي المسيحي في مجلة المعهد البابويّ للدراسات العربية بروما Islamochristiana(إسلاميات مسيحيات) عدد 1، سنة 1975 من خلال المقالات الآتية: نشاط السكرتارية لغير المسيحيين أثناء السنوات العشر الأخيرة، مشاركة المجمع الدولي للكنائس في الملتقيات الحوارية الدولية والجهوية، قرطبة عاصمة خلافية للحوار الإسلامي المسيحي وبعض الأفكار والملاحظات بمناسبة الملتقى الإسلامي ـ المسيحي بتونس (1974) باللغتين الفرنسية والإنجليزية.

﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَـٰلَهُمْ ۞ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۞ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ (قرآن 99: 6 ـ 7) فقد أكّد القدّيس بولس من قبل فقال: «لأنّا جميعنا لابدّ من أن نُظهر أمام منبر المسيح لينال كلّ واحد على حسب ما صنع بالجسد خيراً كان أو شرّاً» (الثانية إلى أهل كورنثس 5: 10) حتّى يسمع كلّ منّا صوت الربّ الخالق يقول له: «أحسنت أيّها العبد الصالح الأمين قد وجدت أميناً في القليل فسأقيمك على الكثير، ادخل إلى فرح ربّك» (متّى 25: 21).

(24) يؤكّد المسلمون والمسيحيّون على السواء بوجود دار الثواب وهي الجنّة وبوجود دار العقاب وهي النار ولو اختلفوا كثيراً في وصفهم لجوهر كلّ من الدارين. ألا يبشّر يسوع المسيح في الأنجيل قائلاً: «فيخرج الذين عملوا الصالحات إلى قيامة الحياة والذين عملوا السيّئات إلى قيامة الدينونة» (يوحنا 5: 29)، فقد اعترف إجماع المسلمين على مَرِّ القرون بوجود ملذّات روحيّة وجسديّة كثيراً ما يفسّرونها تفسيراً مجازياً وبتخصيص بعض المقرَّبين من المختارين برؤية وجه الله إذ ستكون ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۞ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ (قرآن 75: 22 ـ 23) وإن قيل ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ﴾ (قرآن 6: 103) غير أن إجماع المسيحيّين من البدء وعلى مَرِّ القرون أكّد دائماً «أنّا نعلم أنّه إذا ظهر نكون نحن أمثاله لأنّا سنعاينه كما هو» (الأولى ليوحنا 3: 2) فعاد المجمع المسكونيّ الفاتيكانيّ الأوّل فأكّد من جديد مصرّحاً «أن الله في لطفه غير المتناهي قد سبق فوجّه الإنسان إلى غاية تفوق طبيعته الأصليّة أي إلى المشاركة في الخيرات الإلٰهيّة التي تفوق كلّ التفوّق ما يصوّره العقل البشريّ باستعداداته»، فالمسيحيّون والمسلمون على كلّ حال مجموعون على الاعتقاد بأنّ كلّ نفس ستنال الرضا والرضوان ﴿رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾ (قرآن 89: 28) على حسب ما قيل في القرآن وبأنّ الله في سرّ أسراره كأنّه ينتظرنا ليشركنا في شيء من الغيب على حسب ما قيل في حديث قد يأتي صدى لما جاء في إشعياء النبيّ (64: 3) وبولس الرسول (الأولى إلى أهل كورنثس 2: 9)، ذلك الغيب الذي

هو «ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر» (الغزاليّ، الإحياء، كتاب المحبّة). فهكذا سيصل التأريخ إلى مقصده وتلتحق المسكونة بكمالها، ألا وهو المثول بين يدي ربّ العالمين[1].

ر ـ الإنسان والعبادة:

(25) المسيحيّون والمسلمون، وفاء لنظرهم هذا إلى الله والإنسان والتأريخ، يحاولون ـ كلّ منهم حسب مذهبه ـ أن يكونوا خاضعين لمشيئة الله وأحكامه الخفيّة فيحقّقوا هكذا ذلك الإسلام الحقيقيّ الذي عاشه سيّدنا إبراهيم وابنه الذبيح وسيّدنا موسى ورفيقه الخضر فمريم العذراء وابنها المسيح والحواريّون الذين شهد الله أنّهم كلّهم «مسلمون» فالمسيحيّون يقولون كما يؤكّد المسلمون على حقّ أنّه لا خلاص للإنسان إلا بالإيمان إذ يكرّرون مع صاحب الرسالة إلى العبرانيّين: «بغير إيمان لا يستطيع أحد أن يُرضي الله لأنّ الذي يدنو إلى الله يجب عليه أن يؤمن بأنّه كائن وأنّه يثيب الذين يبتغونه» (11: 6)، فيتّضح من ذلك أن أعمال الإنسان كلها هي طاعة لله فيستطيع المسلمون والمسيحيّون أن ينشدوا مع صاحب المزامير: «هاأنذا آت فقد كُتِب عنّي في درج الكتاب لأعمل بمشيئتك يا الله، إنّي في هذا راغب وشريعتك في صميم

(1) قد يكون من المفيد بل من المهم أن يدرس معاً المسلمون والمسيحيون ما هو مضمون ذلك الرضوان الإلهي في نطاق الحوار على تبادل التجارب الدينية لأن المسيحيين يعتبرونه تبريراً يغير كيان الإنسان بذاته على حسب ما قال مجمع ترانت (1545 ـ 1563) «ليس التبرير في ذاته غفراناً للخطايا فقط بل هو تقديس وتجديد للإنسان الداخلي بقبول النعمة الإلهية والعطايا الروحية باختيار تام فيصبح الإنسان برّاً بعدما كان خاطئاً وصديقاً بعدما كان عدوّاً حتى يصير وارثاً على حسب الرجاء بالحياة الأبدية فالسبب الواحد لهذا التبرير هو برّ الله تعالى وليس ذلك البرّ هو البر الذي يكون الله برّاً به بل هو البرّ الذي يبرّرنا به أي البرّ الذي ينعم به علينا لتجديدنا في أعماق نفوسنا الداخلية» (مرسوم في التبرير، فصل 7) وأعلن المجمع نفسه اشتراك الإنسان الاختياري في هذا التبرير إذ صرح بأنه «إن قال أحد أن اختيار الإنسان الذي يوجهه الله وينشطه لا يشارك في أي وجه من الوجوه بالامتثال لله الذي ينشطه ويناديه فهذا يتهيّأ ويستعد لقبول نعمة البرير وإن قال ذلك القائل أن الإنسان غير قادر على أن يرفض موافقته ولو أراد الرفض إذ هو على صورة الكائن المتجمّد يبقى جامداً دائماً ويقوم بدور المنفعل لا بدور الفاعل، فليعتبر ذلك القائل قد كفر كفراً مبيناً» (أحكام في التبرير، عدد 4).

أحشائي» (39: 8 _ 9)، أليس المثل الأعلى للمؤمن الحقيقيّ أن يمتثل لشريعة الله أحسن امتثال حسب الدعاء الذي يلهمه إيّاه صاحب المزامير: «ادللني يا ربّ على طريق رسومك فأتّبعه إلى النهاية ففهمني فأرعى شريعتك وأحفظها بكلّ قلبي» (المزامير 118: 33 _ 34)[1].

(26) ومن جهة أخرى يؤكّد المجمع المسكونيّ الفاتيكانيّ الثاني عن المسلمين «أنّهم يراعون مكارم الأخلاق ويعبدون الله خصوصاً بالصلاة والزكاة والصوم» (فقرة 3) إنّ الرسوم والطقوس في الصلاة والصيام والصدقة إن اختلفت فمقصدها واحد عند المسيحيّين والمسلمين إذ إنّنا جميعاً نجتهد لنعبد الله تعالى العبادة الحقّة «مقرّين باللسان ومصدّقين بالقلب ومخلصين بالعمل» لأنّنا نرفض جميع أنواع النفاق والرياء لأنّ يسوع المسيح قال للمسيحيّين: «إذا صلّيتم فلا تكونوا كالمرائين» (متّى 6: 5) وإذ قيل في القرآن: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾ (قرآن 4: 142)، نعم، الصلاة والدعاء والذكر والتأمّل والتضرّع والاعتكاف كلّ هذه عادات قديمة أصيلة يشترك فيها المسيحيون والمسلمون على السواء لأنّهم فيها وفيها وحدها يجدّدون تجديداً متواصلاً طاقاتهم الروحيّة وعزائمهم الأخلاقيّة فما أكثر عدد مظاهر العبادة ووجوه التعبير عن الإيمان التي هي مشتركة ومتشابهة فإنّنا باسم شخصانيّة دينيّة متأصّلة نؤكّد أنّ كلّ إنسان مسؤول عن مصيره وإيمانه أمام الله وحده لكنّنا في الوقت نفسه نطالب كلّ مؤمن بالانتماء إلى جماعة معيّنة (الأمة للمسلمين والكنيسة للمسيحيّين) هي البيئة الحيّة التي تعلّم مضمون عقائد الإيمان وتراقب صحّتها كما تربّي المؤمنين حتّى يتّبعوا القيم الدينيّة والأخلاقيّة من خلال

(1) قد يكون من الأحسن هنا ذكر المزمور المائة والثامن عشر بأسره (118: 1 _ 176) والتأمل فيما يعبّر عنه من حب للشريعة الإلهية إذ يظهر هذا الموقف مشتركاً لجميع المؤمنين سواء أكانوا مسيحيين أم مسلمين لأنهم يبحثون كلهم عن الحكمة الحقة متخذين دعاء لهم دعاء الحكيم المشهور: «يا إله الآباء يا رب الرحمة يا صانع الجميع بكلمتك وفاطر الإنسان بحكمتك لكي يسود على الخلائق التي كوّنتها ويسوس العالم بالقداسة والبرّ ويُجري الحكم باستقامة النفس هب لي الحكمة الجالسة على عرشك ولا ترذلني من بين بنيك» (الحكمة 9: 1 _ 4).

العبادات والمعاملات، أليست لكلّ من الجماعتين الدينيّتين طقوسها الخاصّة للانضمام إليها (الشهادتان والمعموديّة) وأماكنها المخصَّصة للعبادة (المساجد والكنائس) وطبقتها المختصة بأمور الدين (العلماء ورجال الدين عند المسلمين والقسّيسون والرهبان عند المسيحيّين)؟

ز ـ الإنسان واعترافه بحقوق الله:

(27) بما أنّ الرغبة هي نفسها عند المسلمين والمسيحيّين في الاعتراف بحقوق الله والطاعة لأوامره فيجتهدون كلّهم في أن يعامل بعضهم بعضاً معاملة تناسب ما سبق الله فقرّر لسعادة البشر فالوصايا التي قد أوحي بها قديماً إلى سيّدنا موسى تمثّل هي أيضاً تراثاً دينيّاً وأخلاقيّاً أصبح مشتركاً لنا في عدّة ميادين فها هي تلك الوصايا: «أكرم أباك وأمّك، لا تقتل، لا تزن، لا تسرق، لا تشهد على قريبك شهادة زور، لا تشته بيت قريبك، لا تشته امرأة قريبك ولا عبده ولا أمته ولا ثوره ولا حماره ولا شيئاً ممّا لقريبك» (الخروج 20: 12 ـ 17)، نعم، الاحترام للأشخاص وحريّتهم الذي يجبرنا على أن نعلن معاً أنّه «لا إكراه في الدين» والمساواة الأصليّة التامّة بين الرجل والمرأة في تنوع الوظائف والمهمّات، والتشجيع على الصدقة والضيافة والوفاء بالوعد والاهتمام بالمصلحة العامة مع إخضاع المصالح الفرديّة لها فكل هذا هو مجموعة العادات التي تعودّها المؤمنون منذ زمان بعيد سواء أدانوا بالإسلام أم بالمسيحيّة[1].

(1) لقد اعتبر المجمع المسكونيّ الفاتيكاني الثاني من المفيد بل من الضروريّ أن يضع وثيقة بكاملها لهذا الموضوع الهام الذي له تأثير عظيم على مصير الحوار فهي التصريح في الحرية الدينية حيث يؤكد فيما يعلن: «يقول المجمع الفاتيكاني أن للإنسان حق التمتع بالحرية الدينية . . . بحيث أنه، في المسائل الدينية، لا يُكرَه أحد على أن يتصرف ضدّ ضميره أو يُمنع من التصرف ـ في حدود العدالة ـ حسبما يُمليه عليه ضميره إن في السرّ أو في الجهر، وإن متفرداً أو في جماعة، ويعلن المجمع أيضاً أن الحق في الحرية الدينية يرتكز على كرامة الشخص البشري نفسها كما يدلّ عليها كلام الله والعقل نفسه، وحق الإنسان في التمتع بالحرية الدينية داخل النظام القانوني للمجتمع يجب أن يعترف به بحيث يأخذ وضع القانون المدني . . .

و(يُعمل) على حماية الحرية الدينية بطريقة شرعيّة» (في الحرية الدينية، الفقرتان 2 و15).

(28) لقد تعلم المؤمنون على حسب ما يُروى في أحاديث نشرها كثيرون في البشرية جمعاء أنّه «إنما المؤمنون أخوة» وأنه «لا يؤمن أحدكم حتى يحبّ لأخيه ما يحب لنفسه» (الغزالي الإحياء، كتاب المحبّة) أمّا الإنجيل فيذكّرنا على استمرار بأنّ الوصيّة الثانية تشبه الأولى تماماً: «أحبب قريبك كنفسك» (متّى 22: 39) وبأنّنا في اليوم الأخير سنحاكم على مقدار الصالحات التي حملنا الإيمان على القيام بها فطوبى لمن يستمع في ذلك اليوم صوت خالقه يقول له: «جعت فأطعمتموني وعطشت فسقيتموني وكنت غريباً فآويتموني وعرياناً فكسوتموني ومريضاً فعدتموني ومحبوساً فأتيتم إليّ. . . فكلّما فعلتم ذلك بأحد إخوتي هؤلاء الصغار فبي فعلتموه» (متّى 25: 35 ـ 40)، ألا يُروى في حديث مشهور أنّه «من نفّس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة»[1].

2 ـ مواطن الالتقاء بين المسيحيّين والمسلمين

أ ـ تحدّيات العالم المعاصر:

(29) هذه هي الأصول المذهبيّة المشتركة في معتقدات الديانتين وكل من هذه الأصول في الوقت نفسه يكوّن موطن التقاء للفكر والبحث ولكن هل يستطيع المؤمنون أن يكتفوا بتعداد مواطن التقارب محترمين نقاط التباعد فيما بينهم عندما يشاهد إخوانهم المعاصرون في تحيّر وبلا أمل ما يحدث بينهم من حوار نظريّ لا يهمّ إلا الخاصّة؟ فالعالم المعاصر يوجّه إلى الإيمان بالله ألوفاً من التحديات في ما يبرّر ذلك الإيمان وفي ما يعبّر عنه وفي ما يدلّ على فعّاليّته. إنّ المذاهب الفلسفية كالماركسيّة والنيتشيّة وتحليل النفس والوجدانية والبنيويّة تهدد الإيمان بالله لأنّها تقصد النقد السلبيّ الهدّام لهذا الإيمان بينما قد يكون من واجب المؤمنين أن يعتبروا كلاً من هذه الفلسفات كنقد إيجابيّ بنّاء

(1) ها هو نص الحديث بكامله: «ومن يَسَّرَ على معسر يَسَّرَ الله عليه في الدنيا والآخرة ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه». فتأتي هذه الأحاديث عند الغزّاليّ تمهيداً لبيان «تبادل الصفات» (راجع ما يأتي في نصّ المحاضرة).

في سبيل تطهير الإيمان من نواقصه لأنّ المؤمنين في قديم الزمان لم يقيّموا حقّ التقييم الأبعاد الشاسعة للظلم الاجتماعيّ فتجاهلوا الخلافات الطبقيّة في المجتمع، إنّهم جرّدوا الإنسان من كرامته غير مرّة فمنعوه كثيراً من مطامحه، إنّهم أهملوا أيضاً أعماق نفسيّة الإنسان والطاقات الغريزيّة لطبيعته، إنهم كذلك جهلوا ما تقتضيه الحرية وما تقدمه التلقائية من إمكانيّات بنّاءة جبّارة، إنّهم تناسوا أحياناً المشاكل اللغوية التي يواجهها كلّ تعبير عن خبرة إنسانية بما فيها الإيمان بصفة خاصّة. ألا يجب على المسيحيّين والمسلمين أن يجدّدوا أساليبهم وطرقهم فيتبادلوا ما لهم من خبرة حتّى يواجهوا معاً تحديات العالم المعاصر فيأتوا بأجوبة إيجابيّة لأسئلة الثقافة الإلحاديّة؟ لم ينته بعد جهدهم في اكتشاف جميع أبعاد الإيمان بالله وخاصّة تلك الأبعاد التي توافق ما تنتظره الثقافة العلميّة المعاصرة من التنسيق والانسجام بين العلم والإيمان، أليس هذا هو الموطن الأوّل للالتقاء في أبحاثنا الدينية، هذا اليوم؟

(30) إن أعلنّا مع يسوع المسيح: «لا تقدرون أن تعبدوا الله والمال» (لوقا 16: 13)، فنحن مضطّرون أن نعترف بأن الوثنيّة مع جاهليّتها تتوالد توالداً متجدّداً بدون انقطاع وبأنّ الأوثان الجديدة هي أقوى من القديمة بكثير، تلك الأوثان التي تستبدّ بالمخلوقات والعباد باسم الدولة أو الجنس أو المال، باسم التقنية أو الإنتاج أو الاستهلاك، باسم السمعة الفارغة أو الحريّة الفاسدة أو السعادة المزيّفة. نعم، إنسان اليوم ينتظر تحريراً جديداً يمكّنه من الاعتراف بالله فبذاته وبإنسانيّته، أليس الكفاح في سبيل تحرير جميع إخواننا من جميع أنواع الاستبداد هو الموطن الثاني الذي نجتمع فيه نحن المسلمين والمسيحيّين كما نادانا بذلك المجمع المسكونيّ الفاتيكانيّ الثاني في تصريحه عن علاقات الكنيسة بالأديان غير المسيحيّة إذ يقول: «لئن قامت بين المسيحيّين والمسلمين عبر الأجيال منازعات وعداوات غير قليلة فإنّ هذا المجمع المقدّس يستحثّ الجميع على أن يضربوا صفحاً عن الماضي ويعملوا بإخلاص على إحلال التفاهم ويتعاونوا على حماية وتعزيز العدالة الاجتماعيّة والمناقب الخلقيّة

والسلام والحريّة لجميع الناس» (فقرة 3) فقد تتحقّق هكذا رؤية صاحب المزامير بفضل جهودنا جميعاً ومعاً إذ يناجينا قائلاً: «الرحمة والحقّ تلاقيا، العدل والسلام تلاثما، الحقّ من الأرض نبت والعدل من السماء تطلّع» (المزامير 84: 11 ـ 12).

ب ـ التزام المؤمنين:

(31) إيماننا بالله هو الأساس بالذات لمثل هذا الالتزام في خدمة إخواننا لأنّه يُوجد في كل منهم ذلك الإنسان الذي «خلقه الله على صورته» كما يأتي في أوّل التوراة (التكوين1: 26) وفي الحديث نفسه[1] فلقد قال يسوع للمسيحيّين: «أحبّوا أعداءكم وأحسنوا إلى من يبغضكم وصلّوا لأجل من يعنتكم ويضطهدكم لتكونوا بني أبيكم الذي في السماوات لأنّه يطلع شمسه على الأشرار والصالحين ويمطر على الأبرار والظالمين... فكونوا كاملين كما أنّ أباكم السماويّ هو كامل» (متّى 5: 44 ـ 48) أمّا المسلمون فهم على علم مع الإمام الغزّاليّ بأن المؤمنين قالوا قديماً: «تخلّقوا بأخلاق الله وذلك في اكتساب محامد الصفات التي هي من صفات الإلٰهية من العلم والبرّ والإحسان واللطف وإفاضة الخير والرحمة على الخلق والنصيحة لهم وإرشادهم إلى الحقّ ومنعهم من الباطل»[2]، ألا يؤدي بنا هذا المنهج إلى تبادل الصفات، ذلك التبادل الذي

---

(1) كثيرون هم العلماء الذين يفسّرون هذا الحديث تفسيراً يرجع فيه الضمير المضاف إليه إلى آدم نفسه فالمعنى عند هؤلاء هو أن الله خلق آدم وفقاً للصورة الآدمية التي كانت عنده في أزليته غير أن الغزّاليّ كأنّه يرى في الحديث رأياً يخالف هذا التفسير إذ يذكره في بيان المناسبة بين آدم المخلوق وبين خالقه فيقول: «أمّا... المناسبة الخاصّة التي اختص بها الآدميّ فهي التي يومئ إليها قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾. إذ بيّن أنه أمر ربّاني خارج عن حدّ عقول الخلق وأوضح من ذلك قوله تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾. ولذلك أسجد له ملائكته ويشير إليه قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ﴾. إذ لم يستحق آدم خلافة الله تعالى إلاّ بتلك المناسبة وإليه يرمز قوله ﷺ «إن الله خلق آدم على صورته»، حتى ظن القاصرون أن لا صورة إلاّ الصورة الظاهرة المدركة بالحواس» (الغزّالي، الإحياء، كتاب المحبّة).

(2) الغزالي، الإحياء، كتاب المحبة ويضيق بنا المجال هنا لنأخذ بعين الاعتبار كل ما قاله الغزالي في «السبب الخامس للحب وهو المناسبة والمشاكلة لأنه شبه الشيء منجذب إليه والشكل إلى الشكل أميل».

يشير إليه حديث قدسّي مشهور جاء أيضاً في كتاب الإحياء للغزّاليّ: «لا يزال يتقرّب العبد إليّ بالنوافل حتّى أحبّه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به» (كتاب المحبّة).

(32) فبناء على إيماننا بالله الحيّ الذي يحبّ الحياة ويريد أن تمنح للجميع ثمارها الكثيرة نجتهد كلّنا أجمعون في سبيل احترام الحياة أينما كانت مهدّدة فنخدم المرضى والمحتضرين في المستشفيات ونعمل لتطوّر الأبحاث الطبيّة والمناهج العلاجيّة في المختبرات ونستنكر الإجهاض الاصطناعيّ والإماتة السابقة لأوانها في المجتمعات الإباحيّة وننكر الأساليب السهلة الميسّرة في ميدان تنظيم النسل ونرفض الحروب والتجارب المميتة للبشر في جميع أنحاء العالم، إنّ الحياة أوّل النعم التي أنعم بها الخالق علينا فلا حقّ للإنسان أن يتصرّف بها على هواه فالمجامع الكنائسيّة والباباوات كلّهم لم يكتفوا أبداً من أن يذكّروا بهذه الحقيقة الأساسيّة جميع المسيحيّين مهما كانت مصاعب الساعة ومشاكلها[1].

(33) وبناء على إيماننا بالله العادل الذي خلق خيرات هذه الدنيا لمنفعة كافة سكانها نحارب كل أنواع التمييز بين البشر سواء أكانت مبرّراته جنسيّة أم عنصرية أم ثقافية أم دينية أم قومية كما نحارب كل أنواع الامتلاك والاحتكار لثروات هذه المعمورة من طرف الرأسمالية سواء أكانت فرديّة أو حكوميّة وسواء أظهرت في الغرب أم في الشرق ونكافح ضدّ التوزيع السّيء لتلك الثروات الطبيعيّة وأنانيّة بعض الدول الغنية التي تنسى أو تتجاهل خدمة البلدان الفقيرة بواسطة المؤسسات الدولية فهذا على الأقل هو الجهد الذي يقوم به خيار

(1) فيما جاء من الوثائق في هذا الموضوع الهام الرسالة العامة لقداسة الباب بولس السادس بعنوان الحياة البشرية (25 تموز 1978) في تنظيم النسل والأبوة المسؤولة مع الاحترام التام لطبيعة الوصال الزوجي ومقاصده النهائية ومع الوفاء الكامل لما رسمه الله لنقل الحياة من جيل إلى جيل (النص الإيطالي في **L'Osservatore Romano** بتأريخ 1 ـ 8 1968 والنّص الفرنسي في **La Documentation Catholique** باريس بتأريخ 1 ـ 9 1968، ص1442 ـ 1458 أمّا النص العربي فقد جاء في مجلّة المسرّة ببيروت سنة 1968، عدد 539، ص678 ـ 687.

المسيحيين بدون انقطاع فيشاركون الناس في كل مكان كفاحهم الجبّار ضدّ التخلّف الاقتصادي في سبيل تقدّم الشعوب وارتقائها وهم في ذلك الجهد لا ينتظرون ثواباً غير الطاعة لمشيئة الله في أتم الاحترام للأشخاص والثقافات والحضارات فتأتي أعمالهم وآلامهم مبذولة في خدمة الحياة والإنسانية إذ يسودها روح المساواة مع الجميع والاحترام الكامل لكلّ الحرّيّات[1].

(34) وبناء على إيماننا بالله ذي الحرّيّة المطلقة في الخلق والإبداع ندافع في كلّ مكان عن القيم التي هي من توابع الحرّيّة نفسها سواء أكانت حرية التجوّل أم حرّيّة التعبير أم حرّيّة التفكير أم حرّيّة الاختيار في الدين، لأن الحرّيّة وحدها تكوّن الضمان الكافي لازدهار الطاقات الإنسانية في كلّ شخص وفي كل جماعة، ولأن الحرية وحدها تتيح الفرصة للإنسان حتى يصبح مسؤولاً عن أعماله ويكتسب شخصيّة متكاملة، ولأنّ الحرية وحدها تفيض في قلب المؤمن الرضى الناتج عن عبادة الله بدون إكراه ما فيكرّس نفسه لخدمته

(1) هل يجب في هذا الموضوع أن نذكر أن محبة المسيحيين ومساعداتهم تنال جميع الناس بدون أي تمييز في العنصر أو في الدين ومن غير أن ينتهزوا الفرص لحمل من يساعدونهم على اعتناق المسيحية وبدون أي نوع من أنواع الإكراه بهذه المناسبة، إنه هو الموقف المستمر الذي يقفه عادة الكاثوليكية ويتخذه كثيرون من إخوانهم من الكنائس البروتيستانتية (جمع مذكرة هونج كونج لسنة 1975 في المقالة التي عنوانها مشاركة المجمع الدولي للكنائس في الملتقيات الحوارية الدولية والجهوية للأستاذ ج. ب. تايلور في مجلة المعهد الباباوي للدراسات العربية بروما **Islamochristiana** (إسلاميات مسيحيات، روما، عدد 1، سنة 1975، ص97 ـ 102).
أمّا المسائل الاجتماعية ومشاكل الترقي فالمرجو فيها أن يُراجع ما جاء حديثاً من الوثائق في مجموع الرسائل العامة التي وجهها الباباوات إلى جميع المسيحيين فمنها رسالة قداسة البابا يوحنا الثالث والعشرين بتأريخ 15 ـ 5 ـ 1961 تحت عنوان الكنيسة أم ومعلمة في التطور الحديث للمشكلة الاجتماعية على ضوء المبادىء المسيحية (النص الإيطالي L'Osservatore Romano بتأريخ 15 ـ 7 ـ 1961 والنص الفرنسي في La Documentation Catholique باريس بتاريخ 6 ـ 8 ـ 1961، ص 946 ـ 990 ومنها أيضاً رسالة قداسة الباب بولس السادس في تقدم الشعوب وارتقائها بتأريخ 26 آذار 1967 تقدماً متكاملاً يتضامن فيه جميع الشعوب (النص الإيطالي في L' Osservatore Romano بتأريخ 28 ـ 29 ـ 3 ـ 1967 والنص الفرنسي في La Documentation Catholique بتأخري 16 ـ 4 ـ 1967 ص674 ـ 704 والنص العربي في نشرة خاصة أصدرتها السكرتارية لغير المسيحيين (المطبعة البولسيّة، جونيه، لبنان، 63 ص).

تعالى تكريساً يناسبه تماماً إذ صرح المجمع المسكونيّ الفاتيكاني الثاني من ناحيته: «إنّ كرامة الإنسان تقتضي منه أن يعمل دائماً على حسب اختياره بكلّ وعي وحريّة يدفعه إلى ذلك اقتناع شخصي فيحمله على ذلك بعد ما تحرر الإنسان نفسه من استبداد أهوائه» (دستور عقائديّ في الكنيسة وعالم هذا اليوم، فقرة 17).

(35) وأخيراً فبناء على إيماننا بالله الذي هو السلام والجامع للناس نجتهد في سبيل إنشاء التآخي الدوليّ مع احترام الثقافات الوطنية فنشجّع الناس على الحوار الدائم كوسيلة وحيدة لحلّ الخلافات ونكافح القوميّات المنطوية على نفسها غير المتفتحة تجاه غيرها. نعم، بناء على إيماننا بالله الذي هو رحيم غفور نرفض كل روح انتقامي وكل قضاء ظالم لأن الغفران وحده يجدّد في كيان المسجون أو المحكوم عليه أو المعترف بخطيئته الطاقات التي ستتيح له أن يبدأ حياة جديدة ولأن الرحمة البشريّة وحدها تشهد في هذه الدنيا لتلك الرحمة الإلٰهية التي لا حدود لها ولا نهاية.

ت ـ المؤمنون تجاه عالم هذا اليوم:

(36) الحياة للجميع والعدالة للجميع والحريّة للجميع والأخوّة للجميع هذه هي القيم البشريّة التي قد تكوّن مواطن الالتقاء لالتزام المؤمنين في المشاكل الحضارية المعاصرة إذ هي في الوقت نفسه قيم تنبثق من الإيمان، فمهما كانت الاختلافات العقائدية الأساسية من حيث التقرّب من الغيب في معرفة الله ومن حيث النظر إلى مهمّة الأنبياء في التأريخ اعترف الجميع بأن ما لنا من معتقدات مذهبيّة مشتركة يبرّر أعمالاً مشتركة في خدمة الإنسانية جمعاء باسم الإيمان وبواسطة «حوار القِيَم» الذي علينا أن نخوضه أوّلاً وأخيراً ولو ضحّينا بذواتنا. فقد قدّم المجمع المسكونيّ الفاتيكانيّ الثاني مواطن الالتقاء هذه كلّها لتفكير المسيحيين وتنفيذهم في وثيقة طويلة جدّاً عنوانها «الكنيسة في عالم اليوم» وهي وثيقة غايتها الدفاع عن الكرامة المطلقة التي يتمتع بها ذلك الإنسان الذي يعيش تحت نظر الله إليه وفي الطاعة لأوامره محترماً تماماً الحياة

والعدالة والمساواة والحرية التي هي كلّها من الحقوق الإنسانيّة لمن يعاصرنا من البشر.

(37) تلفت هذه الوثيقة أنظارنا نحن المؤمنين أوّلاً إلى ما هي عليه الحالة البشريّة من آمال وآلام ومن تغيّرات نفسيّة وأخلاقيّة ودينية ومن اختلالات جديدة في التوازن ومن مطامح أشمل وأكمل ومن أسئلة أشدّ عمقاً وعرضاً. فالأولوية فيها لثلاثة مجالات ذات صبغة عامّة وهي: كرامة الإنسان فوحدة المجتمع البشري ثمّ ترقية النشاط البشري في الكون. إنّه من واجب المؤمنين وهم على علم بكرامة الإنسان وبتناقضاته أن يذكّروا الجميع أولاً ما هي كرامة العقل الذي كماله الحقيقة والحكمة وما هي كرامة الضمير الذي كماله الحريّة والرشد والاستقامة وذلك بقبول الحوار مع كلّ من يمثلون الإلحاد المعاصر. ومن واجب المؤمنين وهم يهتمون بالمجتمع البشري كل الاهتمام أن يؤكّدوا ثانياً على الطابع الجماعي للحياة البشريّة من التبعية المتبادلة بين الفرد والمجتمع ومن أفضليّة المصلحة العامة على الخاصة ومن احترام الإنسان في شخصيته ومن التقدير والمحبة تجاه الأعداء ومن مساواة جوهرية بين جميع الناس ومن تجاوز علم يعتني بأخلاق الفرد أكثر منه بأخلاق المجتمع. ومن واجب المؤمنين، وهم على يقين بقيمة النشاط البشري، أن يحترموا ثالثاً أنه ما من استقلال خاص للحقائق الدنيوية فيسهّلوا لها السبيل إلى التكامل وفقاً لما رسمه الله لمخلوقاته: ألا تنتظر هي أيضاً «سماء جديدة وأرضاً جديدة» (الرؤيا 21: 1).

ث ـ كرامة القيم الدنيويّة:

(38) ثم تتناول الوثيقة نفسها بعض المشاكل الهامة لعلها تلفت أنظار المسيحيّين وقد تكون هي كذلك مواطن أخرى للالتقاء بين المؤمنين ولالتزامهم المشترك في أمور هذه الدنيا، فالأولى هي كرامة الزواج والأسرة إذ من وجوهها قدسيّة الزواج والأسرة وعظمة قيمة الحبّ بين الزوجين والإنجاب بالبنين والبنات واحترام الحياة البشرية في ولادتها وقبلها منذ بداية الحمل والكرامة

الفائقة المعترف بها للمرأة التي تحتاج إلى ترقية حقيقيّة في هذه الآونة. أمّا المشكلة الثانية فهي ازدهار الثقافة الذي من شروطه تنسيق العلاقات بين الإيمان والعلم وانسجام مختلف القيم داخل هيكل كلّ ثقافة والاعتراف بحق الجماهير للتثقف والاجتهاد المستمر في سبيل إيجاد ثقافة إنسانيّة عالميّة متكاملة. ثمّ تأتي المشكلة الثالثة وهي مشكلة الحياة الاقتصادية والاجتماعية التي تفرض على الجميع الترقّي الاقتصاديّ في خدمة البشرية والقضاء على ما في المجتمع من تفاوت اقتصادي واجتماعي وإثبات العدالة الاجتماعية بحلول عادلة لجميع الخلافات في ميدان العمل وجعل المشاركة قاعدة من قواعد الإنتاج والتنظيم وقاعدة من قواعد الاقتصاد واحترام الملكيّة الخاصّة من ناحية وخدمة المصلحة العامة من ناحية أخرى ثم الجهد في جعل كل الثروات الدنيوية في متناول كافّة سكّان هذه المعمورة. أما المجتمع السياسي فهو يكون المشكلة الرابعة ويتطلب التضامن بين جميع المواطنين في إحياء تراث الأمة ونشاطها بطريقة نظم ديموقراطية تحترم جميع الحريات المذكورة أعلاه. وأخيراً تأتي المشكلة الخامسة وهي المحافظة على السلم العالميّ وإنشاء جماعة الأمم جماعة موحدة فالشروط لذلك واضحة وصعبة في حين واحد، إذ أهمّها الرفض المطلق لجميع الحروب أو التخفيف من وطأتها إذا ما أُجبرنا، كون الإنسان مخطئاً، على أن نتحمّل عواقبها وتناقضاتها، والنضال في سبيل نزع للسلاح يتزايد حتى يصبح عاماً شاملاً، والجهد في سبيل التعاون الدولي سواء أكان في الميدان الاقتصادي أم الثقافي أم الاجتماعي والجهد كذلك في سبيل توطيد أركان المؤسسات الدولية والأممية[1].

(1) كثيراً ما أتت جهود أعلى المسؤولين المسيحيين وتصريحاتهم الملحة على توطيد أركان السلم العالمية فقد كانت الرسالة الجامعة لقداسة البابا يوحنا الثالث والعشرين في السلام على الأرض بتأريخ 11 نيسان 1963 تنادي بالسلم بين جميع الأمم تستند إلى الحقيقة والعدالة والمودة والحرية (النص الإيطالي في L'Osservatore Romano باريس بتأريخ 21 ـ 4 ـ 1963، ص ص 51 ـ 546 ثم جاء تصريح قداسة الباب بولس السادس أمام مجلس الأمم المتحدة بمدينة نيويورك بتأريخ 4 ـ 10 ـ 1965 يطلب فيه التزام الجميع في سبيل السلام والتآخي إذ صاح قائلاً: «لا حرب =

خاتمة:

(39) إن المؤمنين إذا عملوا هكذا في خدمة الحياة والعدالة والحرية والأخوة فقد يبدون البرهان القاطع على أن إيمانهم بالله ذو فعالية للبشر وقابل للتصديق عندهم فلا يستطيعون أن يتوسّلوا إلى الله بكونه خالقاً ومخلصاً لجميع الناس إذا رفضوا أن يعاملوا هؤلاء الناس أجمعين معاملة الأخ لأخيه لأن المسيحيين يزعمون منذ عشرين قرناً تقريباً أنه «إن قال أحد إنّي أحبّ الله وهو مبغض لأخيه فهو كاذب لأن من لا يحب أخاه الذي يراه كيف يستطيع أن يحب الله الذي لا يراه» (رسالة يوحنا الأولى 4: 20) «فلا تكن محبّتكم بالكلام ولا باللسان بل بالعمل والحق» (رسالة يوحنّا الأولى 3: 18) أما المسلمون فهم على علم اليقين بأنهم يؤمرون بالعمل وفقاً لإيمانهم إذ قيل في القرآن: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ (قرآن 9: 105) فكأن المسيحيين والمسلمين يلتقون في عدة مواطن على مستوى المعتقدات والمعاملات فينجر من ذلك أنه من واجبهم أن يوضّحوا فيعرِّفوا أيّ حدّ يكون الدين لكل من الديانتين إيديولوجية للحياة وإلى أي حدّ يستلزم الإيمان الصحيح التزام المؤمنين الأحرار في سبيل إيجاد العدالة الاجتماعية فإنهم هكذا قد يكتشفون ما أكثر

= إلى الأبد. . . . لا حرب إلى الأبد. . . فالسلام والسلام وحده يجب أن يوجه مصير الشعوب والإنسانية كلّها». ومن المعلوم أنه عين فيما بعد يوماً خاصاً للاهتمام بالسلم العالمي وهو رأس كلّ سنة جديدة (النص الفرنسي في L'Osservatore Romano بتأريخ 6 ـ 10 ـ 1965 وفي المجلة La Documentation Catholique باريس في تاريخ 17 ـ 10 ـ 1965 ص 1729 ـ 1738.

ملاحظة أخيرة: لكل من العهد القديم والعهد الجديد للكتاب المقدس عند المسيحيين راجعنا، في هذه المحاضرة، الترجمة الفرنسية غير الرسمية التي سميت ترجمة «القدس» مع ما فيها من علامات وترتيبات وأرقام للآيات غير أننا اتخذنا لترتيب المزامير ترتيبها القديم على حسب ما جاء في ترجمة «السبعين» الرسمية للكنيسة للتنسيق مع الترجمة العربية إذ راجعنا لهذه اللغة ما جاء به الرهبان اليسوعيون ببيروت بعد مشاركة الأديب المشهور إبراهيم اليازجي أعمالهم اللغوية على عهد النهضة العربية في الشرق الأوسط.

وفيما يخصّ الترجمة الفرنسية للقرآن راجعنا ما جاء به الأستاذ المستشرق الفرنسي بلاشير واحترمنا الترتيب الرسمي للآيات الكريمة.

(Ed. G. P. Maisonneuve et Max Besson, Paris).

الحقائق التي توحّد صفوفهم إذا ما كافحوا معاً ضدّ الأحكام المسبقة الخاطئة ونقّصوا من سوء التفاهم والتعاون فيما بينهم. ألا يتمنّى الجميع في هذا الميدان أن يتمكّن المؤمنون من الاستماع إلى ما يوحي به إليهم الخالق في الظروف الراهنة ومن الالتزام المتزايد في خدمة إخوانهم في البشرية وكذلك لمجد الله في العلى ولمسرّة الناس على الأرض. نعم، إنّهم يصغون إلى صاحب المزامير ينشد لهم: «طوبى للذين بك عزّتهم يا ربّ فإنّ في قلوبهم مراقي إليك» (المزامير 83: 6).

بحث:

«كيف نعمل على إزالة الأحكام المسبقة الخاطئة وضعف الثقة التي لا تزال تفرّق بيننا»

للباحث المسلم: الأخ محمد العيشوبي

إن هذا اللقاء الذي يجمع بين مسلمين ومسيحيين بقصد التفاهم. والذي يشارك فيه شخصيات ومراقبون من بلدان متعددة، يعتبر ذا أهمية بالغة. وبمقدار ما يرمي الحوار إلى تأسيس وتثبيت علاقات متوافقة بين البشر دون تمييز بين العقائد والأجناس، وبمقدار ما يهدف إليه من خدمة لحقوق الإنسان في الوجود، وإلى التفاهم المتبادل وإلى احترام الكرامة الإنسانية، فإنه يكون ضرورياً في عالم يسوده التهديد والاعتداء ونزعات التوسع.

إن اللقاءات بين المسلمين والمسيحيين لا زال يحيط بها عدم الثقة والشك المتبادلان. وفي الواقع أن المعارك والحروب المتنوعة والمكائد التي استمرت أكثر من ثلاثة عشر قرناً لم تسمح بتأسيس علاقات مثمرة ومتوافقة بين العالم الإسلامي والعالم المسيحي إذ لم يكن من الممكن إيجاد مناخ للحوار في ظل سوء الفهم واحتقار الأشخاص وجهلهم ببعضهم بعضاً.

وكم من خرافات لا أساس لها عرّفت المسلم في العالم وخصوصاً في العالم الغربي على أنه مثال التعصب وأنه مجبول على الاعتداء، وبمقتضى اعتقاداته فهو إنسان يعيش في الغيب. وهذه الخرافات تلقاها الإنسان الغربي منذ طفولته وترسخت فيه عبر السنين كما أن المسلم يعتبر المسيحي أجنبيًّا متسلطاً وأنانياً. وفي بعض البلاد يرى المسلمون من خلال المسيحي صورة المستعمر

وثمة مسلمون يرون في الكنيسة البذرة التي تولد منها الغرب المستعمر والضاغط، هذا الغرب الذي لا زال يضغط بكل قواه على قسم كبير من الإنسانية.

وليس من صالحنا أن نترك سوء التفاهم والحقد والبغض مستمراً بيننا. فماذا نعمل من أجل هدم هذه الأسباب التي تفرق بين الناس؟ أليس في قدرة الإنسان المعاصر أن يتجاوز فرديته كي لا يبقى محصوراً في دائرة مجتمعه وثقافته؟

إن المسلمين المنظمين لهذا الحوار قد طلبوا مني طرح موضوع اقترحه ممثلو الفاتيكان وهو: «كيف نعمل على إزالة الأحكام المسبقة الخاطئة وعدم الثقة التي لا زالت تفرق بيننا».

وهنا يجدر بنا توضيح أنه إذا كانت الكنيسة هي المؤسسة الدينية التي تمثل المسيحيين فإن الطرف المسلم لا يمثل المسلمين، ذلك لأن ديننا الإسلام لا يجيز وجود مثل هذه المؤسسة.

ونعلم منذ انعقاد المجمع المسكوني للفاتيكان الثاني أن الكنيسة قد عبرت عن رغبتها في الحوار مع المسلمين كما تشير إلى بعض نصوص هذا المجمع: «إذا كان الشقاق والكراهية قد ظهرا بين المسيحيين والمسلمين عبر القرون فإن المجمع المسكوني يدعوهم جميعاً إلى نسيان الماضي، والعمل بإخلاص من أجل التفاهم المتبادل»[1].

وجدير بالذكر أن الإسلام منذ ظهوره دفع المسلمين في طريق السلام ومجادلة أهل الكتاب بالحسنى. كما دعاهم إلى احترام الإنسان. ونص الإسلام أيضاً على وجوب قيام الحوار بأحسن السبل. قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾[2].

---

(1) Documents conciliaires tome 2 page 215 - Editions du Centurion-Paris 1965.

(2) Coran 29-46.

إن الحوار الحقيقي الذي يعبِّر المرء من خلاله بصراحة عما يشعر به يقودنا إلى تحقيق علاقات جديدة في مصلحة كافة الناس. وعملنا من أجل التفاهم الأفضل بين البشر يعتبر واجباً إسلامياً.

وما لا شك فيه أن قضية السلام والتضامن الإنساني بالنسبة للبلاد الإسلامية تعتبر ذات أهمية بالغة. ونسيان الماضي بما فيه من مظالم وآلام يعد استجابة نداء عقيدتنا الإسلامية السمحاء. ولكن لا يمكن لنا أن نبتعد عن القضايا الحيوية التي تضمن وجودنا كرجال أحرار. إننا نريد بناء مستقبلنا مبتدئين بحل قضايا الساعة.

وإذا تساءلنا كيف نضع حداً للأحكام المسبقة الخاطئة فلا بد أن نتساءل أيضاً لماذا كانت هناك أحكام مسبقة خاطئة وخلافات؟ أليس من الأفضل لإعطاء موضوعية الحوار قيمتها أن نحدد موضع الخلافات التي أدت إلى هذه الأحكام المسبقة الخاطئة المترسخة في النفوس؟ وإني على يقين بأن الماضي مهما اشتد سواده عائد إلى التاريخ وأنه لا يمنعنا من توثيق العلاقات بيننا، كما نبني عالماً أفضل.

ومعلوم أننا إذا التزمنا بتحديد الأسباب الحقيقية لخلافات الماضي وإذا التزمنا أيضاً بإصلاحها فإن آثارها، أعني عواقبها، ستزول من نفسها وهكذا تتأسس علاقات بيننا في جو من التفاهم والثقة.

وينبغي لنا أن نستفيد من مآسي هذا الماضي كي نعرف ماذا ينبغي أن ننسى لأجل أن لا يتجدد أبداً.

وفي نظري هذا هو خير سبيل لنسيان ماض سيئ الذكرى.

وأريد أن أتكلم بصدق وصراحة مع محاورينا المسيحيين حتى لا أستعمل العبارات الدبلوماسية وأتناول بإخلاص المواضيع التي تتعلق بلقائنا هذا.

ومثل ما ظهر الدين اليهودي والدين المسيحي نزل دين الإسلام مخاطباً

الكون ليبلغ رسالته الإلهية وليبشّر الناس بالسعادة في طاعة الله. ومن يقول أن الإسلام قد انتشر في الأراضي المسيحية أو في أرض دين آخر، فهم مخطئون ويعتبر جاهلاً بمعنى الدين الذي هو الرسالة السماوية الموجهة إلى الناس كافة لتهديهم إلى الطريق المستقيم. وليس هناك أرض مختصة بدين ما. والإنسان يعمل ويقوم بواجباته الإنسانية بذمة وضمير خاضعاً في ذلك لله وحده. والتاريخ يشهد أن رجالاً قد عرقلوا تطور الإنسانية عصوراً طويلة وزرعوا تحت اسم الدين العداوة والبغضاء بين الناس. وإذا أردنا أن نصلح جميعاً أخطاء الماضي، علينا أن نحدد الأسباب الحقيقية للنزاع، كي نسعى من أجل إلغاء عواقبها ومن أجل بناء عالم الغد على أسس موضوعية ومتينة.

وفي آخر القرن الحادي عشر حدثت أعمال شرسة تتنافى مع مبدأ المحبة والتهذيب الإنساني التي يعظ بها الإنجيل. تلك الأعمال قد مزقت كل أمل في تعايش إسلامي مسيحي. وهذه هي الحوادث التي زرعت بذور الصراع والحروب والحقد، حتى سكن كل هذا في الأذهان وترسخ عبر القرون.

إن المسيحية الأوروبية قد اندفعت في حرب تخريب مدبرة ضد العالم غير المسيحي وخصوصاً ضد العالم الإسلامي: وذلك بأمر من سلطتها العليا وهو البابا. ولا زالت عواقب هذه الحروب متواصلة إلى وقتنا الحاضر. ففي نوفمبر سنة 1095 أمر البابا «أوربان الثاني Urbain II» في مجمع «كلارمون» Clermant بهجوم عنيف ضد العالم الإسلامي. فكانت هذه أول حرب صليبية تسترت بستار تحرير كنيسة القدس وإعتاق ضريح المسيح. فكانت هذه هي الأسباب التي أوقدت أول حرب عالمية طالت قرنين تقريباً ودفعت كل الأمم الأوروبية ضد العرب والأتراك وغيرهم. ولم تقتصر هذه الحروب الصليبية للأسف الشديد على إعتاق ضريح المسيح.

إن السيد «لوديك دي كستري» Le duc de Castris عضو الأكاديمية الفرنسية ذكر بنقل من السيد «روبار موان» Robert Moine نداء البابا «أوربان

الثاني» من أجل الحرب الصليبية[1] فوصف البابا العالم الإسلامي بأنه «أمة ملعونة، أمة لا صلة لها بالله تماماً، ملة ما ولت قلبها إلى الله ولا روحها حوله، هذه الأمة التي احتلت في تلك البقاع أراضي المسيحيين» ثم توجه البابا إلى الحاضرين وإلى جميع المسيحيين قائلاً «لا تسمحوا لشؤون أملاككم وهموم عائلاتكم أن تقعدكم هنا فإن الأرض التي تقيمون بها محدودة بين المياه وارتفاع الجبال وتجعل سكان بلدكم في حيز ضيق فثروة أرضكم ضئيلة، لا تعطي لمن يزرعها إلا القليل من القوت وهذا ما سبب تمزقكم ومحاربة بعضكم بعضاً وبعد هذا تابع البابا أوربان الثاني تمجيد المسيحيين الموجودين حوله وهو يقول: انطلقوا في طريق الضريح المقدس، واغتصبوا ذلك البلد من أيدي هذه الشعوب الفاحشة، واخضعوها لسيادتكم»[2].

ويستخلص من هذا النداء الشهير للبابا «Urbain II» أن إعتاق ضريح المسيح ليس هو السبب الوحيد المبرر لذلك الهجوم الشرس ضد العالم الإسلامي وإنما نستخلص أن ثمة عوامل اقتصادية وبشرية انضمت إلى العوامل الروحية لتبرر اندلاع العنف المتتابع الذي افتتح عصر الاستعمار. وكان المسيحيون بالإضافة إلى القيام بواجبهم الديني مطالبين بنسيان انشقاقهم الناتج عن نقص الثروات لكي «يخضعوا» البلاد الإسلامية تحت سلطتهم. وهكذا ظل الأمراء والنبلاء وأكابر الغرب يستحوذون على أراضي البلاد الإسلامية ليجعلوا منها وكالات وإمارات إقطاعية . .

فإذا كانت إغاثة مسيحيي الشرق، ودخول زائري الغرب الأماكن المقدسة حجة مبررة للحروب الصليبية، فإن مؤرخين يعترفون أن مسيحيي الشرق لم يكونوا مهددين. وهذا مؤكد بما قاله الكاتب الذي أشرت إليه: ففي سنة 683 فتح الخليفة عمر بن الخطاب مدينة القدس وأصبحت بين يدي المسلمين

(1) La conquête de la Terre Sainte par les Croisés page 195 - Editions Albin Michel- Paris.

(2) La conquête de la Terre Sainte par les Croisés page 197.

والمعبد صار مسجداً. ولكن هذا الفتح لم يمنع الزائرين من دخولهم المدينة المقدسة. ولنا الدليل القاطع على العلاقات الحسنة التي قامت بين (شارلمان) (Charlemagne) والخليفة العباسي هارون الرشيد . . . وسمح ببناء أديار مسيحية (Monasteis) بفلسطين بمساعدة رهبان من الغرب، حتى ظل المسيحيون يمارسون شعائرهم بحرية[1].

إن السيد «بيرو» «Perroy»أستاذ شرف بالسوربون (Sorbune) كتب من ناحيته يقول: «في الواقع لا يوجد مثل يبين أنه قبل «أوربان الثاني» كانت البابوية تهتم بمصير الأرض المقدسة ولا بحماية زائريها، خشية من المسلمين»[2].

وفيما تكلم به عن النداء الرسمي للبابا (أوربان الثاني) أكد «غي دي بوشار Guy de Bosschère» الكاتب الفرنسي قائلاً: «ندرك لماذا كانت القرون الوسطى الأوروبية تتعلق بنظام مسنده إيديولوجي على خلاف حضارات العصور القديمة التي كانت مميزات قيمها ثقافية»[3].

وفي الواقع أن العالم المعاصر قد أبدل العلاقات الثقافية بإيديولوجية السيطرة ومما أكده المؤرخون أن الكنيسة أوجدت للاستعمار الإيديولوجية والنشاط اللازمين لتوسعه وانتشاره. والسيد «دو بوشار» «De Bosschère» قال: «إن الامبراطورية الإسلامية لم تتخلق بأخلاق الاستعمار، وأن المسلمين أتوا بحياة جديدة، وكانوا يعتبرون إنسان البلاد المفتوحة متساوياً معهم»[4].

وبعد ما أشار السيد «بيرو» «Perroy» إلى ظهور تكاثر بشري في كل بلاد

---

(1) Le Duc de Castries- La conquête de la Terre Sainte par les Croisés- Albin Michel- Paris.

(2) Les Croisés et l'Orient latin. Série «Les Cours de la Sorbonne» C.D.U. page 25- Paris.

(3) Guy de Bosschére «Autopsie de la colonisation» page 98- Edition Albin Michel- Paris.

(4) Guy de Bosschère «Autopsie de la colonisation» page 96- Edition Albin Michel- Paris.

الغرب في القرن الحادي عشر، وإلى إرسال بعثات تضم عائلات للإقامة في ما وراء البحار «بالبلاد المحتلة في المشرق الإسلامي، أضاف كاتباً: «ونستطيع أن نقول أن هذه «عملية استعمارية»[1].

هذا، وعبر مؤرخون على الحروب الصليبية أنها دفعت إلى «تطور أوروبا». وفي الواقع أن نهضة اقتصادية عالمية وحركة تجارية حدثتا بعد الحروب الصليبية في البحر الأبيض.

إنني أرجع إلى الكاتب الفرنسي «جيرار والتار» Gerard Walter الذي أعطى لكتاب السيد دي كاستري De Castris المقدمة المعنونة بـ: «احتلال الرأسماليين الإيطاليين للأرض المقدسة»[2].

وهذا الكتاب يذكر أن أساطيل مجهزة بالأسلحة الحربية في الموانئ الإيطالية كانت تساند جيوش الصليبيين الكبيرة، وكانت تحمل نحو البلاد الإسلامية جيوشاً مجهزة على نفقة رجال أعمال مدن جنوه GENOA وبيزة Pise، والبندقية Venise ثم أضاف كاتباً: «ومنذ ذلك الحين أصبح تجار البندقية Venise سادة ساحل سوريا»[3].

وهكذا شاهدت المدن الإيطالية منذ القرن الرابع عشر ظهور الرأسمال التجاري. وانطلق التسابق على احتلال أراضي وثروات الشرق الإسلامي. فالحروب الصليبية كانت في الواقع تحويلاً تعسفياً للثروات. وعلى هذا النحو تطورت الحياة الاقتصادية في البحر الأبيض. وباستطالة الاستعمار وأعمال الجيوش الاستعمارية احتلت أوروبا إفريقيا وآسيا احتلالاً غيَّر مجرى تطور التاريخ، وأحدث في عصر الثورة الصناعية احتلال الاقتصاد العالمي، وأنشأ

---

(1) Les Croisades et l'Orient latin «Les Cours de la Sorbonne» C.D.U. Page 1- Paris.

(2) La Conquête de la Terre Sainte par les Croisés: Par le Duc de Castries- Editions Albin Michel-Paris.

(3) La Conquête de la Terre Sainte par les Croisés: Par le Duc de Castries- Editions Albin Michel-Paris page 13.

علاقات جديدة أساسها الغزو والسيطرة. وهذه العلاقات لا زالت عواقبها تؤثر في عالمنا الحالي، قد قسمت العالم قسمين: قسم يعيش في الثروة والتقنية والقسم الآخر يعيش في الجوع والأمية، فكيف نصلح أو نعادل كل هذا؟ هل حكم على شعوب معينة أن تتحمل دائماً أبداً مظالم سياسية واقتصادية من البلاد القوية؟ . .

وأريد أن أقول بصراحة ما أعتقده إلى شركائنا في هذا الحوار لكي ننشئ جواً من التفاهم والوفاق المتبادلين حتى تتلاشى انشقاقات الماضي. ومن البين أن الاستعمار هو السبب الرئيسي للأزمة التي تهز حالياً عالمنا المعاصر وهو الذي جاهر وطبق إيديولوجية الكسب والسيطرة على الإنسان. ومن البين أيضاً أن الكنيسة توافقت مع الواقع الاستعماري. وها هو السيد «بيار غيوم» Pierre Cuilleme قد أثبت هذا كاتباً: «ومهما يقال فإن المبشر يعتبر مع الإداري والجندي والتاجر كوكيل لأوروبا المتسلطة»(1).

ثم أضاف الكاتب: «وفي كثير من الأحوال كان التبشير في طليعة الاستعمار فأحياناً كان الاهتمام بوقاية المبشرين هو العذر لهجوم عسكري وأحياناً كان التبشير نفسه نقطة الانطلاق للتسلط الاقتصادي والسياسي»(2).

ألا تجد هذه الأفعال مبرراتها في قول البابا (غريغوار السادس عشر) Gregoire XVI الذي جاء فيه: «فعلى أبنائنا الأعزاء في المسيح عيسى من الأمراء أن يساعدوا بقوتهم وسلطتهم على تحقيق تمنياتنا من أجل ازدهار الدين والدول فعليهم أن يفكّروا أن السلطة التي أعطيت لهم، هي لا لمجرد قيادة العالم، ولكن هي للدعم والدفاع عن الكنيسة، بوجه أخص»(3).

(1) Le Monde colonial XIXe - XXe siècle page 82- Editions Armand Coli Collection U Paris.

(2) Le Monde Colonial XIXe - XXe siècle page 13.

(3) Encyclique «Mirari Vos» 15 Août 1832 - Publiée par «Documents histoire vivante» Document V fiche 32. Editions sociales Paris.

وأردت أن أشير بهذا الاسترجاع الموجز لأحداث التاريخ إلى خواص الانشقاقات والاختلافات التي جعلت المسيحيين يقاومون المسلمين قروناً طويلة. والهدف المقصود من المقاومة كان يرمي إلى مرامي سياسية واقتصادية أكثر منها روحية. ولو لم تستعمل المسيحية التي هي رسالة سماوية موجهة إلى الناس لو لم تستعمل كستار من أجل تحقيق مصالح الغرب الشره والمسيطر، لبقيت بين المسلمين والمسيحيين علاقات مثمرة، ولكان وضع عالمنا ـ من دون شك ـ أفضل مما هو عليه الآن.

وينبغي لهذا اللقاء المنعقد بقصد الحوار، أن يدفعنا إلى كلمة الحق، وإلا فإنا نجرده من إيجابيته.

وإذا التزم كل منا بتطوير الجانب العالمي الإنساني لديننا واحترام من يعتقد غير متعقداتنا، وعملنا لئلا يُسَخَّر الدين في خدمة مصالح فئة من الناس، أو في خدمة بعض الدول على حساب فئات أخرى، وضد شعوب أخرى فإن مناخاً جديداً سينشأ ليجعل من خلافات الأمس تفاهماً ووئاماً لليوم والغد.

وينبغي لأسباب الصراع والخلاف أن تتلاشى، ولعواقبها أن تزول وكمال الدين يقتضي أن تتحقق سعادة الإنسان في طاعة الله، وأن تتحقق علاقات متينة بين الناس.

وينبغي أن يكون الدين اليوم أساساً لإقامة العدل بين الناس في العالم.

وكتب كاتب معاصر يقول: «عندما ورث المسلمون حضارة الإسكندرية والحضارة الهيلينية، واكتشفوا أرسطو ودرسوه بشغف، وطوروا علوم الرياضيات والطب، ووضعوا أصول الكيمياء الحديثة . . . فإن أوروبا استفادت من ذلك فائدة عظيمة»(1).

ولكن أوروبا الناهضة والمعاصرة التي تعيش في حضنها الجماهير الكثيرة

(1) Histoire de la Civilisation européenne. Par Claude Delmas- page 113- P.U.F. Collection «Que SAIS-JE» Paris.

من المسيحيين والتي تمارس فيها الكنيسة تأثيراً عظيماً، جعلت من العلم وتقدمه ملكاً أوروبياً، وسلاحاً للتسلط. والثورة الصناعية التي غيَّرت مصير أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية واليابان . . . هذه الثورة الصناعية قد أقصت البلاد الإسلامية التي وقعت بقوة السلاح تحت رقّ الاستعمار عن ميدان الحضارة والتقدم.

إن الحروب الصليبية التي اندلعت في نهاية القرن الحادي عشر باسم المسيحية، فتحت الطريق لعصر الاستعمار والظلم الذي لا زال قسم كبير من الإنسانية يعانيه.

وامتثال المرء لدينه، ألا يتطلب منه تطهير هذا الدين من كل أفكار الاستعباد ومن كل إيديولوجيات السيطرة؟

والذين نادوا في القرن التاسع عشر بفكرة «وطن قومي يهودي» اتخذوا من الدين اليهودي أساساً لتدعيم نظرياتهم. وما كان هذا إلا بداية حركة توسعية وحشيَّة. ويستعمل اليوم هذا الدين لبثٍّ إيديولوجية سياسية إرهابية تهدد السلام في العالم، في خدمة المطامع الإمبريالية.

وسأعود إلى هذا الموضوع قبل الختام . . .

وإذا بحثنا في الموضوع: «ماذا نعمل من أجل إزالة الأحكام المسبقة الخاطئة وعدم الثقة التي لا زالت تفرق بيننا». فإن هذا يتطلب منا البحث عن الأسباب القديمة التي ترجع إلى القرن الحادي عشر والتي جعلت هذه الأحكام المسبقة الخاطئة تترسخ في العقول. وإليكم فقرة من نشرة نادٍ مسيحي ظهرت سنة 1965مسيحي، وهي تقول: «إن قديسين عظماء ورجالاً يملأ الإيمان قلوبهم، وسياسيين فطناء، ونبلاء نشيطين، استعملوا كل مقدرتهم وكل طاقاتهم ليقوموا بعمليات عسكرية ضد الكافرين (بمعنى المسلمين) واسم الحروب الصليبية لا زال مستعملاً في كلامنا ليعبر عن نضال نشط من أجل قضية عادلة»[1].

(1) Cahiers Saint Bernard N. 1 PAR J. Garrido Directeur de recherches au C.N.R.S. Page 4 Editions du Cèdre Paris 1965.

وهكذا نلاحظ أن آثار حوادث القرن الحادي عشر لا زالت راسخة في الأذهان.

وأهمية الحوار تظهر بمقدار الرغبة الصادقة في تحديد الأسباب الحقيقية لخلافاتنا. ولذا ينبغي أن نعرف ما إذا كانت الحروب الصليبية تهدف فعلاً إلى خدمة طريق الدين، أم كانت عذراً ظاهرياً يحقق أهدافاً سياسية واقتصادية. ومن الضروري أن توضح هذه الأمور للرأي العام العالمي. فبهذا السبيل تزول الأحكام المسبقة الخاطئة من ذاتها.

ولا أريد أن أطيل الكلام عن أسباب أخرى زرعت عدم الثقة والاختلاف بين المسيحيين والمسلمين، ألا وهي أعمال المبشرين. فلم يحترم التبشير حرية ضمير الإنسان بل سعى إلى تحطيم قوى المسلمين. وفي كثير من الأحيان حاول المبشرون أن يتخذوا استراتيجية تسمح لهم أن يؤسسوا «جزراً مسيحية قوية في بحر الإسلام، تحميها القوة عند الحاجة، وذلك بهدف تأمين سيطرة الأمم الأوروبية»[1]. قد يطول بنا الكلام لو حاولنا سرد هجمات المبشرين ضد العالم الإسلامي.

وبالإضافة إلى كل أشكال الحروب ضد المسلمين أشير إلى حرب نفسية قام بها عدد كبير من المستشرقين حاولوا أن يهدموا الإسلام من الداخل، وأن يزيفوه ويغيروا من طبيعة المسلم ويجعلوه غربياً تفكيراً وخلقاً. وهؤلاء المستشرقون ساهموا في تقديم صورة مشوهة عن الإسلام للغرب، مما زاد في تعميق الخلاف بين الغرب والعالم الإسلامي.

وإذا قام مسلمون ومسيحيون بالبحث والتحليل التاريخي فإنه سيوضح الدوافع الحقيقية للحروب الصليبية والدوافع التي خلقت العداوة والبغضاء بيننا،

---

(1) A Quellien «la politique musulmane» dans l'Afrique Occidentale Française - Emile Laroze Paris 1910. 200-201.

Cité par SY «la confrérie sénégalaise» des Mourides - Présence africaine - Paris- Page 205.

حتى يبقى للدين نقاؤه. لذا فلا بد من توضيح الأسباب الحقيقية التي أفسدت العلاقات الطيبة التي كانت قائمة بين المسلمين والمسيحيين.

ومما لا جدال فيه أن الدين الإسلامي والدين المسيحي على ما هو عليه الآن يختلفان في أسسهما. ومحاولة الجمع بينهما في هذه الناحية يعتبر عملاً لا نتيجة منه. وهذه الخلافات الأساسية تتضح فيما إذا سئل مسلم: «من هو عيسى؟ وسئل مسيحي: من هو محمد؟ فإن الجوابين لن يكون لهما نفس المعنى ولا نفس الألفاظ».

وفيما أرى لا ينبغي لحوارنا أن يوضع في إطار عقائدي فإن العقيدتين معروفتان، ولكن إذا طرحنا حوارنا في إطار تاريخي وربطناه بالقضايا المعاصرة فإننا بهذا نكون قد أعطيناه الأهمية التي يستحقها. إن الخلافات الأساسية بين دينينا، لا يمكن لها أن تزول إثر نقاش عقائدي مهما كان حظه من المجاملة.

وتعريف المسيح الذي تطرحه الكنيسة لا يوجد له أساس في القرآن الذي يعتبر المسيح رسولاً. والآيات القرآنية التي تقول: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ (صدق الله العظيم)[1] هذه الآيات تعطي للإيمان تعريفاً واضحاً لا شبهة فيه، وترفض أساساً التثليث التي يرى في الله: الأب، والابن، والروح القدس.

والإسلام ينبع من مصدر الأديان السماوية، ويتميز بمميزاته الخاصة. فإن المسلم المتشبع بالقيم القرآنية التي تدفع الإنسان إلى التفكير، والتي تجعل من تطور القوى العقلية واجباً حتمياً، لا يقبل فكرة تشبيه الإنسان بالإله. ومع ذلك فإن المسلمين والمسيحيين يمكن لهم أن يتعايشوا في تفاهم وفي وفاق، نظراً لأنهم يدينون بدينين يدعوان إلى الخير وإلى احترام الإنسان وإلى التسامح. واحترام الإنسان بكليته هو الذي يسمح للثقة أن تتحقق بيننا لنبني معاً عالماً أفضل.

---

(1) Coran 112 - 1.

إن تفرقنا سينتهي، وفقدان الثقة بيننا سيزول عندما تنشأ روح الثقة وتتدعم بالتزامنا المشترك من أجل حل المشاكل الحالية، ومن أجل إعطاء الوضع البشري كرامته.

إن مجمع الفاتيكان الثاني قد دعا المسلمين والمسيحيين إلى نسيان الماضي ليعيشوا في جو من التفاهم المتبادل، وإلى «نشر العدالة الاجتماعية» بين الناس والقيم الخلقية والسلام والحرية»[1].

إن المسيحيين سواء من يمثلهم الفاتيكان أو تمثلهم الكنائس الأخرى سيجدون استجابة كاملة لدى الرأي العام الإسلامي لو اندفعوا بفعالية وصدق في طريق تحقيق السلام والعدالة الاجتماعية بين كافة بلدان العالم وشعوبه.

والمسيحية التي شكلت الحضارة الغربية نجدها مرسخة في العالم الغربي الذي لا زال يضغط على شعوب العالم الثالث. فمن الأكيد أن الأحكام المسبقة الخاطئة ستزول عندما يشرع الناس جميعاً في بناء الحياة المعاصرة بعدل وإنصاف.

والكفاح من أجل العدالة الاجتماعية لكل الشعوب هو موضوع يجمع بين المسلمين والمسيحيين الذين يزيد عددهم على نصف سكان الأرض، ويشاركهم في هذا الهدف رجال آخرون مؤمنون وغير مؤمنين.

إن العدالة الاجتماعية في العالم تتحقق بإصلاح الوضع العالمي الظالم، والظروف تفرض تعبئة الجماهير في العالم، لأن الاحتكاريين والمدافعين عن استمرار الأوضاع الراهنة لا يتنازلون برضى عن أطماعهم.

والمسيحيون يستطيعون أن يقوموا بدور كبير في الغرب لمحاربة النزعات العدوانية، وذلك إذا ضغطوا على الحكومات التي تخضع بلاد العالم الثالث لسيطرتها السياسية والاقتصادية، وإذا لفتوا نظر الرأي العام سواء في أماكن العبادة أو عن طريق وسائل الإعلام إلى هذه المظالم.

---

(1) Documents concilaires. Concile Oecuménique Vatican II Editions du centurion Page 215- Paris.

وكيف يمكن أن نتكلم عن العدالة بدون إدانة الطريق الخاطئة التي طرحت بها أزمة العالم المتطور للرأي العام وصورت له على أنها ناتجة عن ارتفاع السعر العالمي للنفط والمواد الأولية الأخرى، والواقع أنها نتجت عن وضع جديد يتعارض مع أسس ونظم متابعة لعصر الاستعمار والواقع أيضاً أنها أزمة نظام تأسس على الظلم. ومن الضرورة أن تثير هذه القضية اهتمامنا لأن الثقة لا تتحقق بين الناس إذا كانت العلاقات التي تربط بينهم مختلَّة التوازن.

وعندما نتابع أعمال المؤتمرات العالمية الكبرى التي تخصُّ المواد الأولية ألا يجب علينا أن نطالب باسم هذه العدالة الاجتماعية بأن تدرس قضية توزيع التقنيات في آن واحد مع قضية المواد الأولية؟

فإذا كان لازماً على البلاد الفقيرة ألا تمنع عن البلاد الغنية المواد الأولية، فعلى البلاد الغنية ألا تمنع من جهتها عن البلاد الفقيرة أسرار التقنية.

إن التطورات والاكتشافات العلمية قد تحققت في عصر الاستعمار، وثروات البلاد التي كانت تحت نفوذ الاستعمار، قد ساعدت في تطوير وتحسين التقنية الغربية. فينبغي إذن أن لا يكون النمو في العالم محتكراً من طرف صنف معين من الناس. والعلم واكتشافاته هو ميراث الإنسانية، بأجمعها، فواجب أن تنتشر بين الناس كلهم، باعتبار أن العالم قد تطور مع تطور الإنسانية.

والعدالة الاجتماعية بين الشعوب لا يمكن أن تتحقق في ظل الظروف الحالية حيث تنْبني المخططات والاستراتيجيات على أساس التوازن بين القوى الكبيرة.

فلنتحد إذن كي نقضي على شقاق الأمس واليوم، ولنسع جميعاً من أجل قضية السلام في العالم، هذه القضية التي تعتبر واجباً مقدساً أشار به علينا ديننا الإنسانيان.

ولا يمكن أن نتكلم عن السلام من دون أن نفكر في فلسطين التي تعيش

في مأساة منذ أكثر من ربع قرن. فكلكم تعرفون التاريخ الكئيب لهذه القضية.

إن إيديولوجية سياسية وإرهابية، أعني بها الصهيونية قد أطلقت إرهاباً وحروباً لطخت بالدم أرض الأنبياء الخالدة، وذلك استجابة لمستلزمات ومطامع الإمبريالية العالمية. هل أذكركم أن ما يسمى بالدولة الصهيونية لم تظهر نتيجة لاتفاق سلمي بل تولدت من الإرهاب الفظيع الذي قامت به منظمات «أرجون» Irgoun و«الهجانة» Hagana و«اشتيرن» Stern فالصهيونية لا يمكنها أن تبقى إلا بالإرهاب الذي صنعت به ولأجله، لأن الامبريالية العالمية تنظر بعين الطمع إلى منطقة الشرق باعتبارها منطقة استراتيجية ومصدراً للطاقة في العالم.

ومن جهة أخرى، فكلنا نتابع بألم وذهول حوادث لبنان المؤسفة ومواكب أمواتها العديدة من مسلمين ومسيحيين. وبعد أن حل شيء من الهدوء وسعى بعض الوسطاء أن يعيدوا السلام إلى لبنان، فإن القوات الصهيونية استعملت طائراتها تاركة في الميدان مئات من الأموات أكثرهم نساء وأطفالاً، وكان ذلك العمل الشرس خشية أن يرى الصهاينة عودة السلام إلى لبنان، بين المسيحيين والمسلمين. وندد بعض الناس بمخطط أمريكي ـ صهيوني منفذ من قبل عملاء لبنانيين، ويرمي إلى خلق دويلات ذات صبغة طائفية بجنب النظام الصهيوني. وهذا التنديد يؤكد الخطر الصهيوني الذي يهدِّد كل المنطقة والسلام في العالم، بمساعدة القوى الامبريالية، وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية.

وقد أدان البابا بولس السادس Paul VI من ناحية هذا الخطر الصهيوني معبِّراً عنه بأنه «فعل عنف غير مقبول يضاعف من شدة التوتر في هذه المنطقة وفي كل البلاد»[1].

إن القوَّات الصهيونية لا يمكنها أن تبقى إلا بهذا العنف ومن أجل الفوضى في هذه المنطقة. ورغم إدانة الصهيونية شفاهياً وكتابة، فإنها بقيت تواصل دائماً أعمالها المخربة والإجرامية. فكيف الوصول إذن إلى السلام في

(1) Journal le «Monde» 5-12-1975.

فلسطين؟ هل هو محكوم على هذه الأرض ألا تعيش في سلام؟ وهذه قضية تستلزم توطيد العلاقات بين المسلمين والمسيحيين من أجل مواصلة الكفاح المشترك في سبيل السلام في فلسطين. فإذا كانت فلسطين قد فرقت بين المسلمين والمسيحيين منذ ألف سنة تقريباً، فمن اللازم أن توحّد فلسطين بينهم اليوم من أجل الوصول إلى السلام، وهذا الاتحاد ليس موجهاً ضد يهود فلسطين فلا بد أن يتحرَّر اليهود من إيديولوجية التوتر، والفوضى، والإجرام، والتفرقة تلك الإيديولوجية هي الصهيونية.

فليلتزم المسلمون والمسيحيون بتحقيق السلام في أرض فلسطين، ذلك بأن يعلنوا أن الصهيونية هي حركة عنصرية وإيديولوجية أجنبيَّة عن فلسطين وعن منطقة الشرق. إذن لا يمكن للصهيونية أن تكون لها علاقة بالدين اليهودي الذي هو دين سماوي.

وعندما نتكلم عن القضية الفلسطينية، فلا بد لنا من التطرق إلى قضية أخرى غاية في التعقيد، ألا وهي قضية تدويل مدينة القدس المقرر في منظمة الأمم المتحدة . . وفي المنشور البابوي الصادر في الخامس عشر من شهر أبريل 1949مسيحي، طلب البابا بيو الثاني عشر Pie XII ضماناً دولياً لمدينة القدس. والبابا بولس السادس Paul VI لم يقترح تدويل مدينة القدس، بل تدويل الأماكن المقدسة، من أجل حريَّة التعبد، ومن أجل المحافظة على الأماكن المقدسة ودخولها. والفاتيكان يطالب بنظام خاص بالأماكن المقدسة. ولا ينبغي أن نترك مسائل الخلاف تستمر بيننا، ونحن مجتمعون من أجل وضع أسس للتفاهم والوفاق والثقة. ولا ينبغي أيضاً أن نبتعد عن حقيقة أولية وهي أن لا يسمح أي قانون ولا أي منطق أن تصير قطعة من بلد تحت أي نظام إذا لم يوافق صاحب السلطة الشرعية في هذا البلد على ذلك. والفلسطينيون لم يستشاروا أبداً في هذا الموضوع. إن حرية الأديان الثلاثة لا تتعلق بتدويل مدينة القدس أو الأماكن المقدسة. ولكنها تتعلق بعودة السلام إلى فلسطين. ولا يمكن أن ننسى هذه الحقيقة الأساسية وهي أن القدس مدينة فلسطينية. وغير

معقول أن نعزل الأماكن المقدسة عن فلسطين وكل محاولة من أجل تدويل الأماكن المقدسة فإنها تزيد في تعقيد القضية الفلسطينية وتبعد السلام. وكل ما يهم علاقات المسيحيين والمسلمين فيما يخص الأماكن المقدسة، يجب أن يناقش مع حكومة فلسطينية، وذلك بعد إيجاد حل لهذه المأساة. والذي نطلبه من الفاتيكان هو التخلي عن سياسته الخاصة بتدويل الأماكن المقدسة، أو بنظام خاص بهذه الأماكن، وأن لا يناقش القضايا التي تتعلق بهذه الأماكن إلا مع حكومة فلسطينية. ومن واجبنا مسلمين ومسيحيين أن نبذل جهودنا كي نعجل السلام في فلسطين.

فما أظن أنني قد ابتعدت عن الموضوع الذي طلب مني طرحه. ومن أجل أي هدف نسعى لإزالة الأحكام المسبقة الخاطئة إذا لم يكن هذا الهدف هو القيام بواجباتنا التي فرضها علينا الله، وإذا لم نسع إلى نصرة السلام والعدالة في العالم؟.

ألا يوصي الدين المسيحي بمعونة الضعفاء وبالتضامن الإنساني؟ وفيما يخصنا نحن، فإن الإسلام يأمرنا: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾[1]. «صدق الله العظيم»

فما قدرة الفلسطينيين رجالاً ونساءاً وأطفالاً، مقتطعين في مخيماتهم البائسة تحت قنابل طائرات «الفانتوم» Phantom وفتك الأسلحة الحديثة المتطورة التي تزوِّد بها الإمبريالية الصهاينة؟ وأية قوة تستطيع أن تفرض السلام في فلسطين وغير فلسطين؟ أليس في قدرة هذه القوة البشرية الإسلامية والمسيحية أن تسعى من أجل فرض سلام عادل ومن أجل إزالة عار هذه الحضارة؟.

إن العالم كله يشاهد قتل العديد من المسلمين في الفليبين. هل رجعنا

(1) Coran 4-75.

تسعة قرون إلى الوراء؟ وهذه المجازر تقع باسم المسيحية. فأين الأصوات والإرادات المسيحية القادرة على إيقاف هذه المذابح؟ وما هي إغاثتنا للمهددين في وجودهم في كل أنحاء العالم؟ فماذا نقول في شأن جنوب إفريقيا حيث يوجد حكم «عنصري يواصل استعباد شعب تحت نظر ورضى العالم المتحضر؟ هذا الحكم المدعم من قبل القوى الكبرى، قد اندفع في اعتدائه ضد شعوب إفريقيا. كشعب أنجولا. والقوى الكبرى لم تستفد من دروس التاريخ، فها هي تساعد دولة بريتوريا Pretoria الاستعمارية والعنصرية على أن تصير قوة نووية.

وفي هيلسينكي Helsinki انعقد مؤتمر قمة من أجل تحقيق الأمن والتعاون في أوروبا، من أجل تحقيق الحريات الأساسية للناس، والتعهد على أن لا يلجأ إلى التهديد وإلى استعمال القوة، وعلى احترام حقوق كل بلد في اختيار نظامه السياسي ـ وطبعاً هذا كله يخص بلاد أوروبا ـ لكن إفريقيا ـ مستودع المواد الأولية ـ بقيت تعيش في التهديد وفي دوي الأسلحة.

ولم تستوقف قضية تحرير إفريقيا من الاستعمار وقضية فلسطين نظر مؤتمر أمن أوروبا.

وبعد هذا المؤتمر العظيم للأمن والتعاون في أوروبا، بعده بقليل من الزمن تفجرت حرب أهلية ـ لا في أوروبا ـ بل في لبنان. إن القوى الكبرى تتحمل مسؤولية مباشرة فيما يخص المجزرة الشنيعة بين مواطني لبنان: مسلمين ومسيحيين.

وفي مقال افتتاحي خصه السيد جورج مونترون Georges Montaron لمأساة لبنان بعنوان «العذر الديني» أشار مونترون Montaron إلى بورجوازية رجال الأعمال التي اندفعت في المعركة تحت ستار راية المسيحية، ثم أضاف كاتباً: «إن الطائفية التي غطت النزاع الاجتماعي والسياسي، أصبحت تظهر بنفس طبيعة الصهيونية التي يخفي محركوها مشروعاً سياسياً تحت ستار ديني»[1].

---

(1) Hebdomadaire «Témoignage Chrétien» N° 1635 du 6-11-75 Paris.

وبينما تشاهد في عالمنا الحالي بلداناً تعيش في الغنى وتسعى إلى وضع حد للمشاكل التي تمسّ أمنها وطمأنينتها، نجد من ناحية أخرى البلدان المنتجة للمواد الأولية والأيدي العاملة تتخبط في مشاكل تولدت من آثار الاستعمار السياسي والاقتصادي.

وهل يكون حوارنا مثمراً إذا ابتعدنا عن قضايا وقتنا الحالي. فلا بد من مساهمتنا في البحث عن حلول للمشاكل التي تطرح على الضمير المعاصر. ولمحاورينا المسيحيين الممثلين للكنائس: الكاثوليكية، والأرثوذكسية، والبروتستينية نفوذ كبير في العالم الغربي المكون من بذور المسيحية.

إن إزالة الأحكام المسبقة الخاطئة تظهر لنا أنها طريق العقل السليم. والثقة تثبت بيننا عند إزالة الأحكام المسبقة الخاطئة. ولكن هل يكون للثقة المتبادلة إدراك ومحتوى واستمرار إذا لم تجمع بيننا في أعمال مشتركة؟ فأي عمل أحسن من التطوع في سبيل نشر العدالة بين الناس، وفي سبيل خدمة الشعوب التي لا زالت مضطهدة؟.

إن منازعاتنا التي يرجع عهدها إلى قرون طويلة، والتي تدخل ضمن تطاحن قديم بين الشرق والغرب، لن نقف إلا عندما نتخلص جميعاً من هذا العالم القائم على علاقات السيطرة وعلى استغلال الإنسان للإنسان والذي نتجت من نظمه وأسسه أزمة، ليست هي أزمة المواد الأولية بل هي أزمة الإنسان وأزمة شخصيته وخلقه.

وعلى أنقاض الظلم والجور، وعلى أنقاض احتقار كرامة الإنسان سينشأ عالم جديد هو في طور التكوين، هو عالم التضامن بين الناس، وعالم الرجاء والأمل ولا بد للدين الذي هو عامل تطوري أن يدفع إلى هذا.

وإنني أعتقد أن اجتماعنا يبلغ غايته المرجوّة في مسيرتنا على طريق العدالة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية بين الشعوب. دون اعتبار للفوارق الجغرافية، ومن أجل انتصار السلام والحرية في العالم. وهذا لعمري هو واجبنا المقدس أمام الله.

ومما لا شك فيه أن سياسة الدول القوية المؤسسة على علاقات القوى الاقتصادية والعسكرية تفرض الوضع الراهن ولو بالعنف. وهذه الجماهير الهائلة الإسلامية والمسيحية التي تكون أكثر من نصف سكان الكرة الأرضية مضافاً إليها من دون شك جماهير غير مؤمنة، أليس في مقدور هذه القوى الجماهيرية أن تفرض أوضاعاً جديدة تلبي احتياجات الإنسان الأساسية؟.

فما هي مهمة الدين في عالم اليوم الخاضع لشريعة الغاب؟ حيث الأقوياء يهاجمون الضعفاء من أجل استعبادهم؟ هذا العالم الذي أصبح فيه الاغتصاب بين الدول والشعوب أمراً مشروعاً؟ ومن أجل ذلك، فعلى الأديان أن تحرك قوة مؤهلة لضمان السلام والعدل بين الناس في العالم، وهذه القوى هي تعبئة كل الشعوب. وإيقاظ الشعور العالمي لتدارك الأخطار الفظيعة التي تهدد الإنسانية بأسرها، هو من مسؤوليات الأديان. إن قوة الكفاح والمقاومة، الحقيقية تكمن في إرادة الإنسان المؤمن. والشعوب التي قهرت الاستعمار قد برهنت على ذلك.

وفي الختام اقترح ما يلي:

1 ـ إدانة الحروب الصليبية من طرف الفاتيكان، وهذه الإدانة تساهم في اقتلاع الأحكام المسبقة الخاطئة من النفوس.

2 ـ إدانة قتل المسلمين في الفلبين والمطالبة بإجراء مفاوضات بين حكومة مانيلا وجبهة التحرير الوطني المورو الممثلة لمسلمي الفليبين، لكي تتحقق حقوق المسلمين الفليبينين.

3 ـ إعلان بأن الصهيونية هي عنصر أجنبي عن فلسطين وعن كل منطقة الشرق.

4 ـ القيام بحملة عالمية والعمل بكافة الطرق لإعادة الفلسطينيين إلى وطنهم كي تقوم دولة فلسطينية يتعايش فيها المسلمون والمسيحيون واليهود، لأن السلام العادل والدائم لا يتحقق إلا بإعادة الفلسطينيين إلى وطنهم.

ونظراً لأن مجلس الأمن صار عاجزاً عن تأدية واجباته بسبب استعمال مغرض لحق الرفض (الفيتو)، فيجب على الجمعية العامة للأمم المتحدة أن تهيء الظروف اللازمة لعودة الفلسطينيين إلى وطنهم، كي تقوم الدولة الفلسطينية.

5 ـ الاعتراف بأن قضية الأماكن المقدسة لا يمكن أن تناقش إلا مع الدولة الفلسطينية الديمقراطية بعد توطيد السلام. كما أن كل سعي لدى أي منظمة من أجل قضية الأماكن المقدسة يعتبر ظلماً خطيراً.

6 ـ إدانة كل محاولة لتقسيم لبنان، كما يجب مراجعة الأسس التي تقوم عليها دولة لبنان. وهذا يؤدي إلى حل عادل للأزمة الحالية.

7 ـ العمل من أجل القضاء على النظام العنصري في جنوب إفريقيا، والقيام بحملة عالمية من أجل تحرير أفريقيا. وأن أية مشكلة أفريقية يجب أن تحل في إطار تقرير المصير، وفي إطار إفريقي.

8 ـ إدانة كل سياسة توسعية في العالم وخصوصاً في أفريقيا تقوم بها مباشرة وغير مباشرة القوى الإمبريالية.

9 ـ محاولة لدى المنظمة الدولية للتربية والعلوم والثقافة «اليونسكو» UNESCO من أجل إصدار ميثاق عالمي يضمن لكل الشعوب الحق في التقنيَّة والتطور العلمي. ويجب أن يعتمد هذا الميثاق من منظمة الأمم المتحدة. فعلى العالم المتطور تقنياً ألاّ يمنع العالم الثالث من أسرار التقنية المكتشفة بمساعدة الأرباح التي جنيت من بلاد العالم الثالث، على أن تحويل الاكتشافات التقنية يجنب انفصاماً يمكن حدوثه بين العالم الثالث والعالم المتطور.

وبإزالة المظالم السياسية والاقتصادية ننشئ جميعاً عالماً يعيش في أحضانه الإنسان بكليته، ويظهر فيه تكامل الثقافات والحضارات في انسجام حقيقي يعطي النمو الإنساني كامل معناه.

والمسلمون يتساءلون عن مستقبل العالم، نعم إننا نتساءل عن عالم في طور التكوين، عالم نقدم إليه مساهمتنا، ونستثمر فيه طاقاتنا وقدراتنا وعبقريتنا الإسلامية المبدعة.

فلتكن الأحكام المسبقة الخاطئة المزالة والثقة والصداقة المسترجعتان بين جميع شعوب العالم بلا استثناء، فاتحة عهد جديد عهد العدالة في كل أشكالها، عهد الكرامة واحترام الجنس البشري.

* * *

بحث:

«كيف نعمل على إزالة الأحكام المسبقة الخاطئة وضعف الثقة التي لا تزال تفرّق بيننا»

للباحث المسيحي: الأب جاكوب لانفري

هل تستطيع أن تقدّم أمثولة للمؤمنين في عصرنا، الثلاثة عشر قرناً من التاريخ المشترك بين المسيحيين والمسلمين؟ لقد ورثنا عن هذا التاريخ طائفة من الأحكام المسبّقة والتصرفات التي تغلغلت في آن واحد إلى ضميرنا الواعي وضميرنا الباطني. صرّح أحد اللبنانيين المسلمين منذ وقت قريب: «إن المسيحية والإسلام هما ديانتان شقيقتان موحّدتان. وندر أن عرف التاريخ ديانتين جمعت بينهما علاقات مستقيمة كالتي قامت بين المسيحية والإسلام. إلاّ أن هذه العلاقات كانت علاقات عداوة أكثر منها علاقات صداقة. لقد باعد بينهما إيمانهما بالله أكثر مما وحّد. لماذا حلّت العداوة محلّ الصداقة وسادت علاقاتهما؟ ما هي الأسباب، أهي جوهرية أم عارضة؟ هل يمكننا أن نهتدي إلى المنابع الأصيلة المشتركة بين الديانتين ونستمدّ منها معنى يجدّد خلقية الإنسان المعاصر؟ يجب في أيامنا هذه، وأكثر من أيّ زمن مضى، أن تبني المسيحية والإسلام علاقاتهما على روح المحبة والرفق والتعاطف مستبعدتين أيّ اعتبار آخر»[1]. لإزالة الأحكام المسبقة والحدّ من أسباب سوء التفاهم التي تحدث

(1) مختصر من مقالة للدكتور حسن صعب، مطبوعة بالعربية في مجلة (travaux et jours) العدد 14-1 (32صفحة) بعنوان العلاقات بين المسيحية والإسلام.

اليوم أضراراً جمّة ولا سيما عندما تكون الجماعات المسيحية أو المسلمة قلّة بين جماعات كبيرة (الشرق الأوسط، السودان، الفليبين، أثيوبيا) على المؤمنين وبخاصّة المسيحيين أن ينظروا إلى أخطاء الماضي وأن يتوبوا عنها وأن يقدّروا ويقيّموا الأحكام المسبقة وأسباب سوء التفاهم الحاضرة وأن يحثوا الجهود التي بذلت بالتخفيف من حدّتها وإزالتها، وأن يتقدموا إلى الله بتضحيات وابتهالات ليشعر بها الفريق الآخر شعوراً أوفى، ويدركها إدراكاً أكمل.

1 ـ الاعتراف بأخطاء الماضي وظلمه:

(2) «إن العلاقات المسيحية الإسلامية قديمة قدم الإسلام، وقد اتّخذت أشكالاً متناقضة تناقضاً كبيراً. ومرت في حقب قاسية ومؤلمة» كما صرّح بذلك مسؤول مسيحي قديم عن أمانة سرّ الفاتيكان للعلاقات مع غير المسيحيين[1]، هي حقب الفتوحات الإسلامية والصليبية وحقب الاستعمارات الحديثة والنضال الحديث في سبيل الاستقلال. وتعترف صراحة بذلك وثيقة شبه رسمية تقول: «إن العصور الماضية كالسنوات الأخيرة، تركت في عقليات المسلمين وخاصّة في بعض المناطق مرارة عميقة نحو الغرب. ولقد عرف التاريخ في الشام وبغداد وطليطلة حقباً من التعاون موفّقة لم يمتدّ بها الزمن. ولكن هذا الماضي السعيد لا يوازي في ذاكرة المسلمين شعورهم بأن الصليبيين حطّموا وثبتهم الثقافية وساهموا في القضاء على أزهى حقبة من التاريخ الإسلامي، وبأن الاستعمار حال دون أن تأتي النهضة التي بدأت في القرن التاسع عشر بثمارها المرجوّة»[2].

---

(1) في الحوار الإسلامي المسيحي بقلم جوزيف كيوك، نشرة السكرتارية، العدد الأول، الماء/ مايو (أيار) 1966مسيحي، ص ص 27، 23.

(2) توجهات للحوار بين المسيحيين والمسلمين، أنكورا أ روما الطبعة الثالثة 1970 مسيحي (144 صفحة) ص ص 68، 69، وتتمة النص كما يلي: «وبالتالي، فإن الحقيقة تكون غالباً معقدة بحيث تجعلنا نتوقع ردود فعل، لذلك يجب أن لا نغرق في البحث عن التحليلات التاريخية المحددة زمنياً، بل علينا أن نفهم شريكنا في الحوار وحساسياته»، الأب كاسبار علّق على ذلك بقوله: «إن لقاء المسيحية والإسلام الذي بدأ بسوء التفاهم واستمر كذلك لأجيال في =

(3) وتعترف الوثيقة أيضاً «بأن هذه المرارة استيقظت فجأة في السنوات الأخيرة أثناء معارك التحرير. فالمجلاّت كلها والجرائد والقادة السياسيون والدينيون ربطوا بين الماضي البعيد والأحداث الحاضرة. وكان هذا التقريب أحد أكثر البراهين المثقلة بالعاطفة التي دعت إلى تعارض الشرق مع الغرب. فمناورات الغرب السياسية والاقتصادية في حقبتنا الحديثة بما فيها المناورات التي يقوم بها أناس مشتهرون بإلحادهم تعرض كأنها صيغة أخرى للصليبية[1]، والاستعمار. وتتّهم اليوم الإمبريالية بأنها من وحي مسيحي حتى ولو رفض المسيحيون هذا التحالف[2]. ولقد عمّقت سوء التفاهم التاريخي مسؤوليات الدول ذات التراث المسيحي عن مآسي القضية الفلسطينية. فلا بد للمسيحيين الذين يودون أن يكون حوارهم مع الإسلام حوراً مستقيماً أن لا ينسوا أخطاء ومظالم أخرى تضاف إلى أخطاء الصليبيين السياسية وإلى المشاريع الاستعمارية والإمبريالية.

(4) أكثر من المجابهات السياسية والاقتصادية، شاهد التاريخ بين المسيحيين والمسلمين سوء تفاهم حضاري وديني لا نزال ندفع ثمن نتائجه. فكل فريق تجاهل قيم الفريق الآخر تجاهلاً عميقاً. ولا شكّ أن المسيحيين في الشرق الأوسط اكتشفوا حقائق الإسلام وبدأوا مع المسلمين حواراً واقعياً. أما المسيحيون في الغرب فلبثوا مدة طويلة يجهلون قيم الإسلام الدينية. كان لمساهمة العرب في تقدم العلم والفلسفة دور أساسي لا يزال الغرب يجهله مع

= صراع مفتوح وتضارب بالسلاح وكانت له نتائج مؤسفة وحروباً أفرزت أدباً وإيديولوجيا ما زالت حية في النفوس توجب علينا مراجعتها لإطفاء شعلة الحرب... من الجانبين يجب إزالة الجهل بالآخر ويجب أن تتم المراجعة» (علاقة الكنيسة بالأديان غير المسيحية، باريس، دار Le Cerf عام 1966 مسيحي ص 321، أبحاث حول الإسلام ص ص 201-236)

(1) المرجع السابق ص 69.

(2) تضيف الوثيقة نفسها: «إن محاكمتنا يجب أن تستند إلى الخير والعدل والشرف وأن نأخذ دائماً جانب الجهة التي عانت أكثر (ص 70) وليس هنا المكان المناسب للبحث في كل المشاكل السابقة وإيجاد حل للقضية الفسطينية. إن إعلاماً عادلاً يكفي لكي نغتسل جميعاً من الاتهامات المتبادلة.

الأسف، باستثناء نخبة مطّلعة. وندر اللاهوتيون ما عدا رامون ليل وتوما الأكويني، اللذين شعرا بما تمثّله بعض الثروات الدينية في الإسلام. ورسم لنا الأستاذ نورمان دانييل الصورة الخاطئة التي يكوّنها المسيحيون الغربيون عن الإسلام[1] وهذا ما حدا بالأستاذ عبد الرحمن بدوي إلى القول: «أيّ اتهامات قبيحة وأيّ أكاذيب شنيعة لم تقل عن النبي وعن الإسلام؟ وتريني خبرتي النتائج السيئة التي لا تزال راسخة في أذهان الشعب البسيط كما في أذهان الشعب المثقّف . . . لقد تضافرت ظروف متنوعة على تكوين سوء التفاهم هذا والمحافظة عليه: ظروف دينية وسياسية وأحياناً اقتصادية ترقى أولاها إلى القديس يوحنا الدمشقي»[2].

(5) ويمكن أن يشكو المسيحيون أيضاً من أن أخوانهم المسلمين قد أساءوا فهمهم بالرغم من أن مطالب الحوار الإسلامي المسيحي في العهد الوسيط حملت كثيراً من العلماء المسلمين إلى الاهتمام بالمعتقدات المسيحية عن كثب. وغالباً ما أطلقت الأحكام على ديانة الآخر من خلال ممارسة أتباعها وتصرفاتهم اليومية لا من خلال الهدف الذي تعرضه ومن خلال مطالبها الموحاة. فالكل يعرف أن في هذه النظرة ظلماً جوهرياً كما أنه من الظلم أيضاً أن نقدّر ديانة الغير فقط من خلال المقاييس الشخصية. فالجهود التي حصلت في الغرب في حقب مختلفة لفهم التجربة الدينية الإسلامية من الداخل لم تترك أثراً ولم تزعزع الأحكام المسبقة المتراكمة. فالمسيحي مدعوّ اليوم لوعيها وإدراكها. ولقد طاب للمجمع الفاتيكاني الثاني أن يدعو «المسيحيين والمسلمين إلى تناسي الماضي وإلى التفاهم المتبادل بالرغم من الخلافات الكثيرة التي نشأت بينهم خلال التاريخ»[3]. إنما تناسي الماضي لا يعني جهل نتائجه

(1) هذان الكتابان هما: الإسلام والغرب- أدنبرغ 1960 مسيحي، و الإسلام والإمبريالية- - أدنبرغ 1955 مسيحي.
(2) مقابلة نشرت في مجلة Images في القاهرة بتاريخ 13 الربيع / مارس (آذار) 1955 مسيحي.
(3) تصريح في مجلة Nostra Aetate حول علاقة الكنيسة بالأديان غير المسيحية (ص 3).

الحاضرة. لا يمكن، على عكس ذلك، أن يتبادل المسيحيون والمسلمون الصفح عن أخطاء الماضي إن لم يكونوا عازمين على تبديل ذهنياتهم ومواقفهم. يقول عبد الرحمن بدوي: «يجب أن نبذل أقصى جهدنا لتبديل كل مفهوم خاطئ وكل الأكاذيب التي أشيعت عن أيّ ديانة من الديانتين. وبهذا التفاهم العميق الصادق من الطرفين كليهما يبدّد كل سوء تفاهم ناشئ عن اختلاف الديانتين»[1].

2 ـ تقدير أهمية الأحكام المسبقة التي يجب أن تحارب:

(6) قال الأب كيوك في حديث صحفي للجريدة اللبنانية «الأوريان»: «الماضي مضى أيّاً كان. فلنضعه في غرفة المحفوظات، ولنكتب معاً التاريخ الجديد حيث تحلّ الأخوّة محل الخصومة ويحلّ الحب محل اللامبالاة. تعالوا وانظروا فقد أعدنا بناء بيتنا»[2]. ينبغي أن تتعلم جماهير المسيحيين من مسؤوليهم النظرة الجديدة إلى الإسلام التي يدعوهم المجمع الفاتيكاني الثاني إلى تنميتها حسب روح الإنجيل. أما هؤلاء المسؤولون المسيحيون فقد أصبحوا مُدْركين كل الإدراك مختلف الأحكام المسبقة التي يجب أن تحارب بفضل التحاليل التاريخية والجهود التي بذلت لتبديل الرؤيا في هذه السنوات الأخيرة. ولذلك تدعو توجيهات أمانة السر للحوار إلى «تنقية ذهنياتنا من هذه النظرات السريعة الاعتباطية التي لا يعرف فيها المسلم الصادق نفسه. فمن المفيد أن نعدّد بعض هذه الأفكار الشائعة عن الإسلام التي يجب علينا شخصياً أن نصلحها قبل كل حوار»[3].

(7) ويعدد كتاب التوجيهات باقتضاب الأحكام المسبقة التي تتردّد دوماً في الكلام والتصرفات والأحكام المكتوبة لا ليشجبها فقط، بل ليقدّم الدليل

(1) مقابلة في 13 الربيع / مارس (آذار) 1965 مسيحي (انظر الهامش رقم 7 قبله).

(2) راجع مجلة «اللاستعلامات الكاثوليكية العالمية»، 15 الحرث/ نوفمبر (تشرين الثاني) 1965 مسيحي.

(3) انظر «توجهات» (ص ص 71-72).

على أنها لا تنطبق على واقع الإسلام الصحيح ولا على حقيقته، مع أنه يحمل على الأخذ بها أحياناً بعض المظاهر الواهية والمتأخرة التي يتنكّر لها المسلمون قبل غيرهم في تاريخهم الخاص. وإننا نأسف أن كثيراً من المسيحيين غير المثقفين لا يزالون يتصورون أن الإسلام هو دين القدر والشرعية المفرطة والخوف والتساهل الخلقي والتعصّب والجمود. هذه تهم خاطئة لا يزال مع الأسف كثير من المسيحيين يوجهونها إلى الإسلام.

(8) ويعرف الأشخاص ذوو الخبرة والعلم أن المسلم الذي يؤمن بحكم الله، ويسلّم ذاته لإرادته الإلٰهية التي لا يسبر غورها مظهراً نحوه طاعة عادلة وصبراً جميلاً، يدرك أنه يحتم عليه أن يقوم بجهد من التفكير الشخصي والاجتهاد لأنه هو أيضاً صانع أعماله. وينكر عليه المصلحون الحاليون كل استسلام سلبيّ وانقياد لا جدوى منه. ويعرف المسلمون الذين يتمسكون تمسّكاً خاصاً بالشريعة التي هي تعبير كامل عن إرادة الله، أن الأعمال بالنيّات، وأن التقوى خوف احترامي وترقّب واثق أمام سرّ الرحمة الإلهية. لذلك لا يجوز أن يتّهموا بالشرعية المفرطة كما أنه ليس من الصواب أن يقال إن الإسلام هو ديانة الخوف. «إنه ديانة الطاعة لله ثقة برحمته وحبّاً بوصاياه . . . لقد نشرت سنة 1965مسيحي جريدة كبيرة في القاهرة مقالاً بقلم شيخ الأزهر عنوانه «الإسلام ديانة الحب»: ويفهم بالحب حبّ القريب الذي له جذور في الإيمان بالله»[1].

(9) وكتاب التوجيهات أكّد تصحيحاً للأفكار الخاطئة المتداولة لدى المسيحيين عن التساهل الخلقي في الإسلام أن الخلقية الإسلامية القائمة على الأخلاق القرآنية متشددة في مطالبها، وأبان أن للعائلة خلقيتها المتفهمة، وأن العصيان يستحق أن يعاقب. وشرح أيضاً أن غيرة المسلمين على نشر إيمانهم التي اتخذت أحياناً مظاهر جامحة حملت الكثيرين على الاعتقاد بتعصبهم الذي تغذيه صور أبينال وعبارات غريبة مضحكة. أما الجمود فهو عاهة اجتماعية

---

(1) انظر «توجهات» (ص ص 75-76).

شكت منها كذلك المجتمعات المسيحية. لذلك لا يصحّ الدمج بين الحالات الاجتماعية التاريخية الخاصة والرسالات الدينية التي تحاول أن تبعث فيها حياة ومعنى: «إننا لا نرى في الإيمان الإسلامي ونتاج العلم المعاصر أن بعض البلاد الإسلامية وبعض الجماعات التي لا تزال هيكليّتها هيكلية القرون الوسطى تعطي هذا الشعور بالجمود . . . فعلى المحاور المسيحي أن يتنبّه لجهود التجدّد الصادقة التي تبدو آثارها في الفكر الإسلامي المعاصر»[1].

(10) لا تزال بعض الأحكام المسبقة كامنة في بعض المواقف الاجتماعية السياسية. وغالباً ما يعتقد المسيحيون عن حق أو عن خطأ أن لا فرق بين الديانة والدولة في الإسلام. ويخلصون، انطلاقاً من بعض المواقف الخاصة والأحداث المأسوية التي لا تؤخذ فيها بعين الاعتبار إلاّ العوامل الدينية، أن الإسلام لا يفسح مكاناً في الدولة لمن ليس مسلماً. وأنه من المستحيل أن تؤمن فيه حرية الاختيار الديني، وأن تؤمَّن للمرء ممارسة حرة لعبادته. وتساعد بعض المزاحمات في الرسالة لدى غير المؤمنين في آسيا وإفريقيا مثل هذه الأحكام المسبقة. كذلك رفض بعض التعدّدية الثقافية أو الدينية من قبل بعض الدول التي يغلب فيها العنصر الإسلامي. إن أمانة السر للحوار تبيّن أن الإسلام يميّز بين الدين والدولة، وإن اختلفت طريقة هذا التمييز، وذلك لأن دولاً كثيرة معاصرة لا تقبل بالدمج بين الدين والدولة[2].

(11) وهناك أيضاً مجال آخر يسوده سوء تفاهم كبير بين الطرفين هو المجال الذي تنجز فيه أسمى أعمال المحبة والتعاون الأخوي بين البشر. فالمسيحيون والمسلمون لا يحترمون بعضهم بعضاً عبر العالم فيما هم يجرّدون

(1) انظر «توجهات» (ص ص 82 ـ 83).

(2) يستند في ذلك على الدراسات النظرية التاريخية كدراسة الشيخ علي عبد الرازق «الإسلام وأهل الحكم» التي نشرها في القاهرة عام 1925 مسيحي (انظر مجلة الدراسات الإسلامية، 1933 مسيحي، المجلد الثالث، ص ص 353 ـ 391، و 1934 مسيحي المجلد الثاني، ص ص 163 ـ 222) و المقالات حول الأوضاع الاجتماعية السياسية للقادة الدينيين كمقالة الشيخ البشير الإبراهيمي في الجزائر، دورية «البصائر»، مراجعة لكتاب «عيون البصائر» حول فصل الدين عن الدولة.

جهودهم لخدمة الشعوب المحرومة، وتربية الأجيال الجديدة في المدارس والجامعات، وخدمة المرضى والمنازعين في المستشفيات والمستوصفات: وسريعاً ما يسرفون في تبادل أشنع تهم التبشير بدلاً من أن يتنافسوا منافسة دينية سليمة تحترم الأشخاص والمجتمعات. ويعبّر غالباً عن واجب الرسالة الذي تعرفه الديانتان منازعات وضياع طاقة لا تؤمّن مجد الله[1].

3 ـ الجهود التي بذلها المسيحيون:

(12) ليس المهمّ في الموضوع الذي نعالج، الإحصاء الشامل لكل الأحكام المسبقة وأنواع سوء التفاهم، بل إظهار الجهود التي يبديها كل من الفريقين لإزالتها والتخفيف من حدتها. ويستطيع المسيحيون التأكيد أنّ جهودهم صادقة ومتّسعة ومتنوعة في آن واحد منذ ربع قرن. ولن يفسح لنا في تعداد كل ما عملوا في هذا المجال. لذلك سنقتصر على الأمور الجوهرية. وقصدنا هو أن نعالج الموضوع على صعيد الفكر والعمل كما على صعيد الأشخاص والجماعات في الحقول الدينية والزمنية. وتجدر الإشارة هنا أن نصوص الفاتيكان الثاني التي هي نقطة الوصول لبحث شجاع قام به روّاد شجعان، تشكّل منذ 1962 ـ 1965مسيحي الوثيقة الأساسية لتجديد العلاقات بين المسيحيين وإخوانهم المسلمين[2].

---

(1) التباس آخر نشأ تكراراً وبصورة لاواعية عن مقولة خاطئة تفترض أن: (الغرب الأوروبي والأميركي يمثّل النموذج المطلق على مستوى الثقافة الإنسانية والديموقراطية البرلمانية والنمو الاقتصادي والتوازن بين العقل والإيمان وأن باقي دول العالم وبالتالي الأديان الأخرى مدانة نسبة لهذه الفرضية التي شكلت التكون التاريخي للمسيحية (نجحت أم لم تنجح على الصعيد الإيماني، الله أعلم)، والنموذج الضروري لكل تقييم معاصر، ومن هنا فقد استثنت الآخرين من فوائد الثقافة والسلام، وقد قرروا ذلك بتسرع غير مبرر. وقد مرَّ وقت كان فيه مبدأ «لا سلام خارج الكنيسة» مطبّقاً على أنه القاعدة والذي نتج عنه بغضاء وعداوة واحتقار أو على الأقل لامبالاة عميقة تجاه كل الأديان أو الاختبارات الدينية الأخرى.

(2) النص الأول مقدم باختصار في la constitution dogmatique sur l'église (Lumen Gentium) صفحة (16) والنص الثاني في الصفحة (3) من إعلان إيماننا Déclaration Nostra Aetate حول علاقات الكنيسة بالأديان غير المسيحية (انظر الجلسة الأولى من هذا اللقاء).

(13) بدأت الكنائس المحلية، استناداً إلى تشجيع المجمع الفاتيكاني الثاني، طريقة جديدة في التصرف، فحاولت الاستعانة ببعض أمانات سرّ خاصة. فالفاتيكان أنشأ في عنصرة 1964مسيحي أمانة سرّ للعلاقات مع غير المسيحيين التي رئسها تباعاً الكردينالان ماريلاّ وبينييدولي: ففي الأول من آذار سنة 1965مسيحي أضيفت لها أمانة سرّ فرعية للإسلام، مهمّتها أن تنمّي الحوار الإسلامي المسيحي وتنطلق به إلى كل أبعاده، وأن تساعد خاصة الشعوب المسيحية على تبديل عقليتها تجاه الإسلام. وتطالعنا القراءة المتواترة لنشرة أمانة السر بفكرة عن مشاريع ومبادرات هذه الأمانة ونتبيّن من توجيهاتها الروح التي تسعى إلى إشاعتها[1]. «لا يهدف الحوار إلى تبشير الغير ولا إلى إثارة الشك في النفوس بإيمانها. يجب أن يحمل الفريقين على ألاّ يلبثا مسمّرين في مواقفهما بل أن يتعاونا في إيجاد وسائل لتخطّي الذات تصلحهما وتحسّن علاقاتهما المتبادلة تكثيفاً للخير في العالم»[2].

(14) كثيرون هم اللاهوتيون والمؤرخون ومفسّرو الكتاب وأرباب القانون المسيحيون الذين حاولوا منذ نصف قرن تجديد معرفة العالم المسيحي للاختبار الديني الإسلامي. وانتشرت الكتب والمجلات التي كتب فيها ماسينيون ومونتغومري وات، وأزين ايبلاشيوس، وغارديه، وقنواتي، وجوميه، وحايك، ومبارك، وكثيرون غيرهم. فهؤلاء وضعوا علمهم في خدمة حوار أفضل. أليس أول شيء يجب عمله هو توفير معرفة علمية أدقّ للمسيحيين متعاطفة دينياً مع الإسلام والمسلمين؟ فالمعاهد الكاثوليكية كلها تعرض في تعليمها الجامعي «للحدث الديني» في العالم ويؤثر الإسلام فيه بنصيب وافر:

---

(1) بدأت المجلة بالصدور في شهر الماء/ مايو (أيار) عام 1966 مسيحي بطبعة فرنسية وطبعة إنكليزية لأن الأعداد الأربعة الأولى كانت تضم الكتيبات أو طبعة الفهارس ولم يصدر إلا طبعة واحدة مزدوجة اللغة منذ عام 1974 مسيحي (العدد 25) لنشر القائمة الأولى من نشاطات السكرتاريا (بعد استشارة الأمانة العامة (السكرتاريا) للعلاقات مع غير المسيحيين) خلال عشر سنوات بواسطة م.ل. فيتزجيرالد في مجلة Islamochristina الصادرة عن I.P.E.A. روما، العدد الأول 1975مسيحي ص ص 87 ـ 96.

(2) انظر «التوجهات» ص 9.

يسعى أساتذتها إلى عرض ديانة المسلمين على المسيحيين عرضاً يكتشف فيه المسلمون ذواتهم، معتمدين في ذلك على القرآن الكريم ومؤلفات المسلمين الأساسية[1].

(15) إن أبحاثاً خاصة بالحوار بين الإسلام والمسيحية، إلى جانب المنشورات العلمية الحديثة، جابهت الأحكام المسبقة التي ذكرنا واقترحت أنماطاً من التصرّف جديدة. فكتاب توجيهات الحوار بين المسيحيين والمسلمين نشر عدة مرات وبلغات مختلفة[2]. ولا يقصد مؤلفو هذا الكتيّب تقديم حلول سريعة سهلة بل تجديد روح تحيي هذا الحوار وتنضح بالاحترام والحب المنزّه للفريق الآخر ولا تتوخّى التوفيق، كما هي تحاذر المعارضة أو النقد.

ويحدد الفصل الأول من هذا الكتيّب موقف المسيحي في الحوار مذكّراً ببعض الشروط العامة، واصفاً بعض المواقف العملية، مؤكداً على الموقف الديني الذي يجب أن نقفه. ويدعو الفصل الثاني القارئ إلى التعرّف إلى قيم الإسلام الذي هو دين وأمة، ديانة كتاب، أمة قائمة على التقليد، تأكيد وشهادة. دين يتطلّب أعمالاً ويستوجب اعتناقاً لإيمان. بعد أن وصف كتاب

(1) يستند في ذلك على الدراسات النظرية التاريخية كدراسة الشيخ علي عبد الرازق «الإسلام وأهل الحكم» التي نشرها في القاهرة عام 1925 مسيحي (انظر مجلة الدراسات الإسلامية، 1933 مسيحي، المجلد الثالث، ص ص 353 ـ 391، و 1934 مسيحي المجلد الثاني، ص ص 163 ـ 222) و المقالات حول الأوضاع الاجتماعية السياسية للقادة الدينيين كمقالة الشيخ البشير الإبراهيمي في الجزائر، دورية «البصائر»، مراجعة لكتاب «عيون البصائر» حول فصل الدين عن الدولة.

(2) ينقص هنا استكمال السيرة باللغات العالمية الرئيسية، ويكفي أن نشير إلى العمل النموذجي الذي أنجزه «لويس كادريه» في كتابه: «الإسلام دين ومجتمع» (باريس، 1970 مسيحي، 496 صفحة) وكلماته التي تشكل المبدأ الأول لكل حوار حقيقي: «يجب أن يكون لدى كل واحد منّا الاهتمام الحقيقي للتعرف بالآخر كما هو وكما يحبُّ أن يكون» (ص 420)، هذا المبدا شكل الأساس الأول للكليات المسيحية الإسلامية العديدة في إيطاليا ونشرته مجلة الأمانة العامة لعلاقات الكنيسة بالأديان غير المسيحية في روما (العدد العاشر عام 1975، ص 1، والعدد 28 ـ 29 ص ص 199 ـ 205). ويكفي أن نشير بأن روما هي المدينة الوحيدة التي تدرس الفكر الإسلامي في الجامعة الغريغورية وجامعة لاتران وجامعة أوربانيا والجامعة الأنطونية وجامعة رجينا موندي بالأضافة إلى الدراسات المتخصصة التي تدرِّس حصريًا في معهد الدراسات العربية.

التوجيهات (عن تنوّع العالم الإسلامي ومسيرته نحو الحداثة في الفصل الثالث (عن مختلف المحاورين المسلمين) شدّد في الفصل الرابع (كيف نتهيّأ للحوار) على ضرورة الاعتراف بمظالم الماضي وأحكام الحاضر المسبقة التي يجب أن نتحرّر منها، وعلى الذي تنجز فيه أسمى أعمال المحبة والتعاون الأخوي بين البشر. فالمسيحيون والمسلمون لا يحترمون بعضهم بعضاً عبر العالم فيما هم يجرّدون جهودهم لخدمة الشعوب المحرومة، وتربية الأجيال الجديدة في المدارس والجامعات، وخدمة المرضى والمنازعين في المستشفيات والمستوصفات: وسريعاً ما يسرفون في تبادل أشنع تهم التبشير بدلاً من أن يتنافسوا منافسة دينية سليمة تحترم الأشخاص والمجتمعات. ويعبّر غالباً عن واجب الرسالة الذي تعرفه الديانتان منازعات وضياع طاقة لا تؤمّن مجد الله[1].

(16) لقد أتاح انتشار مثل هذه الوثائق عدة مبادرات جديدة أصلحت المواقف السابقة. منها إعادة النظر في بعض النصوص الدينية ونشر كتب مدرسية للشباب المسيحي عرض فيها إيمان صديقهم المسلم بكثير من الاحترام والتفهّم[2] ولقاءات إقليمية بين مسؤولين في الكنائس المحلية، بين الكاثوليك والبروتستانت لوضع هذه الروح الجديدة موضع التنفيذ، ومقاسمة اختبارات الحوار وحلّ القضايا والمنازعات التي يظهر فيها العامل الديني عنصراً أوّلياً، وندوات إسلامية مسيحية حيث تسمح بذلك الظروف المحلية[3]. وإعارة زمنية

(1) «توجهات للحوار بين المسيحيين والمسلمين» صدر باللغة الفرنسية بطبعته الثالثة في أنكورا ـ روما عام 1970مسيحي (144صفحة)، وباللغة الإنكليزية في طبعته الثالثة في أنكورا ـ روما عام 1971 مسيحي (152صفحة)، وباللغة الإيطالية في طبعته الأولى في أنكورا-روما عام 1971مسيحي ، وباللغة الإسبانية في طبعته الأولى في مدريد عام 1971مسيحي (156 صفحة).

(2) أيضا في باريس بواسطة المركز الكاثوليكي وفي مالي: أبحاث أخوية.

(3) انظر أيضاً مجلة إسلام ـ مسيحية الصادرة عن IPEA، العدد الأول 1975 مسيحية، «الأمانة العامة للعلاقات مع الأديان غير المسيحية في عشر سنوات» إعداد م.ل. فيتزجيرالد (ص ص 87 ـ 96)، «مشاركة المجلس العالمي للكنائس في الحوار العالمي والمحلي المسيحي الإسلامي»، تأليف إ. غالندو آغيلار (ص ص 103-114)، «نظرات على اللقاء الإسلامي المسيحي في =

لأمكنة العبادة أو تقديمها هبة[1] ومشاركة في تدشين الجوامع أو الكنائس (سواء في الشرق الأوسط أو في إفريقيا)[2] وتبادل رسائل بمناسبة الأعياد وخاصة بمناسبة رمضان[3] وزيارات متبادلة بين وفود من القاهرة والرياض ووفود من الفاتيكان من أجل معرفة أفضل متبادلة.

= تونس» (11-17-11-74) تأليف عبد المجيد شرفي، وانظر أيضاً: «اليوميات» من مجلة الأمانة العامة لعلاقات الكنيسة بالأديان غير المسيحية.

(1) وأيضاً في مدينتي (كولونيا) و(ليل).

(2) أيضاً حضر المسلمون في كمبالا أ أوغندا مباركة البابا بولس السادس لحجر الأساس في كاتدرائية شهداء «باغندا» وشارك الرئيس جمال عبد النصر في مباركة وضع حجر الأساس للكاتدرائية الجديدة للأقباط الأرثوذكس في القاهرة، منطقة العباسية. وقد قال قداسة البابا يومها: «كيف يمكننا أن نعبر عن رضانا وشكرنا لهذا اللقاء الذي يستجيب لرغبة حقيقية لنحيي بشخصكم الشهير في كل إفريقيا المجتمعات الإسلامية الكبرى؟ لقد هيأتم لنا المناسبة للتعبير عن عميق احترامنا للإيمان الذي تحملونه وأملنا بأن لقاءنا معاً سيخدم التقارب الإسلامي المسيحي والمؤاخاة الحقيقية...... إن إيماننا المشترك بإله قادر يؤمن به ملايين الأفارقة يجب أن ينشر فوق ربوع هذه القارة بركات حضوره وحبه، وقبل كل شيء السلام ووحدة جميع أبنائها. نحن متأكدين أنكم (أي الحاضرون في الاحتفال) ستتوحدون معنا في الصلاة التي نرفعها للإله القدير ليعطي للمؤمنين الأفارقة الرغبة في الغفران والتحلل من الخطايا والتوبة التي كثيراً ما دعانا الله إليها في الإنجيل والقرآن». (انظر نشرة الأمانة العامة، العدد 12، الكانون/ ديسمبر (كانون الأول) 1969، السنة الرابعة، ص154) وقد أضاف البابا قائلاً: «لتشرق شمس السلام والحب الأخوي على هذه البلاد التي خضبتها دماء المجتمعات الكاثوليكية والمسيحية والمسلمة التي سكبت لتنير طريق كل الأفارقة. وليكن لقائي هذا معكم أيها الممثلون المحترمون للمسلمين الرمز والخطوة الأولى لهذه الوحدة التي أمرنا الله أن نستوحيها في كل أعمالنا من أجل مجد العلي وسعادة هذه القارة المباركة».

(3) مشاركة المسيحيين في شهر رمضان (شهر الصوم عند المسلمين) (رمضان .27,12,67) جوزيف كيوك، إذاعة الفاتيكان ، حيث قال: «إن هذه الروح للتقرب إلى الله ةالخضوع له بصوم شهر رمضان لهي قيمة دينية كبرى، إنه ليسعد المسيحيين أن يروا الله يتمجد من ملايين الرجال والنساء، ويتقدمون إليه بالتضحيات الكبرى، لهذا ندعوكم أيها المسيحيون الذين حاولتم فهم الإسلام ليس من الخارج فقط بل من الداخل، ندعوكم لتقدموا احترامكم وتقديركم لهذا العمل الديني» و«قدموا الأمنيات السعيدة للمسلمين بمناسبة نهاية رمضان، شهر الصوم». (انظر أيضاً مجلة الأمانة العامة، العدد7، الربيع/ مارس (آذار) 1968 مسيحي، السنة الثالثة 1، ص ص 40 - 43) وهذا العمل لقي صدى طيباً لدى الملك فيصل وقد أشار إلى ذلك عند استقباله لوفد الحجاج القادمين إلى مكة في شهر أي النار/ يناير (كانون الثاني) عام 1968 مسيحي.

(17) وفي خطّ مواز أتاح تجديد نظرة اللاهوت المسيحي في الديانات تجديداً أفضل لمكانة كل منها وبخاصة لمكانة الإسلام لطريق الخلاص. لا تحتاج بعد إلى تبيان قيمة الإيمان الإسلامي الدينية الذي يشمل حقائق كبيرة: التوحيد، كلمة الله المعلنة للناس بواسطة الأنبياء، بدء العالم ونهايته، القيامة ويوم الدين. وبينما يختلف الإيمان الإسلامي والإيمان المسيحي على صعيد العقيدة اختلافاً صريحاً، على ما يجمع بينهما من عناصر كثيرة، فهما يلتقيان على صعيد الموقف الديني الذي يحدّده دافع الإيمان. تعطي الإيمان الإسلامي خطوطه الجوهرية قيمة دينية ممتازة يمكنها أن تؤدي به إلى تدبير الخلاص كما أراده الله وذلك لأن الإيمان الإسلامي هو إيمان محوره الله، شخصيّ وفائق الطبيعة[1]. لذلك أعلن المجمع الفاتيكاني الثاني في وثيقته الإيمانية عن الكنيسة أن تدبير الخلاص يشمل أيضاً «كل الذين يعرفون الخالق وفي طليعتهم المسلمين الذين يعترفون بإيمان إبراهيم ويعبدون معنا الإله الواحد الرحيم ديّان الناس في يوم الدين»[2].

(18) وأثبت أيضاً المجمع الفاتيكاني الثاني، لمزيد من التوضيح البابا يوحنا الثالث والعشرون، مطالب الحرية الدينية وشجب كل أنواع التبشير الديني. إننا نعرف أن التعليمات أعطيت بصورة واضحة في كل مكان. وقيل في صدد نشاط الكنيسة الرسولي أن المحبة المسيحية تشمل كل الناس دون تفرقة في الجنس، والوضع الاجتماعي أو الديانة. ولا يتوخّى النشاط الرسولي منفعة له ولا اعترافاً بالجميل. فحبّ الله المجّاني يتطلّب أن تشمل محبة

---

(1) انظر أيضاً: «القيمة الدينية للإيمان الإسلامي» في مجلة الأمانة العامة، العدد 13، الربيع/ مارس (آذار) 1970مسيحي ، السنة الخامسة ـ 1، (ص ص 27 ـ 39).

(2) Lumen Gentium ص 16، الأستاذ لويس غارديه اختصر بشكل جيد مختلف آراء اللاهوت المسيحي حول الأديان غير المسيحية في فصل من كتابه: «الإسلام دين ومجتمع»، وانظر أيضاً (النشرة II: الإسلام من منظور مسيحي، ص ص 407 ـ 418، وخاصة الصفحة 417)، وقد أوضح الأب ج. مبارك بشكل جيد هذه المواقف الجديدة للاهوت المسيحي للتقارب الإسلامي المسيحي، الجزء الثالث ص ص 93 ـ 130.

المؤمنين الإنسان في حدّ ذاته وأن تسهم في جهود الشعوب التي تحارب ضد الجوع والجهل والمرض لتحسين أوضاع الحياة وتوطيد السلام في العالم[1] فالمجمع الفاتيكاني الثاني الذي يعلن أن للشخص الإنساني حقّاً على الحرية الدينية يؤكد أيضاً «أن للجماعات الدينية حقاً على تعليم إيمانها والجهر به علناً بالصوت الحيّ أو الكتابة. شرط أن يمتنع الجميع عن أيّ نوع من التصرّف يبدو فيه بعض الضغط والإقناع المزيّف غير الشريف، وخاصة مع الأشخاص الذين لا ثقافة عندهم ولا ثروة، في إذاعة الإيمان وإدخال الممارسات الدينية[2]. ففي هذا النص حكم مطلق على كل أنواع التبشير وتذكير بواجب الرسالة أي بعرض الإيمان. وهذان الأمران هما العمودان لكل حرية دينية متطلّبة.

(19) من الواضح الجلي للعالم كله أن المسيحية لا تنطبق فقط على مصير دول الغرب ذات التراث المسيحي. فالمساهمة الكثيفة التي ساهم بها أساقفة آسيا، وإفريقيا وأمريكا الجنوبية في المجمع، وأسفار البابا بولس السادس إلى القدس وبومباي وبوغوتا ومانيلا وهونكونغ وكامبالا، ومبادرات الكنائس الكاثوليكية والبروتستاتينية (يكفي أن نذكر آخر اجتماع للكنائس الذي عقد في نيروبي ـ كينيا) تبرهن برهاناً قاطعاً أن رسالة المسيح هي لكل الشعوب ولكل الأجناس. لقد تكلّم البابوات كثيراً عن الحق على الحياة والسلام والتقدم، في براءاتهم الرسولية، وأحاديثهم ووفودهم وعملهم العادي، فبات اتهامهم بممالئة الإمبريالية والصهيونية أمراً عسيراً. يبغي المسيحي أن يكون في كل أرض مواطناً كامل الحقوق والواجبات في المدينة التي يسكن فيها والوطن

---

(1) انظر أيضاً وثائق Ad Gentes حول نشاط البعثات التبشيرية: ص 12.

(2) انظر أيضاً إعلان Dignitaitis humanae ص 2 وص 4، حيث أضاف أيضاً: «إن طريقة كهذه للتحرك يجب النظر إليها كما لو أنها إيذاء لحقوقه وتعدٍ على حقوق الآخرين»، وبنفس المعنى كنا قد قرورنا مذكرة هونغ كونغ، (عام 1975) وأكّد: «اهتمامه التام بالديانات المختلفة في هذه المجتمعات، وفي بعض الأوضاع المليئة بالتعصب. ونحن ننطلق لندعو الهيئات الدينية والأفراد للابتعاد عن التعصب، لأنها تبعد الأفراد والمجتمعات عن التدين الحقيقي» (انظر أيضاً: ج.ب. تايلر: مشاركة الاتحاد العالمي للكنائس في الحوار العالمي والمحلي الإسلامي المسيحي، عبر مؤسسة إسلام أمسيحية، IPEA، روما، 1975مسيحي، العدد الأول).

الذي يحب دون أيّ تمييز بينه وبين الآخرين، متبنّياً ما قال الرئيس جمال عبد الناصر في حفلة وضع الحجر الأول لكاتدرائية الأقباط الأرثوذكسية الجديدة في القاهرة: «تكافؤ الفرص هو أحد المبادئ الأولى التي تعلنها المبادئ الموحاة. فنستطيع بالأخوّة والمساواة وتكافؤ الفرص بناء الجماعة السليمة التي ننشد والتي تهدف إليها الديانات. فالمسيحيون والمسلمون كانوا عبر العصور إخواناً، والله لم يدع إطلاقاً إلى التعصّب بل إلى الحبّ. فلذلك لن يفرّق شيء بين المواطنين بالرغم من الصعوبات التي نصادف . . . ويجب أن ندعو المتعصّبين إلى الحكمة سواء كانوا مسلمين أو مسيحيين. تلك لعمري هي قضية وطنية»[1].

(20) هذا هو معنى مختلف الجهود التي قام بها المسيحيون في السنوات العشر الأخيرة. وقد قال أحد المسؤولين في أمانة السر لغير المسيحيين أن عمل هذه الأمانة يكون عملاً ممتازاً إذا توصلت إلى تبديل عقلية المسيحيين في الغرب تجاه العالم العربي والعالم الإسلامي بنوع عام وتجاه الإسلام. لقد ابتدأت هذه الحركة وامتدّت، إنما يجب ألاّ يداخلنا وهم بأن المسيحيين تأثروا بها تأثراً كبيراً[2]. يلزمنا كثير من الوقت لتتبدّل العقليات وتنهزم الأحكام المسبقة، وأن نمرّ أحياناً بتجارب مؤلمة ومآسي غير منتظرة. إن المسيحيين الواعين الباذلين قواهم في هذا الجهد يعرفون أن العمل يتطلب وقتاً طويلاً ويرجون أصدقاءهم المسلمين التحلّي بالصبر تسهيلاً لمهمّتهم. أما هم فسيحاولون أن يحقّقوا مع المسلمين ومن أجل الإسلام البرنامج الذي يعرضه كتيّب من أمانة السر نفسها وعنوانه: «نحو لقاء الديانات». وهو كتيّب

(1) «إذا كان هناك بعض الموالين المسلمين الذين لا يتقبلون المسيحيين فعليهم أن يبرهنوا عن تساهلهم، إذا كان هناك بعض الموالين المسيحيين الذين لا يتقبلون المسلمين فعليهم أن يبرهنوا عن تساهلهم بدورهم، لأن الوطن لا يقبل ولا يتعرف بأي متحزب متعصّب»، (انظر أيضاً: مسيحيو الشرق الأوسط، الجزء 15، 1965مسيحي، حوار بتاريخ 24 ناصر/ يوليو (تموز)1965 مسيحي).

(2) تصريحات الأب جوزف كيوك في صحيفة الشرق، (انظر أيضاً: I.C.I.، 15 الحرث/ نوفمبر (تشرين الثاني 1965 مسيحي).

مليء بالإيحاءات التي تمهّد للحوار ويدعو المسيحيين إلى شهادة إيمان وسلوك لا عيب فيه وتجرّد ومحبة وصفح وفرح وسعادة. وينمّي عندهم وعند إخوتهم روح المرونة والانفتاح والتواضع والتقدير والاحترام وتمييز صحيح وصبر ورجاء، متيقّنين أن الله قادر أن يبدّل قلوب الناس[1].

4 ـ بعض تمنيات وآلام:

(21) هل يجوز أن نتصارح هنا بين أخوة، ونفضي ببعض الآلام الصامتة؟ نريد أن نعرف كلنا على حقيقتنا، وخاصة أن نعرف كما نريد أن نكون في ملء إيماننا. يتألم المسيحيون ألماً عميقاً عندما يشك أصدقاؤهم بإيمانهم بالله الواحد. ألم يشنّ الأستاذ محمود أبو رياح حرباً على إخوته في الدين الذين يعتبرون المسيحيين كافرين وملحدين ومشركين أي خلائق معدّة تلقائياً لنار جهنم؟[2] هذا الشكّ في توحيد المسيحيين يجرحهم جرحاً بليغاً لأنهم يؤكدون على هذا التوحيد بقدر ما يؤكد عليه إخوتهم المسلمون: فالأسرار المسيحية لا تتعارض مع وحدة الطبيعة الإلهية ووحدانيتها. أيريدون أن نقدّم لهم دوماً العرض الذي قدمه الكردينال كونيغ في 31 الربيع/ مارس (آذار) 1965مسيحي في المحاضرة اللاهوتية التي ألقاها في جامعة الأزهر عن توحيد المسيحيين ونضالهم ضد كل صيغ الإلحاد القديمة منها والجديدة[3].

(22) وغالباً ما يسمع المسيحيون أحاديث عن الحلف المقدس ضد تقدم

---

(1) نشرة خاصة بالأمانة العامة: من أجل لقاء الأديان (مقترحات للحوار) ملحق رقم 3 لنشرة روما 1967 مسيحي، ص 48، (موجودة أيضاً مترجمة إلى الإنكليزية).

(2) انظر أيضاً كتابه: دين الله واحد، القاهرة، عالم الكتب، الطبعة الثانية، 1970 مسيحي، ص 173، حيث خطّأ أقوال بعض معارضيه وأثبت بالنصوص القرآنية أن المسيحيين مازالوا أهل كتاب.

(3) لقد أسعدنا أن نرى في المسجد الكبير في القاهرة عدداً كبيراً من الأساتذة، والدارسين يستمعون لكلمة كاردينال ڤيينا يدعو إلى الإيمان المطلق بالإله الحق. (ل. غارديه: الإسلام دين ومجتمع، ص 424) للنص الكامل لهذا المؤتمر بترجمته الفرنسية انظر أيضاً: مجموعة ال I.K.E.O. القاهرة (الدومينيكان) رقم. 8).

القوى المادية والشيوعية ويخشون، عن حق أو عن خطأ، أن يأتي التعاون المسيحي الإسلامي بنتائج سلبية في هذا المجال. «ينبغي أن لا نرى في هذا الحوار، يقول الكردينال دوفال (الجزائر) تقارباً يهدف إلى توحيد المسلمين والمسيحيين ضد عدو مشترك. إن أساس الحوار بينهم هو عمل الله في حياتهم أجمعين. لا يعود إلى القول أن المسلمين يجنون بعض الإفادة من المسيحيين. إنما كثير من المسيحيين، وهذا مطلب من إيمانهم، هم واعون أنهم ينالون من المسلمين المخلصين عوناً للتأكيد على تسامي الله في حياتهم، بالصلاة والشعور بحضوره والتفكير بأحكامه، والمفهوم الإنساني لواجب الصدقة والضيافة»[1]. لا يركن المسيحي إلى حوار في العمل قائم على منافع أو قيم موحدة لأنه ينتظر من جهته مقاسمة أخوية للاختبارات الدينية التي يستطيع فيها كل فرد التحدّث مع أخيه عن الله. يجب أن يجمعنا الإيمان بالله ويدفعنا إلى خدمة إخوتنا. إن التزامنا المشترك لخدمة الإنسانية وتنمية الحياة والدفاع عنها وتوطيد العدل وإشاعة الحرية والأخوّة ينبع من إيماننا بالله الحيّ العادل المحبّ حباً لا قسر فيه والرؤوف بالبشر.

(23) لذلك يودّ المسيحيون أن تفهم جهودهم الحاضرة على وجهها الصحيح. ويرغبون أن يميّز بين جهودهم وشهاداتهم وما تفعله دولهم العلمانية الملحدة أحياناً.

إن الإيمان بالله هو أولاً واقع داخلي وشخصي: هو خضوع لله وحده لا لشخص سواه. ويستمدّ الإيمان من هذا الخضوع قوته على رفض كل الأصنام الجديدة، وضعفه أيضاً من رفضه استعمال الوسائل التي تعتمدها «قوة البشر». لقد اكتشف المسيحيون من جديد معنى التصرّف النبوي، في توبة يسيء أصدقاؤهم تقدير أبعادها. تنسب إليهم أحياناً تحالفات ونيّات سياسية بينما هم يريدون أن يلبثوا على صعيد إيمانهم الصافي الذي لا تسانده أيّ قوة زمنية.

(1) بعد مقابلة لدورية ال F.L.N. الثورة الإفريقية 25 الكانون/ ديسمبر (كانون الأول) 1965 مسيحي.

أليس في الإعلان المجمعي عن اليهودية دليل على ذلك؟ لقد كتب حسن صعب وهو مسلم لبناني: «من المؤسف أن يكون الخوف من استغلال الصهيونية في هذا الإعلان المشدودة إلى حقيقتها تعود فتنظر للمرة الأولى إلى انعكاسات هذه الحقيقة على الديانات الأخرى. فالإسلام في هذه الوثيقة يبدو كأخت شقيقة، والمسيحي مدعوّ فيها إلى الكفّ عن كل تفرقة ليس فقط ضد اليهود بل ضد كل من ليسوا مسيحيين. إن الكنيسة في موقفها الجديد هذا تستحقّ أنْ يقتدى بها لا أن تنتقد»[1].

(24) أليس من الأفضل للمسلمين والمسيحيين أن يختاروا من مختلف المدارس اللاهوتية، حول نقطة من العقيدة أو التصرّف، المدرسة التي تتيح لهم لقاء الآخرين لقاء أفضل والعيش معهم في السلام والأخوّة وذلك عندما يترك لهم الخيار؟ هل من الصعب عليهمْ أن يختاروا، على اختلاف نظرتهم في التمييز بين الدين والدولة، التعاليم التي تؤمن التعددية وترفض كل أنواع الإنعامات التي تختبئ وراء الطائفية والإقطاعية والإقليمية؟ يشهد العالم المعاصر عدّة بلاد ينتمي فيها المواطنون إلى ديانات مختلفة: أليس من واجب المؤمنين أن يتخطّوا التعايش السلمي فيما بينهم، وأن يجدوا معاً مقاييس للعمل وللحضارة تأخذ بعين الاعتبار فقط قيمة المواطنين الإنسانية، ولا تعطي أيّ إنعام للانتماء الطائفي؟ وهكذا تحلّ خصومات كثيرة وتزول بعضها في كثير من الدول في آسيا وإفريقيا[2].

---

(1) انظر أيضاً صحيفة الشرق L'orient عدد 6 / 12/ 1964 مسيحي، حيث أضاف: «إن الكنيسة تضيف وحدة عائلة الربّ إلى المقولة القرآنية حول وحدة أهل الكتاب، هذه الوحدة التي تضم اليهود والمسيحيين والمسلمين الذين يعبدون الله إله (أبا) إبراهيم وكل الموحِّدين. إن المسيحية والإسلام لا يمكنهما إلاً الاستماع إلى هذا الإعلان والتهنئة على روحيته. هذا الائتلاف الذي يحرِّكه اختلافهم مع الصهيونية وليس مع اليهودية».

(2) ألم تؤد الجهود المبذولة في لبنان إلى جعل صيغته علمنة تشمل كل الجماعات الدينية التي يوحِّدها نفس الإيمان بالله ، والارتباط بالحياة الروحية، وإرادة واحدة للعيش بسلام وإخاء، كما كان قد قال الرئيس شارل حلو في كلمته أثناء زيارة البابا بولس السادس لبيروت. انظر أيضاً: الصحيفة الفرنسية «الصليب» La croix عدد 4/ 12/ 1964 مسيحي وكذلك النص الإنكليزي =

الخلاصة:

(25) يصعب ولا شك أن نؤمن بتجرّد المحاور المطلق، بعد عصور من الانتقادات وأهوال بعض المآسي الحاضرة. فالمسيحيون يعون هذه الصعوبة ومع ذلك يأملون أن يزداد أصدقاؤهم تصديقاً لهم بعد هذه المحاضرة التي عرضوا فيها حصيلة جهودهم في جوّ من الحقيقة والتواضع. لقد اعترفوا بأخطاء الماضي والحاضر، وتنكّروا لما تبقّى من آثارها: كالأحكام المسبقة وسوء التفاهم اللذين لا يزولان إلاّ تدريجياً وبعد توضيح طويل وتوبة وتوعية. إن أمل المسيحيين، وهذا يقين عندهم، أن بعض إخوتهم المسلمين يسيرون المسيرة نفسها وسيعترفون بهم في ملء إيمانهم وتقاليدهم وكل كتبهم المقدسة. والنقاش الذي سيلي هذه المحاضرة سيلقي مزيداً من الضوء على الطريق المشتركة وسيكتشف فيها آلافاً من العراقيل. إنما سينشأ فيه روح التعاون الأخوي لإزالتها تدريجياً. ويعرف المسيحيون أن عليهم أن يثابروا في العمل، تحفزهم كلمات البابا بولس السادس: «ليزد عملكم نور الله تألقاً في العالم. وليعرف المسيحيون أن يقدّروا بدورهم، وفرة الخيرات التي وهبها الله للأمم بسخائه العظيم»[1]. «وهكذا تقدمون

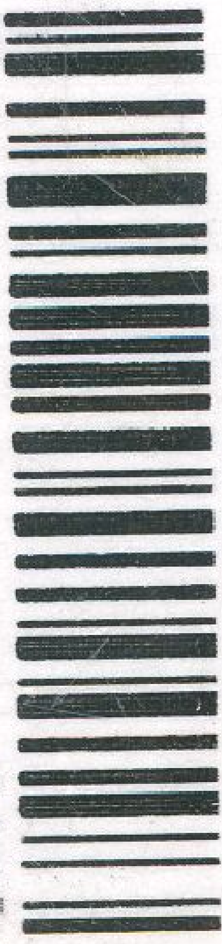
= الذي نشرته صحيفة L'Observatore Romano في عددها الصادر بتاريخ 4/12/1964 مسيحي (انظر أيضاً نشرة «التوثيق الكاثوليكي» عدد 3/1/1965). ألم يؤكد اللبنانيون، مسلمون ومسيحيون من خلال المجلس النيابي في دورته المنعقدة في 6/5 – مسيحي1965 : «إن المجتمعين يؤكدون التقاء الدينين على الإيمان بالله الواحد، وعلى إرادتهم لتقديس الحياة الروحية، والقيم الأخلاقية المشتركة التي تحمي كرامة الإنسان وتنادي بحقه في حياة إنسانية كريمة، وترفع العالم إلى قيم الخير والسلام والوحدة الروحية. وأكدوا أن لبنان هو الوطن الأمثل للحوار الإسلامي المسيحي، وأنه يوم يعي بشكل أكثر حيوية مضمون هاتين الرسالتين يكون قد أحيا وحمى الطاقة الروحية للإنسان». انظر أيضاً: الروزنامة الإسلامية المسيحية من نشرة 1/9/64 أ 30/4/65، ص ص 143 ـ 144. يضيف المنشور: «نحن نتعهد أمام الله بتحقيق هذا اللقاء الأخوي الدائم الذي يسمح للجميع بإغناء هذين الدينين العالميين. إن كل واحد من المشاركين سيساهم بقوة انطلاقاً من تعاليم دينه، متفهماً دين الآخر ومؤمناً بأن هذا الدين الآخر يضم قيماً وأخلاقاً ودروساً تدعو لتقارب الإنسان من إخوته في الإنسانية».

(1) في مرسوم Ad Gentes صفحة 11.

مساهمتكم الشخصية في قصد الله في التاريخ بوعي وتواضع حتى وإن لم تدركوا على هذه الأرض، الثمر والنجاح. علينا أن نتحلّى بالصبر والإيمان والتجرد»[1].

(1) كلمة ألقيت في اجتماع لأعضاء الأمانة العامة لعلاقات الكنيسة بالأديان غير المسيحية في 25/ 9/ 1968 مسيحي (انظر مجلة الأمانة العامة، العدد التاسع، السنة الثالثة ـ 3، ص ص 113 ـ 115).

الفهرس


Bibliotheca Alexandrina
0682179
